
تفسير
البيضاوي
٥
للإمام البيضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير البيضاوي

المسمى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف

إمام المحققين وقدوة المدققين

القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله

ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

المتوفي ٧٩١ هجرية

تحقيق

أ.د. حمزة النشرتي

الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي

أ.د. عبد الحميد مصطفى

المجلد الخامس

١٤١٨ هـ

الآيات من ٢٠ : ٢٧

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) ﴾

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ لأنه المالك الحاكم علي الإطلاق فلا يقضي بشئ إلا وهو حقه . ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾ تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه إنه يقضي أو لا يقضي . وقرأ نافع وهشام بالتاء علي الالتفات أو إضمار قل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم علي ما يقولون ويفعلون ، وتعريض بحال ما يدعون من دونه .

وجوب الاعتبار بمصائر الأمم السابقة .

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ﴾ مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود . ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ قدرة وتمكنا ، وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه ، وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف . ﴿ وَآثَارًا فِي الأَرْضِ ﴾ مثل القلاع والمدائن الحصينة . وقيل المعني وأكثر آثارا كقوله : متقلدا سيفا ورمحا ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن

وَاقٍ ﴾ يمنع العذاب عنهم .

﴿ ذَلِكَ ﴾ الآخذ . ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات أو الأحكام الواضحة . ﴿ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ ﴾ متمكن مما يريده غاية التمكن . ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ لا يؤبه بعقاب دون عقابه .

قصة موسي ومؤمن آل فرعون

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ يعني المعجزات . ﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وحجة قاهرة ظاهرة ، والعطف لتغاير الوصفين أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه .

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يعنون موسي عليه الصلاة والسلام ، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وبيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ أى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كي يصدوا عن مظاهرة موسي عليه السلام . ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ في ضياع ، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة علي العلة .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ، ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في أهون شيء دليل علي أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله . أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله . ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ فإنه تجلد وعدم مبالاة بدعائه . ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾ إن لم اقتله . ﴿ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام لقوله تعالى ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ (٦) . ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو علي معني الجمع ، وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد .

---

(٦) الأعراف : ١٢٧ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ أي لقومه لما سمع بكلامه . ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ صدر الكلام بإن تأكيداً وإشعاراً علي أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله ، وخص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية ، وإضافته إليه وإليهم حثا لهم علي موافقته لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة ، ولم يسم فرعون وذكر وصفاً يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة علي الحامل له علي القول . وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي سورة الدخان بالإدغام وعن نافع مثله .

الآيات من ٢٨ : ٣١

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) ﴾

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ من أقاربه . وقيل من متعلق بقوله : ﴿ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ والرجل إسرائيلي ، أو غريب موحد كان ينافقهم (٧) ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ أتقصدون قتله . ﴿ أَن يَقُولَ ﴾ لأن يقول ، أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل في أمره ﴿ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ وحده وهو في الدلالة علي الحصر مثل صديقي زيد . ﴿ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ المتكثرة الدالة علي صدقه من المعجزات والاستدلالات . ﴿ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم

---

(٧) في الكشاف : الظاهر انه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يعلوا ولم يعزوا ، والدليل عليه قول فرعون : ابناء الذين آمنوا معه ، وقال الزمخشري : اسمه سمعان او حبيب ، وقيل : خربيل او حزبيل .

واستدراجا لهم إلي الاعتراف به ، ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال : ﴿ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلي قتله . ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ فلا أقل من أن يصيبكم بعضه ، وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ، ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده ، كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم ، وتفسير البعض بالكل كقول لبيد :

تَرَاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا (٨)

مردود لأنه أراد بالبعض نفسه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين :

أحدهما : أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلي البينات ولما عضده بتلك المعجزات .

وثانيهما : أن من خذله الله أهلكه فلا حاجة لكم إلي قتله . ولعله أراد به المعني الأول ، وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم ، وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة .

﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴾ غالبين عالين . ﴿ فِي الأَرْضِ ﴾ أرض مصر . ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله ، فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد ، وإنما أدرج نفسه في الضميرين لأنه كان منهم في القرابة وليريهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ ﴾ ما أشير عليكم . ﴿ إِلاَّ مَا أَرَى ﴾ واستصوبه من قتله وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه . ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ طريق الصواب ، وقرئ بالتشديد علي أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام ، أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور علي السماع ، أو بالنسبة إلي الرشد كعواج وبتات .

---

(٨) تراك : صيغة مبالغة من ترك أي كثير الترك ، والحِمام بكسر الحاء ـ الموت والذي فسر البعض بالكل في هذا البيت هو أبو عبيدة الإمام اللغوي ، وقد رد عليه المؤلف .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم ﴾ في تكذيبه والتعرض له . ﴿ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم ، وجمع الأحزاب مع التفسير أغني عن جمع اليوم .

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وإيذاء الرسل . ﴿ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ كقوم لوط ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام ، وهو أبلغ من قوله تعالي : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٩) من حيث أن المنفي فيه حدوث تعلق إرادته بالظلم .

الآيات من ٣٢ : ٣٦

﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) ﴾

﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة ، أو يتصايحون بالويل والثبور ، أو يتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف . (١٠) وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالي ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾

﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ ﴾ عن الموقف . ﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ منصرفين عنه إلي النار . وقيل فارين عنها . ﴿ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ يعصمكم من عذابه . ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

---

(٩) فصلت : ٤٦ .

(١٠) الآيات ٤٤ ـ ٥٠ من سورة الأعراف .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ ﴾ يوسف بن يعقوب علي أن فرعونه فرعون موسي ، أو علي نسبة أحوال الآباء إلي الأولاد أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل موسي . ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات . ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ﴾ من الدين . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ ﴾ مات . ﴿ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ ضما إلي تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده ، أو جزما بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشك في رسالته ، وقرئ ألن يبعث الله علي أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث . ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الضلال . ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ ﴾ في العصيان . ﴿ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد .

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ بدل من الموصول الأول لأنه بمعني الجمع . ﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ بغير حجة بل إما بتقليد أو بشبهة داحضة . ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فيه ضمير من وإفراده للفظ ، ويجوز أن يكون الذين آمنوا مبتدأ وخبره كبر علي حذف مضاف أي : وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله: ﴿ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ استئنافا للدلالة علي الموجب لجدالهم . وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين علي وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كقولهم : رأت عيني وسمعت أذني ، أو علي حذف مضاف أي علي كل ذي قلب متكبر .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا ﴾ بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر . ﴿ لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ الطرق .

الآيات من ٣٧ : ٤٣

﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ

عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ﴾ بيان لها أو في إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلي معرفتها ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ عطف علي ابلغ . وقرأ حفص بالنصب علي جواب الترجي ولعله أراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل علي الحوادث الأرضية ، فيري هل فيها ما يدل علي إرسال الله إياه ، أو أن يري فساد قول موسي بأن أخباره من إله السماء يتوقف علي اطلاعه ووصوله إليه ، وذلك لا يتاتي إلا بالصعود إلي السماء وهو مما لا يقوي عليه الإنسان ، وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ في دعوي الرسالة ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل التزيين ، ﴿ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ سبيل الرشاد ، والفاعل علي الحقيقة هو الله تعالي ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان . وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو وصد علي أن فرعون صد الناس عن الهدي بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ أي خسار .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ ﴾ يعني مؤمن آل فرعون . وقيل موسي عليه الصلاة والسلام . ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ ﴾ بالدلالة . ﴿ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ سبيلا يصل سالكه إلي المقصود ، وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي .

﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ تمتع يسير لسرعة زوالها . ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ لخلودها .

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ عدلا من الله ، وفيه دليل علي أن الجنايات تغرم بمثلها . ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا

مضاعفة فضلا منه ورحمة ، ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة إسمية مصدرة باسم الإشارة ، وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة ، وجعل العمل عمدة والإيمان حالا للدلالة علي أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلي من ذلك .

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ كرر نداءهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادي له ، ومبالغة في توبيخهم علي ما يقابلون به نصحه ، وعطفه علي النداء الثاني الداخل علي ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف علي الأول ، فإن ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أو تعريضا أو علي الأول .

﴿ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴾ بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بإلي واللام . ﴿ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ﴾ بربوبيته . ﴿ عِلْمٌ ﴾ والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح إلا عن إيقان .

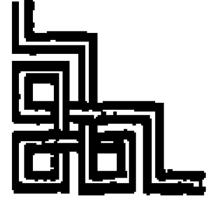
﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ المستجمع لصفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة ، والتمكن من المجازاة والقدرة علي التعذيب والغفران .

﴿ لا جَرَمَ ﴾ لا رد لما دعوه إليه ، وجرم فعل بمعني حق وفاعله : ﴿ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ ﴾ أي حق عدم دعوة آلهتكم إلي عبادتها أصلاً لأنها جمادات ليس لها ما يقتضي ألوهيتها أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها . وقيل جرم بمعني كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء إليه أن لا دعوة له بمعني ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ، وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما أن بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق ، والمعنى لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام أي لا ينقطع في وقت ما فتنقلب حقاً ، ويؤيده قولهم لا جرم أنه لغة فيه كالرشد والرشد . ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ﴾ بالموت . ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ في الضلالة والطغيان كالإشراك وسفك الدماء . ﴿ وَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ملازموها .

الآيات من ٤٤ : ٤٨

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾



﴿ فَسَتَذْكُرُونَ ﴾ وقرئ فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب . ﴿ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ من النصيحة . ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ليعصمني من كل سوء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله :

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ شدائد مكرهم . وقيل الضمير لموسي عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ ﴾ بفرعون وقومه فاستغني بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولي بذلك . وقيل بطلبة المؤمن من قومه فإنه فر إلي جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم . ﴿ سوء الْعَذَابِ ﴾ الغرق أو القتل أو النار .

الدليل علي عذاب القبر

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ جملة مستانفة أو النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان ، أو بدل ويعرضون حال منها ، أو من الآل وقرئت منصوبة علي الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون ، فإن عرضهم علي النار إحراقهم بها من قولهم : عرض الأساري علي السيف إذا قتلوا به، وذلك لأرواحهم كما روي ابن مسعود أن أرواحهم في أجواف طيور سود تعرض علي النار بكرة وعشيا إلي يوم القيامة ، وذكر الوقتين تحتمل التخصيص والتأييد ، وفيه دليل علي بقاء النفس وعذاب القبر . ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ اي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ يا آل فرعون. ﴿ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ عذا ب جهنم فإنه اشد مما كانوا فيه ، أو أشد عذاب جهنم . وقرأ حمزة والكسائي ونافع ويعقوب وحفص ادخلوا علي أمر الملائكة بإدخالهم النار .

محاورة بين أصحاب النار

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف علي غدوا . ﴿ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ تفصيل له . ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع بمعني أتباع علي الإضمار أو التجوز . ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ بالدفع أو الحمل ، ونصيبا مفعول به لما دل عليه مغنون أوله بالتضمين أو مصدر كشيئا في قوله تعالى ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ (١١) فيكون من صلة لمغنون .

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ نحن وأنتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا ، وقرئ كلا علي التأكيد لأنه بمعني كلنا وتنوينه عوض عن المضاف إليه ، ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ولا معقب لحكمه.

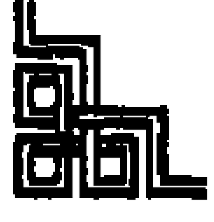
الآيات من ٤٩ : ٥٨

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا

---

(١١) آل عمران ١٠ ، ١١٦ .

يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) ﴾



﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ أي لخزنتها ، ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها ، إذ يحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم : بئر جهنام بعيدة القعر . ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا ﴾ قدر يوم ﴿ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ شيئا من العذاب ، ويجوز أن يكون المفعول يوم بحذف المضاف ومن العذاب بيانه .

﴿ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أرادوا به إلزامهم للحجة وتوبيخهم علي إضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الإجابه . ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا ﴾ فإنا لا نجترئ فيه إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم ، وفيه إقناط لهم عن الإجابة . ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ ضياع لا يجاب ، وفيه إقناط لهم عن الإجابة .

نصر الله لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة . ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ أى في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحيانا إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر ، والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب ، والمراد بهم من يقوم يوم القيامة الشهادة علي الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين .

﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة ، أو لأنه لم يؤذن لهم فيعتذروا . وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء . ﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ البعد عن الرحمة . ﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ جهنم .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ ﴾ ما يهتدي به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع . ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة .

﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا . ﴿ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾

لذوي العقول السليمة .

تسلية للنبي ﷺ ودعوة له بالصبر علي تكذيب قومه

﴿ فَاصْبِرْ ﴾ علي أذي المشركين . ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بالنصر لا يخلفه، واستشهد بحال موسي وفرعون. ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾وأقبل علي أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولي والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار ، فإنه تعالي كافيك في النصر وإظهار الأمر .﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ ودم علي التسبيح والتحميد لربك . وقيل صلِّ لهذين الوقتين ، إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ عام في كل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة واليهود حين قالوا : لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار . ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ ﴾ إلا تكبر علي الحق وتعظم علي التفكر والتعلم ، أو إرادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكونان إلا لهم . ﴿ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ ببالغي دفع الآيات أو المراد . ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ فالتجيء إليه . ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لأقوالكم وأفعالكم .

التفكر يهدي إلي الإيمان

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ فمن قدر علي خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر علي خلق الإنسان ثانيا من أصل ، وهو بيان لا شكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لأنهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ الغافل والمستبصر . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ ﴾ والمحسن والمسيء فيها تفاوت فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت ، وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن المقصود ، نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة ، والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود ، أو الدلالة بالصراحة والتمثيل . ﴿ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ اي تذكرا ما قليلا

يتذكرون ، والضمير للناس أو الكفار ، وقرأ الكوفيون بالتاء علي تغليب المخاطب ، أو الالتفات أو أمر الرسول بالمخاطبة .

الآيات من ٥٩ : ٦٤

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) ﴾

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ في مجيئها لوضوح الدلالة علي جوازها وإجماع الرسل علي الوعد بوقوعها . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون بها لقصور نظرهم علي ظاهر ما يحسون به .

ادعوني أستجب لكم

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ﴾ اعبدوني . ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أثبكم لقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرين ، وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة ، أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها . وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء(١٢) .

---

(١٢) روى أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال : « اربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي . فاما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك على فما عملت من خير جزيتك به ، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلى الإجابة ،

من منن الله المستوجبة للإيمان

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلي ضعف الحركات وهدوء الحواس . ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ يبصر فيه أو به ، وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل إلي الحال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ لا يوازيه فضل ، وللإشعار به لم يقل لمفضل . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع النعم ، وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم .

﴿ ذَلِكُمُ ﴾ المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية . ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها ، وقرئ خالق بالنصب علي الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة . ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلي عبادة غيره .

﴿ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ أي كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها .

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة . ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات ، متهيا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات . ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ اللذائذ . ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإن كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال .

وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك » .

وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : ادعوني أستجب لكم ... الآية . .

ومن رواية أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » .

الآيات من ٦٥ : ٧٣

﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) ﴾

﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية . ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ إذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته . ﴿ فَادْعُوهُ ﴾ فاعبدوه . ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أى الطاعة من الشرك والريا ء . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قائلين له .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي ﴾ من الحجج والآيات أو من الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها . ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بأن أنقاد له أو أخلص له ديني .

تطورات خلق الإنسان تشهد بقدرة الله المستحق للربوبية

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ أطفالا ، والتوحيد لإرادة الجنس أو علي تأويل كل واحد منكم . ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره : ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله : ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ ويجوز عطفه علي لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين .

وقرئ شيخا كقوله طفلا . ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل الشيخوخة أو بلوغ الأشد ﴿ وَلِتَبْلُغُوا ﴾ويفعل ذلك لتبلغوا : ﴿ أَجَلاً مُّسَمًّى ﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة . ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما في ذلك من الحجج والعبر .

﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ فإذا أراده ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فلا يحتاج في تكوينه إلي عدة وتجشم كلفة ، والفاء الأولي للدلالة علي أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث إنه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة علي العدد والمواد .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل ، أو المجادل فيه أو للتأكيد .

مصير المكذبين

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ ﴾ بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية . ﴿ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ﴾ من سائر الكتب أو الوحي والشرائع . ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ جزاء تكذيبهم .

﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ ظرف ليعلمون إذ المعني علي الاستقبال ، والتعبير بلفظ المضي لتيقنه . ﴿ وَالسَّلَاسِلُ ﴾عطف علي الأغلال أو مبتدأ خبره . ﴿ يُسْحَبُونَ ﴾ .

﴿ فِي الْحَمِيمِ ﴾ والعائد محذوف أي يسحبون بها ، وهو علي الأول حال . وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء علي تقديم المفعول وعطف الفعلية علي الإسمية ، والسلاسل بالجر حملا علي المعني إذ الأغلال في أعناقهم بمعني أعناقهم في الأغلال ، أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ، ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي ملئ . والمراد أنهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها إلي بعض.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾

الآيات من ٧٤ : ٨٠

﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم ، أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم . ﴿ بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ﴾ أي بل تبين لنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فإنهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك : حسبته شيئا فلم يكن . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الضلال . ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ حتي لا يهتدوا إلي شيء ينفعهم في الآخرة ، أو يضلهم عن آلهتهم حتي لو تطالبوا لم يتصادفوا .

﴿ ذَلِكُم ﴾ الإضلال . ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ تبطرون وتتكبرون . ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وهو الشرك والطغيان . ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ تتوسعون في الفرح ، والعدول إلي الخطاب للمبالغة في التوبيخ .

﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ الأبواب السبعة المقسومة لكم . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ مقدرين الخلود . ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الحق جهنم ، وكان مقتضي النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى .

التأسي بقصص الأنبياء السابقين

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بهلاك الكافرين . ﴿ حَقٌّ ﴾ كائن لا محالة . ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ فإن نُرِكَ ، وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع إن وحدها . ﴿ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ وهو القتل والأسر . ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن تراه . ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم ، وهو جواب نتوفينك ، وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ، ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعني إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب، ويدل علي شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض .

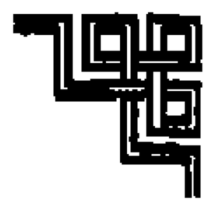
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ إذ قيل عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، والمذكور قصصهم أشخاص معدودة . ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم علي ما اقتضته حكمته كسائر القسم ، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها . ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ بالعذاب في الدنيا أو الآخرة . ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ بإنجاء المحق وتعذيب المبطل .

﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها .

التأمل في نعم الله وآياته يهدي إلي الإيمان

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فإن من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقر .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ كالألبان والجلود والأوبار . ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ بالمسافرة عليها . ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ في البر . ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البحر . ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ وإنما قال وعلي الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة ، وتغيير النظم في الأكل لأنه في حيز الضرورة . وقيل لأنه يقصد به التعيش وهو من الضروريات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة ، أو للفرق بين العين والمنفعة .



الآيات من ٨١ : ٨٥

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴾

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ دلائله الدالة علي كمال قدرته وفرط رحمته . ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ اي فاي آية من تلك الآيات . ﴿ تُنكِرُونَ ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار ، وهو ناصب أي إذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الأولى رفعه والتفرقة بالتاء في أى أغرب منها في الأسماء غير الصفات لإبهامه .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ما الأولي نافية أو استفهامية منصوبة باغني ، والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به .

الدعوة إلي عدم الاغترار بالعلم وإنكار مانحه لهم

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات . ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ واستحقرو علم الرسل ، والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة ﴾ [١٣] وهو قولهم : لا نبعث ولا نعذب ، وما أظن الساعة قائمة ونحوها ، وسماها علما علي زعمهم تهكما بهم ، أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك ، أو علم

---

(١٣) النمل : ٦٦ .

الأنبياء ، وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده : ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ وقيل : الفرح أيضا للرسل فإنهم لما رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ شدة عذابنا . ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ يعنون الأصنام .

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال ﴿ لم يك ﴾ بمعني لم يصح ولم يستقم ، والفاء الأولي لأن قوله ﴿ فما أغني ﴾ كالنتيجة لقوله ﴿ كانوا أكثر منهم ﴾ والثانية لأن قوله ﴿ فلما جاءتهم رسلهم ﴾ كالتفسير لقوله ﴿ فما أغني ﴾ والباقيتان لأن رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفي الإيمان مسبب عن الرؤية . ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة . ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ أى وقت رؤيتهم الباس ، اسم مكان استعير للزمان .

فضل سورة المؤمن

عن النبي ﷺ «**من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلي عليه واستغفر له**» (١٤) .

---

(١٤) ذكره الزمخشري في تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٤١) سورة فصلت مكية

وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون آية (١)

نزلت بعد غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٥

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥ ﴾ .

حديث عن القرآن الكريم

﴿ حمٓ ﴾ إن جعلته مبتدأ فخبره .

﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وإن جعلته تعديداً للحروف فتنزيل خبر محذوف أو مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره :

﴿ كِتَابٌ ﴾ وهو على الأولين بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف ، ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى ، وإضافة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية .

﴿ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى ، وقرئ فصلت أي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني ، أو فصلت بين الحق والباطل . ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ نصب على المدح أو الحال من فصلت ، وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه .

---

(١) في تفسير الكشاف آياتها ٥٤ وقيل ٥٣ آية ، وتسمى سورة السجدة .

وفى مختلف التفاسير : نزلت بعد سورة غافر .

﴿ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أى لقوم يعلمون العربية أو لأهل العلم والنظر ، وهو صفة أخرى لقرآنًا أو صلة لتنزيل ، أو لفصلت ، والأول أولى لوقوعه بين الصفات .

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ للعاملين به والمخالفين له ، وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب أو الخبر لمحذوف . ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ عن تدبره وقبوله . ﴿ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تأمل وطاعة .

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أغطية جمع كنان . ﴿ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ صمم ، وأصله الثقل ، وقرئ بالكسر . ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ يمنعنا عن التواصل ، ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ . وهذه تمثيلات لنبو [٢] قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه واعتقادهم ومج أسماعهم له ، وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول ﷺ . ﴿ فَاعْمَلْ ﴾ على دينك أو فى إبطال أمرنا . ﴿ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ على ديننا أو فى إبطال أمرك .

الآيات من ٦ : ١٠

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ لست ملكًا ولا جنيًا لا يمكنكم التلقى منه ، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع ، وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة فى العمل ، وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل . ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ فاستقيموا فى أفعالكم متوجهين إليه ، أو فاستووا إليه

---

(٢) نُبُوّ بضم النون والباء وتشديد الواو : بعد .

بالتوحيد والإخلاص فى العمل . ﴿ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ، ثم هددهم على ذلك فقال . ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله .

﴿ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق ، وذلك من أعظم الرذائل ، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع . وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى أنفسهم وهو الإيمان والطاعة . ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وإنكارهم للآخرة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ عظيم ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل ، أو لا يقطع من مننت الحبل إذا قطعته . وقيل نزلت فى المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصلح ما كانوا يعملون .

حول بدء الخلق

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ فى مقدار يومين ، أو نوبتين وخلق فى كل نوبة ما خلق فى أسرع ما يكون . ولعل المراد من الأرض ما فى جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين أنه خلق لها أصلاً مشتركًا ثم خلق لها صوراً بها صارت أنواعاً ، ، وكفرهم به إلحادهم فى ذاته وصفاته . ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ﴾ ولا يصح أن يكون له ند . ﴿ ذَلِكَ ﴾ الذى خلق الأرض فى يومين . ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها .

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة . ﴿ مِن فَوْقِهَا ﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب . ﴿ وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان . ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به ، أو أقواتها تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها ، وقرئ وقسم فيها أقواتها . ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ فى تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام ، وإلى الكوفة فى خمسة عشر يوماً . ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين والتصريح

على الفذلكة . ﴿ سَوَاءً ﴾ أى استوت سواء بمعنى استواء ، والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر . وقيل حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها ، وقرئ بالرفع على هى سواء . ﴿ لِلسَّائِلِينَ ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الأقوات للطالبين لها .

الآيات من ١١ : ١٤

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) ﴾ .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ قصد نحوها من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوى على غيره ، والظاهر أن ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى المدة لقوله ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾[٣] ودحوها متقدم على

---

(٣) النازعات : ٣٠ .

* **الإعجاز العلمي**

من كتاب الإعجاز العلمي في الإعسلام يقول الشيخ / محمد عبد الصمد حول معني قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾

القرآن يصرح أن السماء كانت في بدء خلق الكون دخانا ، والعلم يقرر ذلك بعد أبحاثه المضنية في هذا الصدد ، فيقول العالم الفلكي « جيمس جينز » : الراجح أن مادة الكون بدأت غازا منتشرا خلال الفضاء بانتظام ، وأن السدائم [جمع سديم وهي السحب الكونية أو المجرات] خلقت من تكاثف هذا الغاز » وكذلك قال الدكتور جامو Dr.

خلق الجبال من فوقها . ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أمر ظلماني ، ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التى ركبت منها . ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة . أو ائتيا في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة ، أو الإخبار أو إتيان الأرض أن تصير مدحوة ، وقد عرفت ما فيه أو لتات كل منكما الأخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة أى لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما . ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ شئتما ذلك أو أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما ، وهما مصدران وقعًا موقع الحال . ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ منقادين بالذات ، والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها ، وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله ﴿ كن فيكون ﴾(٤) وما قيل من أنه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير ، وإنما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ﴿ ساجدين ﴾ (٥) .

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ فخلقهن خلقًا إبداعيًا وأتقن أمرهن ، والضمير للسماء علي المعنى ، أو مبهم ، وسبع سموات حال على الأول وتمييز على

---

(٤) البقرة ١١٧ ـ النحل : ٤٠ ـ يس : ٨٢ .

(٥) يوسف : ٤ والآية بتمامها هي : ﴿ إذ قال يوسف لابيه يا ابت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ .

* الإعجاز العلمى

جامو Dr. George Gamow.

« إن الكون كان مملوءاً بغاز موزع توزيعا منتظمًا . ومن هذا الغاز حدثت عمليات التحول النووي في مختلف العناصر » .

ونتساءل : أيكون في قدرة أمي كالنبي ﷺ منذ أربعة عشر قرنا . أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئا عن هذا الكون وخفاياه ؟!

ويأتي الجواب فورا . . أجل . . إنه الإعجاز العلمي الذي اتسم به القرآن الكريم ، الذي أنزل على رسوله الكريم .

الثانى(٦) ﴿ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ قيل : خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة .

﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً .

وقيل : أوحى إلى أهلها بأوامره ونواهيه . ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها . ﴿ وَحِفْظًا ﴾ أى وحفظناها من الآفات ، أو من المسترقة حفظًا . وقيل : مفعول له على المعنى كأنه قال : خصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظًا . ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ البالغ فى القدرة والعلم .

إنذار الكفار

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان . ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ﴾ فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة . ﴿ مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقًا فصعق صعقًا .

﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ ﴾ حال من صاعقة عاد ، ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفًا لأنذرتكم لفساد المعنى . ﴿ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة ، أو من جهة الزمن الماضى بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم فى الآخرة ، وكل من اللفظين يحتملهما ، أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغتهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين إلى الإيمان بهم أجمعين ، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ﴿ يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ (٧) .

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ بأن لا تعبدوا أو أى لا تعبدوا . ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا ﴾ إرسال الرسل . ﴿ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾ برسالته . ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ﴾ على زعمكم . ﴿ كَافِرُونَ ﴾ إذ أنتم بشرمثلنا لا فضل لكم علينا .

---

(٦) يعنى أنه إذا اعتبر الضمير في قضاهن يعود على السموات فإعراب سبع سموات حال من الضمير وإذا اعتبر الضمير مبهمًا فهو يحتاج إلي تمييز ، فتمييزه سبع سموات .

(٧) النحل : ١١٢ .

الآيات من ١٥ : ٢٢

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) ﴾ .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق . ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ اغترارًا بقوتهم وشوكتهم . قيل : كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده . ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى، قوى على ما لا يقدر عليه أحد غيره ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ يعرفون أنها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ باردة تهلك بشدة بردها من الصر (٨) وهو البرد الذى يصر أى يجمع ، أو شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير . ﴿ فِي أَيَّامٍ

(٨) الصِّر ـ بكسر الصاد ـ شدة البرد ، والريح الصرصر : الشديدة البرد أو الشديدة الصوت ـ المعجم الوجيز .

نَّحِسَاتٍ ﴾ جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً ، وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل ، أو الوصف بالمصدر قيل : كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عُذّب قوم إلا في يوم الأربعاء . ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أضاف العذاب إلى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله : ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ وهو فى الأصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازى للمبالغة . ﴿ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم .

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل، وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونًا فى الحالين وبضم الثاء . ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدي . ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ صاعقة من السماء فأهلكتهم ، وإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة . ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من اختيار الضلالة (٩).

---

(٩) حول مناسبة الآيات من أول السورة حتي هذه الآية ذكر ابن كثير في تفسيره القصة الآتية: قال الإمام العلم عبد بن حميد في مسنده : حدثني ابن ابي شيبة ، حدثنا على بن مسهر، عن الأجلح عن الذيال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحرو الكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا فليكلمه ، ولننظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم احداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : انت يا ابا الوليد .

فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، انت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال : فإن كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك . إنا والله ما راينا سخلة قط اشام على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتتت أمرنا، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا ، وان في قريش كاهنا ، والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحبلي ان يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتي نتفاني، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتي تكون أغني قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر اي نساء قريش فلنزوجك عشرا .

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ من تلك الصاعقة .

شهادة الجلود على أصحابها يوم القيامة

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾ وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهوالله عز وجل . وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء . ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار .

فقال رسول الله ﷺ : « فرغت ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ ﴿ فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ .

فقال عتبة : حسبك ، حسبك ، ما عندك غير هذا ؟

قال : لا . فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا اري انكم تكلمونه به إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بَنِيَّةً ما فهمت شيئًا مما قال ، غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .

قالوا : ويلك . يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة .

وفي رواية : فما وصل النبي ﷺ في قراءته إلى قوله تعالي: ﴿ انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ امسك عتبة على فيه ، وناشده الرحم ، ورجع إلى اهله ، ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، واعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة اصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد واعجبك طعامه ، فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، واقسم الا يكلم محمدا ابداً ، وقال : والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ، ولكني اتيته وقصصت عليه ، فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله : ﴿ فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف ، وقد علمتم ان محمدا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخشيت ان ينزل بكم العذاب .

ومعنى السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن .

والبنية : الكعبة .

وفي سيرة ابن هشام رواية اخرى لهذه القصة جـ ١ ص ٢٩٣ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور . ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بان ينطقها الله تعالى ، أو يظهر عليها آثاراً تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ سؤال توبيخ أو تعجب ، ولعل المراد به نفس التعجب . ﴿ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أى ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ، أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ، ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاماً فى الموجودات الممكنة . ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافاً .

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ أى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة ، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها . وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وهو عليه رقيب . ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فلذلك أجترأتم على ما فعلتم . (١٠) .

---

(١٠) ذكر القرطبي في تفسيره سببا لنزول هذه الآية فقال :

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع ثلاثة نفر ، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي ، قليل فقه قلوبهم ، كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟فقال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فهويسمع إذا أخفينا . . فأنزل الله الآية .

وقد خرجه الترمذي فقال اختصم عند البيت ثلاثة نفر ، ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا وقال : حديث حسن صحيح ولفظه عند الترمذي هو :

عن عبد الله بن مسعود قال : كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم ، قرشي وختناه ثقفيان ، أو ثقفي وختناه قرشيان ، فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم : أترون ان الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه . فقال الآخر : إن سمع منه شيئًا سمع كله . فقال عبد الله : فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون

الآيات من ٢٣ : ٢٦

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾ .

﴿ وَذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ظنهم هذا ، وهو مبتدأ وقوله : ﴿ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً وأرداكم خبراً . ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ إذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سبباً لشقاء المنزلين .

﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ لا خلاص لهم عنها . ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا ﴾ يسألوا العتبى وهى الرجوع إلى ما يسحبون . ﴿ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ المجابين إليها ونظيره قوله تعالى حكاية ﴿ أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ (١١) وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ، أي إن يسالوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة .

الشياطين قرناء الكافرين

﴿ وَقَيَّضْنَا ﴾ وقدرنا . ﴿ لَهُمْ ﴾ للكفرة . ﴿ قُرَنَاءَ ﴾ أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر . . وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة . ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات . ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة وإنكاره ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أى

أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ إلى قوله ﴿ فاصبحتم من الخاسرين ﴾ .

قال الثعلبي : والثقفي هو عبدياليل ، وختناه هما ربيعة وصفوان بن أمية .

(١١) إبراهيم : ٢١ .

كلمة العذاب . ﴿ في أُمَمٍ ﴾ فى جملة امم كقوله :

إنْ تَكُ عَنْ أحْسَنِ الصَّنيعَةِ مأْ فُوكًا ففي آخَرِينَ قدْ أُفِكُوا (١٢)

وهو حال من الضمير المجرور . ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب ، والضمير لهم وللأمم .

تشويس الكفار على القرآن حين يقرأ

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ ، وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو إذا هدى . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ أى تغلبونه على قراءته(١٣) .

الآيات من ٢٧ : ٣٣

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

---

(١٢) هذا البيع لعروة بن أذينة الشاعر الأموي .
والمافوك هو المصروف والمنقلب عن أحسن العطاء .
يقول : إن كنت منصرفا عن أحسن العطاء فأنت في جملة ناس آخرين قد أُفكفوا وصُرفُوا عن الإحسان . فلست في ذلك باوحد .

(١٣) أوصى الله سبحانه وتعالى بضرورة الإنصات إلى القرآن حين يتلى والتدبر في معاني ما يسمع فقال : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ وهذا أمر وجوبي يحتم على السامعين في المحافل للقرآن أن يستجيبوا لهذا الأمر الإلهي ، ولا يكونوا مثل الكفار الذين ورد فيهم قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغو فيه ﴾ .

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ المراد بهم هؤلاء القائلون ، أو عامة الكفار .﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سيئات أعمالهم وقد سبق مثله .

﴿ ذَلِكَ ﴾ : إشارة إلى الأسوأ . ﴿ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴾ خبره .﴿ النَّارُ ﴾ عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف .﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾ فى النار . ﴿ دَارُ الْخُلْدِ ﴾ فإنها دار إقامتهم ، وهو كقولك : في هذه الدار دار سرور ، وتعنى بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة . ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ينكرون الحق أو يلغون ، وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان . وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل (١٤) ، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ ، وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء . ﴿ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ ندوسهما انتقاماً منهما ، وقيل نجعلهما فى الدرك الأسفل . ﴿ لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ مكانًا أو ذلاً .

عظم ثواب الاستقامة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته . ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(١٥) فى العمل وثم لتراخيه عن الإقرار فى الرتبة من حيث إنه مبدأ

---

(١٤) رواه الطبري في تفسيره عن علي رضي الله عنه . وقال السدي عن علي رضي الله عنه ، فإبليس يدعو به كل صاحب شرك ، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة ، فإبليس لعنه الله هو الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه ، وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث « ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل » .

(١٥) من الآثار الواردة في فضل الاستقامة ما رواه مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك . قال :

الاستقامة، أو لأنها عسر قلمًا تتبع الإقرار ، وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها . . .

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن ، أو عند الموت أو الخروج من القبر . ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا ﴾ ما تقدمون عليه . ﴿ وَلا تَحْزَنُوا ﴾ على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة مقدرة بالباء أو مفسرة . ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فى الدنيا على لسان الرسل .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم . ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ فى الآخرة . ﴿ مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ ﴾ من اللذائذ . ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول .

﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ حال من ما تدعون للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل (١٦) للضيف .

مقابلة السيئة بالحسنة

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى عبادته . ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ فيما بينه وبين ربه . ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ تفاخرًا به واتخاذًا للاسلام دينًا ومذهبًا من قولهم : هذا قول فلان لمذهبه . والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات . وقيل : نزلت في النبى ﷺ وقيل فى المؤذنين .

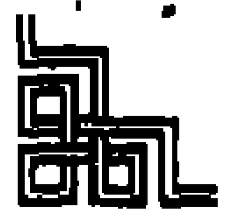
« قل آمنت بالله ثم استقم » وزاد الترمذي : قلت : يا رسول الله ، ما اخوف ما تخاف على ؟ فاخذ بلسان نفسه وقال : « هذا » .

ورواه الإمام احمد في مسنده جـ ٤ ص ٣٨٤ من حديث عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه بلفظ : إن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا اسأل عنه احدا بعدك .

(١٦) النزل ـ بضم النون والزاي ـ الرزق والضيافة .

الآيات من ٣٤ : ٤٠

﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
(٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ
وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ
خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ
فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(٤٠) ﴾ .



﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ﴾ فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي . ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى أحسن منها الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقًا ، أو باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وإنما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال : كيف أصنع ؟ للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة . ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾أى إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق.

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا ﴾ وما يلقي هذه السجية وهي مقابلته الإساءة بالإحسان .﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ فإنها تحبس النفس عن الانتقام .﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ من الخير وكمال النفس وقيل الحظ الجنة .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ نخس شبه به وسوسته لأنها تبعث الإنسان علي ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ ، وجعل النزغ نازغا علي طريقة جديدة، أوأريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر .﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ من شره ولا تطعه .﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾لاستعاذتك ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنيتك أو بصلاحك .

من آيات الله

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ ﴾

* الإعجاز العلمي

حول قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ... ﴾

يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا وكيل كلية علوم القاهرة تحت عنوان أقمار المجموعة الشمسية .

الأرض التي نعيش عليها هي أحد الكواكب التسعة المعروفة حاليا في مجموعتنا الشمسية . والقمر الذي يرافق الأرض في دورانها حول الشمس هو القمر الطبيعي الذي عرفه الإنسان منذ تطلع بناظريه نحو السماء ، ثم نجح أخيراً في الوصول إليه والهبوط على سطحه .

لكن قمر الأرض ليس هو القمر الطبيعي الوحيد في مجموعتنا الشمسية فقد تم حتى الآن اكتشاف ما لا يقل عن ستين (٦٠) قمرا تدور حول معظم الكواكب المعروفة . ويسعى العلماء إلى جمع المزيد من المعلومات عن هذه الأقمار لمعرفة تاريخ نشأتها وطبيعة علاقاتها بالكواكب التي تدور حولها ، وبالكون الذي تنتمي إليه .

أما عطارد والزهرة ، وهما الأقرب إلى الشمس ، فلم يكتشف حتي الآن وجود أقمار تدور حولهما ، وإذا بدأنا بكوكب المريخ الذي يلي الأرض في الترتيب بعيداً عن الشمس فإن اكتشاف قمرية «فوبوس » و « ديموس » لم يتم إلا في عام ١٨٧٧ م ، ويليه كوكب المشترى ، أكبر كواكب المجموعة الشمسية الذي يجتذب إلى مجاله ستة عشر قمراً على الأقل ، معروفًا حتى الآن ، مكونا بذلك مجموعة صغيرة أشبه بمجموعتنا الشمسية .

وإذا انتقلنا إلى كوكب زحل الذي يحتاج لتسعة وعشرين عاما ونصف ليقوم بدورة واحدة حول الشمس ، فإننا نجد أن نظام أقماره يضم سبعة عشر قمراً تدور معظمها في مدارات دائرية تقريبا عند منطقة زحل في اتجاه معاكس لعقارب الساعة ، ومنها اثنان يدوران في اتجاه عقارب الساعة .

ونصل إلى الكوكب السابع « أورانوس » الذي يضم خمسة عشر قمراً ، ثم الكوكب « نبتون» الذي بلغ عدد أقماره المعروفة حتي الآن ثمانية أقمار .

وأخيراً يأتي الكوكب التاسع «بلوتو» الذي يقع على حافة المجموعة الشمسية ولا يتبعه غير قمر واحد يسمى «تشارون» ولا يزال بالنسبة لناشيئا غامضاً لا نعرف عنه إلا القليل جداً .

وهكذا نجد أن العلم يكشف لنا دائما عن حقائق جديدة في ملكوت الله الفسيح ، وقد يكون هناك في الكون أقمار أخرى تدور حول منظومة شمسية أخرى ، بعد أن أحصى العلماء أكثر من مائة بليون بليون نجم (أو شمس) في الكون المعروف لنا ، ونجد بعض =

لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم .﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة . والمقصود تعليق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار .﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فإن السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به ، وعند أبي حنيفة آخر الآية الأخري لأنه تمام المعني .

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الامتثال ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي دائما لقوله : ﴿ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴾ أي لا يملون .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ يابسة متطامنة(١٧) مستعار من الخشوع بمعني التذلل .﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات ، وقرئ ربات أي زادت .﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا ﴾. بعد موتها ﴿ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الإحياء والإماتة .

عاقبة الذين يميلون عن الاستقامة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون عن الاستقامة .﴿ فِي آيَاتِنَا ﴾ بالطعن والتحريف والتاويل بالباطل والإلغاء فيها .﴿ لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فنجازيهم علي إلحادهم .﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة في إحماد حال المؤمنين .﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ تهديد شديد . ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾وعيد بالمجازاة .

---

(١٧) متطامنة : ساكنة منخفضة متذللة .

* الإعجاز العلمى

المفسرين للآيات الكونية في القرآن الكريم ما يتفق مع حقيقة تعدد الأقمار والشموس في الكون ، وذلك في مثل قوله تعالي : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [فصلت :٣٧] .

وذلك إذا اعتبرنا أداة التعريف « ال » في كلمتي «القمر» و «الشمس» للجنس ، ويؤكد هذا الاعتبار وجود ضمير الجمع المؤنث في كلمة «خلقهن» .

الآيات من ٤١ : ٤٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) ﴾ .

وصف القرآن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ بدل من قوله ﴿ إن الذين يلحون فى آياتنا ﴾ أو مستانف وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون ، أو أولئك ينادون والذكر القرآن . ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتاتي إبطاله وتحريفه .

﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية ﴿ تنزيل مِّنْ حَكِيمٍ ﴾ اى حكيم . ﴿ حَمِيدٍ ﴾ يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه .

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ أى ما يقول لك كفار قومك . ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم ، ويجوز أن يكون المعنى ما يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لانبيائه . ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لأعدائهم، وهو على الثانى يحتمل أن يكون المقول بمعني أن حاصل ما أوحى إليك وإليهم ، وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾ جواب لقولهم : هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر . ﴿ لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ بينت بلسان نفقهه . ﴿ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ اكلام اعجمى ومخاطب عربي إنكار مقرر للتخصيص ، والأعجمى

يقال للذى لا يفهم كلامه . وهذا قراءة أبى بكر وحمزة والكسائي، وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وإبدال الثانية ألفاً ، وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب إلى العجم ، وقرأ هشام أعجمى على الإخبار ، وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب ، والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور ، أو للدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت . ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى ﴾ إلي الحق . ﴿ وَشِفَاءٌ ﴾ لما فى الصدور من الشك والشبه . ﴿ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ مبتدأ خبره . ﴿ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله : ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ، ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى . ﴿ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أى صم، وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة . ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن . ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ ، أو تقدير الآجال . ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ باستئصال المكذبين . ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون . ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من التوراة أو القرآن . ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موجب للاضطراب .

الآيات من ٤٦ : ٥٠

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨) لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) ﴾

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ نفعه . ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ضره . ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

الله عنده علم الساعة

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ اي إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلا هو . ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ من أوعيتها جمع كم بالكسر . وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع ، وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ، ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ ﴾ بمكان . ﴿ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ إلا مقرونًا بعلمه واقعًا حسب تعلقه به . ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ بزعمكم . ﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ ﴾ أعلمناك . ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة إذا تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ ، أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا . وقيل هو قول الشركاء أى ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ ﴾ يعبدون . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ لا ينفعهم أولا يرونه . ﴿ وَظَنُّوا ﴾ وأيقنوا . ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى .

من طبيعة النفس البشرية

﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ ﴾ لا يمل . ﴿ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ من طلب السعة في النعمة ، وقرئ من دعاء بالخير ﴿ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الضيقة . ﴿ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾(١٨) وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور أثر اليأس .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ بتفريجها عنه . ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ حقى أستحقه لما لى من الفضل والعمل ، أولى دائمًا لا يزول . ﴿ وَمَا أَظُنُّ

---

(١٨) يوسف : ٨٧ .

﴿ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ تقوم . ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة ، وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه . ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فلنخبرنهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها . ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ لا يمكنهم التقصى عنه .

الآيات من ٥١ : ٥٤

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤) ﴾ .

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ ﴾ عن الشكر . ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا ، والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله ﴿ فى جنب الله ﴾(١٩) . ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ كثير مستعار مماله عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره، وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين ، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله؟ .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبرونى . ﴿ إِن كَانَ ﴾ اى القرآن ﴿ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ اى من أضل منكم ، فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم .

الكشوفات العلمية الحديثة ودلالتها علي قدرة الله وإعجاز القرآن

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ ﴾ يعنى ما اخبرهم النبى عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية ، وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة ﴿ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ ما

(١٩) الزمر : ٥٦ .

ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم ، أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة . ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ الضمير للقرآن أو الرسول

*** الإعجاز العلمي**

حول قول الله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم .... ﴾

يقول دكتور / فتحي عبد الوهاب النجار بمستشفي الحلمية العسكري في مقال عن الحركة في الإنسان

وحركة كل كائن تتوقف طبيعتها على حسب وظيفة الكائن في الحياة وطريقة تكوينه . حيث تختلف الحركة من كائن لآخر والحركة دائما ترتبط بالنشاط والحيوية وذلك عكس السكون فهو يرتبط بالخمول والكسل ولذلك قالوا « الحركة فيها بركة » وقالوا أيضا « اليد الباطلة نجسة »

وإذا نظرنا إلى جهاز الحركة في الإنسان يجب علينا أن نضع في اعتبارنا ثلاث نقاط أساسية وهي : أولا : مفصل يتكون في تركيبه بطريقة معينة تلائم وظيفته ، فإما أن يعمل حركة في اتجاه واحد كمفصل الكوع أو مفاصل الأصابع أو يعمل حركة في مستويين كمفصل الركبة الذي يعمل قليلا من الدوران إلى الخارج والداخل بجانب الثني والفرد أو مفصل عديد الحركات كمفصل الكتف والحوض .

ثانيا : عضلة تعبر المفصل تعمل عليه كالرافعة .

ثالثا : عصب يغذي العضلة بالنبضات العصبية اللازمة للانقباض ويوضح هذا قدرة الله سبحانه وتعالى في حركة اليد كمثال .

حيث إذا أراد الإنسان أن يفرد يده تحدث هذه الحركة في أجزاء من الثانية وتظن أنها عملية سهلة لما نراه من يسر وسهولة وسلاسة ولكن إذا نظرنا إلى التغييرات الفسيولوجية والميكانيكية التي تحدث أثناء حركة اليد نجد أنهاعملية غاية في التعقيد والصعوبة تتجلى فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى . فالنبضة العصبية عندما تصل إلى العضلات عن طريق الأعصاب بواسطة الناقل العصبي فيحدث ACETYL CHOLIN تغيرات في أيونات الصوديوم +NA والبوتاسيوم K في غشاء العضلات مما ينتج عنه فرق جهد كهربائى . في وجود مصدر الطاقة تتداخل الألياف ATP العضلية في بعضها فتنقبض العضلات وبالتالي تنقبض اليد ولكي تتم هذه العملية لا بد أن يحدث في نفس الوقت ارتخاء للعضلات المعاكسة التي تبسط اليد .

ولا يقتصر الإعجاز الإلهي على ذلك فقط بل على قدرة بعض العضلات على التعبير

أو التوحيد أو الله ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾ أى أو لم يكف ربك ، والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل : أو لم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل إلا مع كفى . ﴿ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ بدل منه ، والمعنى أو لم يكف أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة ، أو مطلع فيعلم حالك وحالهم ، أو لم يكف الإنسان رادعًا عن المعاصى أنه تعالي مطلع على كل شئ لا يخفي عليه خافية .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك ، وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية . ﴿ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ بالبعث والجزاء . ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها ، مقتدر عليها لا يفوته شئ منها .

* الإعجاز العلمى

كعضلات الوجة والتي تستطيع عن طريق بعض الانقباضات والانبساطات والتي لا دخل لنا فيها عن التعبير عن كثير من المشاعر والأحساسيس كالفرح والحزن والاكتئاب والابتهاج والغضب والرضا والانبهار وغيرها من الأفعال التي توضح طلاقة قدرة وإبداع الخالق .

إن الجهاز الحركي في الإنسان لكي نحافظ عليه فلا بد أن نقوي العضلات عن طريق بعض التمارين المتخصصة وكذلك المحافظة على ليونة المفاصل فنبعد بها عن الخشونة والتيبس الذي ممكن أن يصيبها .

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى كثيرا من الوسائل الطبية للحفاظ على الجهاز الحركي فالماء الساخن مثلا إذا طبق على العضلات المجهدة أن يزيد من الدورة الدموية والغداء اللازم للعضلة وبالتالي طرد الفضلات الناتجة عن عمل العضلات لفترات طويلة والتي قد تؤدي إلى بعض الآلام والتقلصات العضلية . والثلج مثلا يستطيع أن يقضي على بعض الأورام التي تحدث نتيجة الكدمات أو الالتهابات المختلفة في الأنسجة العضلية والمفاصل .

وفي مجال العلاج الطبيعي كثير من الوسائل الطبيعية التي تحافظ وتعالج آلام الجهاز الحركي الشائعة كآلام الظهر والعنق والمفاصل وتمزق العضلات والأربطة . فإذا تأملنا بعض العبادات كالصلاة نجد أنها نموذج رائع للتمارين التي تقوى عضلات الساقين والساعدين والظهروالبطن وتحافظ أيضًا على ليونة الفقرات والمفاصل .

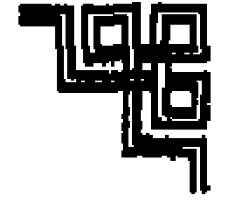
وبالتالي فهي برنامج علاجي ووقائى رائع للجهاز الحركي تصل فائدته إلى الحد الأقصى مع الهدوء النفسي والارتخاء الذي يحققه الخشوع للجهاز التنفسي للإنسان .

فضل سورة فصلت

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات»(٢٠) .

(٢٠) رواه الزمخشري في تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث ابي بن كعب رضي الله عنه .

(٤٢) سورة الشوري مكية
وآياتها ثلاث وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٥

﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ② كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④ تَكَادُ السَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑤﴾

﴿حم﴾.

﴿عٓسٓقٓ﴾ لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعُدًّا آيتين ، وإن كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم ، وقرئ حم سق . (٢)

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية ما عدا الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ فمدنية وفي تفسير القرطبي . مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة : إلا اربع آيات منها أنزلت بالمدينة ﴿ قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى ﴾ إلى آخرها اي الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

وقد نزلت هذه السورة بعد سورة فصلت .

(٢) فى قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ـ تفسير الكشاف ـ .

جاء في تفسير القرطبي ـ قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما ، وعنده حذيفة بن اليمان : اخبرنى عن تفسير قوله تعالى : ﴿ حم عسق ﴾ فأعرض عنه ، حتى أعاد عليه ثلاثا فاعرض عنه . فقال حذيفة بن اليمان : أنا انبئك بها قد عرفت لم تركها . نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الإله او عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا ، فإذا أراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ، بعث على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحترق كلها كأنها لم تكن في مكانها ، فتصبح صاحبتها متعجبة : كيف قلبت ؟ فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد ، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا وذلك قوله « حم عسق » أي عزمة من

﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى مثل ما في هذه السورة من المعاني ، أو إيحاء مثل إيحائها أوحي الله إليك وإلي الرسل من قبلك ، وإنما ذكر بلفظ المضارع علي حكاية الحال الماضية للدلالة علي استمرار الوحي وإن إيحاء مثله عادته ، وقرأ ابن كثير يوحي بالفتح علي أن كذلك مبتدأ ويوحي خبره المسند إلي ضميره ، أو مصدر ويوحي مسند إلي إليك ، والله مرتفع بما دل عليه يوحي ، والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحي به كما مر في السورة السابقة ، أو بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان . وقوله :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ خبران له وعلي الوجه الآخر استئناف مقرر لعزته وحكمته .

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء . ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ يتشققن من عظمة الله ، وقيل من ادعاء الولد له ، . وقرأ البصريان (٣) وابو بكر ينفطرن بالنون ، والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فَطَّر ، وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر . ﴿ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية ، وتخصيصها علي الأول لأن أعظم الآيات وادلها علي علو شانه من تلك الجهة ، وعلي الثاني ليدل علي الانفطار من تحتهن بالطريق الأولي . وقيل : الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس . ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلي الطاعة ، وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد ، وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة . ﴿ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو

عزمات الله وفتنة ، وقضاء حُمٌ .

وروى عن جرير بن عبد الله البجلى حديث مثله .

وروى نافع عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الحروف قال : الحاءحلمه تعالى، والميم مجده ، والعين علمه ، والسين سناه ، والقاف قدرته . تفسير القرطبي .

(٣) البصريان هما ابو عمرو أبان بن العلاء البصري ، وابو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي بالولاء البصرى المقرئ المشهور ت ٢٠٥ هـ .

حظ من رحمته ، والآية علي الأول زيادة تقرير لعظمته وعلي الثاني دلالة علي تقدسه عما نسب إليه ، وإن عدم معاجلتهم بالعقاب علي تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته .

الآيات من ٦ : ١٠

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) ﴾

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ شركاء وأندادا . ﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ رقيب علي أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها . ﴿ وَمَا أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ بموكل بهم أو بموكول إليك أمرهم .

مهمة الوحي

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ الإشارة إلي مصدر يوحي أو إلي معني الآية المتقدمة ، فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه . ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أهل ام القري وهي مكة شرفها الله تعالي . ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ من العرب ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ يوم القيامة يجمع فيه الخلائق و الأرواح والأشباح ، أو العمال والأعمال ، وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم ، وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن . ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ اعتراض لا محل له من الإعراب . ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ أى بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون ، والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه ، وقرئا منصوبين علي الحال منهم أي

وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعني مشارفين للتفرق ، أو متفرقين في داري الثواب والعقاب .

الله ولي المؤمنين

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ مهتدين أو ضالين ﴿ وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ بالهداية والحمل علي الطاعة . ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ أي يدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ، ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا ﴾ بل اتخذوا . ﴿ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ كالأصنام . ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ جواب الشرط محذوف مثل إن ارادوا أولياء بحق فالله الولي بالحق . ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية .

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ﴾ أنتم والكفار . ﴿ فِيهِ مِن شَيْءٍ ﴾ من أمر من أمور الدنيا أو الدين ﴿ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة . وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلي المحكم من كتاب الله . ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ في مجامع الأمور . ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ إليه أرجع في المعضلات

الآيات من ١١ : ١٤

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) ﴾

﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره : ﴿ جَعَلَ لَكُم ﴾ وقرئ بالجر علي البدل من الضمير أو الوصف لإلي الله . ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم . ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ نساء . ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجا ، أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا . ﴿ يَذْرَؤُكُمْ ﴾ يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو والضمير علي الأول للناس ، والأنعام علي تغليب المخاطبين العقلاء . ﴿ فِيهِ ﴾ في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام ازواجا يكون بينهم توالد ، فإنه كالمنبع للبث والتكثير . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ اى ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه ، والمراد من مثله ذاته كما في قولهم : مثلك لا يفعل كذا ، علي قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولي ، ونظيره قول رقيقة بنت صيفي(٤) في سقيا عبد المطلب :

---

(٤) هي رُقَيْقَة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف ، اوردها الطبرى وجعفر المستغفري في الصحابيات ، وقال أبو نعيم : « لا أراها ادركت البعثة والدعوة . وذكر ابن الأثير في أسد الغابة قصة السقيا التى أشار إليها المؤلف . قال : اخبر مخرمة بن نوفل عن أمهُ رقيقة ـ وكانت لدة عبد المطلب بن هاشم ـ قالت : تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع ، وادقت العظم ، فبينا أنا راقدة إذ أنها بهاتف يصرخ بصوت صحِل يقول : يا معشر قريش، إن هذا النبى مبعوث ، قد اظلتكم أيامه ، وهذا إبان نجومه ، فَحيٌّ هلا بالحيا والخصب ، الا فانظروا رجلا منكم وسيطا ، عُظامًا جُسَاما ، ابيض بَضًّا ، اوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسُنَّةٌ تهدى إليه ، فليخلص هوووِلده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء ، وليمسوا من الطيب، وليستلموا الركن ، ثم ليرقوا أبا قبيس ، ثم ليدع الرجل وليؤمن القوم ، فغثتم ما شئتم .

فاصبحت ـ علم الله ـ مذعورة ، اقشعر جلدى ، ودَلَة عَقلى ، واقتصصت رؤياى ، ونمت في شعاب مكة ، فو الحرمة والحرم ما بقى أبطحى إلا قال : هذا شيبة الحمد ، وتناهت إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل ، فَشَنُّوا وتَمَسُّوا واستلموا ، ثم ارتقوا أبا قبيس ، واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مَهْله ، حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع أو كرب ـ فرفع يديه فقال : اللهم سادٌ الخلَّة ، وكاشف الكربة ، انت مُعَلِّم غير مُعَلَّم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عِبْداك وإماؤك

الا وفيهم الطيب الطاهر لداته (٥) ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معني ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه . وقيل : مثله صفته أى ليس كصفته صفة . ﴿ وهو السميع البصير ﴾ لكل ما يسمع ويبصر .

﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ خزائنها (٦) . ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يوسع ويضيق علي وفق مشيئته . ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾ فيفعله علي ما ينبغي .

بعذرات حرمك ، يشكون إليك سنتهم التي اذهبت الخف والظلف ، اللهم فامطر علينا مغدقا مرتعا ، فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بما فيها ، واكتظ الوادي بثجيجه . فسمعت شيخان قريش وجلها : عبد الله بن جدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب : هنيئا لك أبا البطحاء ، اي : عاش بك أهل البطحاء . وفي ذلك تقول رقيقة:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

شرح المفردات في الخبر :

لدة : في سنه ـ اقحلت : ايبست ـ إبان : وقت . حي هلا : كلمة للتعجيل . الحيا : المطروالخصب ـ العُظام بضم العين : العظيم ، والجُسام بضم الجيم : الجسيم ، البَض : الرقيق البشرة ـ الأوطف : الطويل ـ الأشم : المرتفع ـ العرنين : الأنف . له فخر يكظم عليه : يخفيه ـ السُنَّة : الطريقة ـ يشنوا : يصبُّوا والمقصود الاغتسال ـ دله عقلي : تحير ـ الخلة : الحاجة ـ عبداك : عبادك ـ العذرات : الأفنية ـ الثجيج : سيلان الماء بكثرة ـ الشيخان : المشايخ ـ اجلوذ : تأخر . أسد الغابة جـ ٧ ص ١١٢ .

(٥) لداته : جمع لِدة وهو المماثل والشبيه . وهذا التعبير من قبيل الكناية فهي تريد طهارته وطيبه .

(٦) المقاليد : المفاتيح والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن ، وهي جمع مقليد ومقلاد ، وأكثر ما يستعمل فيه : إقليد ـ وقال السدى : المقاليد الخزائن .

جاء في تفسير القرطبي عن ابن عمر ان عثمان رضى الله عنه سال رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « ما سالنى عنها احد : لا إله إلا هو ، والله اكبر ، وسبحان الله وبحمده ، استغفر الله ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن يحيى ويميت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير » وقد سبق ذكر ذلك في سورة الزمر .

الدين واحد لا اختلاف فيه

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من أرباب الشرائع، وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله ومحله النصب علي البدل من مفعول شرع، أو الرفع علي الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع أو الجر علي البدل من هاء به .﴿ ولا تتفرقوا فيه ﴾ ولاتختلفوا في هذا الأصل أما فروع الشرائع فمختلفة كما قال ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾(٧) ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ عظم عليهم .﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد .﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يجتلب إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين .﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ﴾ بالإرشاد والتوفيق .﴿ مَن يُنِيبُ ﴾يقبل إليه .

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا ﴾ يعني الأمم السالفة .وقيل أهل الكتاب لقوله .﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ (٨) ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه، أو العلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام ، أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا إليها ، ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ عداوة أو طلبا للدنيا . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بالإمهال .﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هو يوم القيامة أوآخر أعمارهم المقدرة.﴿ لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ باستئصال المبطلين حين اقترفوا لعظم ما اقترفوا .﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول ﷺ ، أوالمشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب ، وقرئ ورثوا وورثوا .﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من كتابهم لايعلمونه كما هو أولا يؤمنون به حق الإيمان، أو من القرآن .﴿ مُرِيبٍ ﴾ مقلق أو مدخل في الريبة .

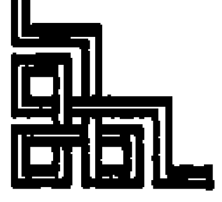
الآيات من ١٥ : ١٧

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا

---

(٧) المائدة: ٤٨ .   (٨) البينة : ٤ .

حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) ﴾



﴿ فَلِذَٰلِكَ ﴾ فلأجل ذلك التفرق أو الكتاب ، أو العلم الذي أوتيته .﴿ فَادْعُ ﴾ إلي الاتفاق علي الملة الحنيفة أو الاتباع لما أوتيت ، وعلي هذا يجوز أن تكون اللام فى موضع إلي لإفادة الصلة والتعليل .﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ واستقم علي الدعوة كما أمرك الله تعالي .﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ الباطلة .﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾ يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض . ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ في تبليغ الشرائع والحكومات والأول إشارة إلي كمال القوة النظرية وهذا إشارة إلي كمال القوة العملية .﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ خالق الكل ومتولي أمره .﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾وكل مجازي بعمله .﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ بمعني لاخصومة إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوي العناد. ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ مرجع الكل لفصل القضاء ، وليس في الآية ما يدل علي متاركة الكفار رأسا حتي تكون منسوخة بآية القتال.

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾ في دينه ﴿ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه ، أو من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر ، أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته واستفتحوا به . ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ زائلة باطلة . ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ لمعاندتهم. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ علي كفرهم .

المماراة في قيام الساعة ضلال

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ ﴾ جنس الكتاب .﴿ بِالْحَقِّ ﴾ملتبسا به بعيدا من الباطل ، أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام .﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ والشرع الذي توزن به الحقوق ويسوي بين الناس ، أو العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن بأن

أوحي بإعدادها .﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ إتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب علي العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي توزن فيه أعمالك وتوفي جزاءك . وقيل تذكير القريب لأنه بمعني ذات قرب ، أو لأن الساعة بمعني البعث .

الآيات من ١٨ : ٢٣

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) ﴾

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ استهزاء . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خائفون منها مع اعتيابها لتوقع الثواب . ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ أي الكائن لا محالة . ﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة . ﴿ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات إلي المحسوسات ، فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه .

من لطف الله بعباده رزقهم

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الأفهام . ﴿ يَرْزُقُ مَن

يَشَاءُ ﴾ أي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر ما اقتضته حكمته. ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ ﴾ الباهر القدرة ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ المنيع الذي لا يغلب .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل ولذلك قيل : الدنيا مزرعة الآخرة ، والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض ويقال للزرع الحاصل منه ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ فنعطه بالواحد عشرا إلي سبعمائة فما فوقها . ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ شيئا منها علي ما قسمنا له . ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ إذ الأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوي .

الشياطين يزينون للكافرين الكفر

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ بل الهم شركاء ، والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم . ﴿ شَرَعُوا لَهُم ﴾ بالتزيين . ﴿ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا . وقيل شركاؤهم وأوثانهم وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها شركاء ، وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا ، و صور من سنه لهم .﴿ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﴾ أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء ، أو العدة بان الفصل يكون يوم القيامة . ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بين الكافرين والمؤمنين ، أو المشركين وشركائهم . ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقرئ أن بالفتح عطفا علي كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ، فإن العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة .

﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ ﴾ في القيامة . ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين . ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ من السيئات . ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ اى وباله لاحق بهم اشفقوا أو لم يشفقوا . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾ في اطيب بقاعها وأنزهها . ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم . ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي المؤمنين . ﴿ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا .

الدعوة إلي مودة ذوي القربي

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد ، أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره . ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ علي ما أعطاه من التبليغ والبشارة . ﴿أَجْرًا﴾ نفعا منكم . ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾اي تودوني لقرابتي منكم ، او تودوا قرابتي، وقيل : الاستثناء منقطع والمعني : لا اسالكم اجرا قط ولكني اسالكم المودة، وفي القربي حال منها اي إلا المودة ثابتة في ذوي القربي متمكنة في أهلها أو في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث « الحب في الله والبغض في الله»(٩) روي : انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال . «علي وفاطمة وأبناهما »(١٠)

---

(٩) ذكره الزمخشرى في تفسيره ليس على أنه حديث بل على أنه تفسير لمعنى القربى

(١٠) أخرجه الطبراني وابن أبى حاتم و الحاكم في مناقب الشافعي من حديث مسند إلى ابن عباس رضى الله عنهما وأخرجه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ٦ ص ٨ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه ابن كثير في تفسيره جـ ٥ ص ١٨٩ إلا انه ضعيف احد رواته هو حسين الأشقر .

قال ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث :

ورود هذا الحديث في تفسير هذه الآية يفيد ان الآية مدنية لأن عليًا كرم الله وجهه لم يتزوج فاطمة رضى الله عنها إلا فى المدينة بعد موقعة بدر . والمعروف ان السورة بما فيها هذه الآية مكية .

قال : ولا ينافي ذلك الوصاة باهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذريةطاهرة ، من اشرف بيت وجد على ظهر الارض فخرًا ونسبًا وحسبًا ، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلى واهل بيته وذريته رضي الله عنهم اجمعين . وقد وردت أحاديث عدة في فضل اهل البيت نذكر منها ما رواه ابن كثير في تفسيره وأجمع الرواة على صحته :

وقيل القربي التقرب إلي الله أي إلا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ، وقرئ إلا مودة في القربي .

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول الله ﷺ ، وقيل نزلت في اي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه ومودته لهم ﴿ نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ في الحسنة بمضاعفة الثواب ، وقرئ يزد أي يزد الله وحسني . ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمن اذنب . ﴿ شَكُورٌ ﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة .

---

* في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال في إحدى خطبه : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى ، وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض » أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ باب : من فضائل علي رضى الله عنه ومسند أحمد جـ ٣ ص ١٤ من حديث أبى سعيد الخدري ج٤ ص٣٦٧ من حديث زيد بن أرقم .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقى بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . قال : فغضب النبى ﷺ غضباً شديداً وقال : « والذى نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله » أخرجه أحمد فى مسنده جـ ١ ص ٢٠٧ .

وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال : ارقبوا محمداً فى أهل بيته . رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابةرسول الله ﷺ جـ ٥ ص ٢٦ .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمنه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » رواه الترمذي وحسنه . تحفة الأحوذي باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ جـ ١٠ ص ٢٨٩ .

وعن ابى ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقه قال : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن انكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » رواه الحافظ ابو يعلي وراجع تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ١٨٩ وما بعدها ـ طبعة دار الشعب ـ تحقيق د . محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، وعبد العزيز غنيم .

الآيات من ٢٤ : ٢٧

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ بل ايقولون ، ﴿ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ افتري محمد بدعوي النبوة أو القرآن. ﴿ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار علي أنه إنما يجترئ عليه من كان مختوما علي قلبه جاهلا بربه ، فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال: إن يشأ الله خذلانك يختم علي قلبك لتجترئ بالافتراء عليه، وقيل: يختم علي قلبك: يمسك القرآن او الوحي عنه ، أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم . ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتري لمحقه إذ من عادته تعالي محو الباطل وإثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم وإثبات حقه بالقرآن، أو بقضائه الذي لايمد له ، وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالي ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ (١١) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه ، والقبول يعدي إلي مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معني الأخذ والإبانة، وقد عرفت حقيقة التوبة، وعن علي رضي الله عنه : هي اسم يقع علي ستة معان: علي الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته، ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء. ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة ، وقرأ الكوفيون غير أبي بكر ما تفعلون بالتاء.

---

(١١) الإسراء : ١١

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في ﴿ وإذا كالوهم ﴾ (١٢) والمراد إجابة الدعاء او الإثابة علي الطاعة، فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «أفضل الدعاء الحمد لله» أويستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها، ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ علي ما سالوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة، ﴿ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

حكمة الله في بسط الرزق وتضييقه

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ﴾ لتكبروا وافسدوا فيها بطرا، او لبغي بعضهم علي بعض استيلاء واستعلاء وهذا علي الغالب ، واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحري كمية او كيفية . ﴿ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ﴾ بتقدير. ﴿ مَّا يَشَاءُ ﴾ كما اقتضته مشيئته . ﴿ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم . روي ان أهل الصفة تمنوا الغني فنزلت . وقيل في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا (١٣)

الايات من ٢٨ : ٣٥

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

---

(١٢) المطففين : ٢

(١٣) من الآثار الواردة في هذا المعنى قوله ﷺ : « اخوف ما اخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها » أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا ان رسول الله ﷺ قال هذا . وزاد : « وكان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك ، وفي الصحيحين من حديث ابى سعيد الخدرى بلفظ : « إن اخوف ما اخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا » .

لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أيسوا منه ، وقرئ بكسر النون . ﴿ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان . ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ ﴾ الذي يتولي عباده بإحسانه ونشر رحمته . ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المستحق للحمد علي ذلك .

من دلائل قدرة الله

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فإنها بذاتها وصفاتها تدل علي وجود صانع قادر حكيم ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا ﴾ عطف علي السموات أو الخلق . ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾ من حي علي إطلاق إسم المسبب علي السبب ، أو مما يدب علي الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أن فيها في الجملة . ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ ﴾ أى في أي وقت يشاء . ﴿ قَدِيرٌ ﴾ متمكن منه وإذا كما تدخل علي الماضي تدخل علي المضارع .

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ فبسبب معاصيكم ، والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معناه ، ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معني السببية . ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها . والآية مخصوصة بالمجرمين ، فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب اخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه .

﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ فائتين ما قضي عليكم من المصائب . ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يحرصكم عنها . ﴿ وَلا نَصِيرٍ ﴾ يدفعها عنكم .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ ﴾ السفن الجارية . ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ كالجبال . قالت الخنساء :

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ (١٤)

---

(١٤) هذا البيت للخنساء ، وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، شاعرة جاهلية إسلامية ، والبيت في رثاء أخيها صخر من قصيدة مشهورة قبله :

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ وقرئ الرياح . ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ﴾ فيبقين ثوابت علي ظهر البحر . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لكل من وكل همته وحبس نفسه علي النظر في آيات الله والتفكر في آلائه ، أو لكل مؤمن كامل الإيمان فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر .

﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ ﴾ او يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة ، والمراد إهلاك أهلها لقوله تعالي : ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ وأصله أو يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه علي المقصود كما في قوله تعالي : ﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ إذ المعني أو يرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا علي العفو منهم ، وقرئ ويعفو علي الاستئناف .

﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ عطف علي علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم، أو علي الجزاء ونصب نَصْب الواقع جوابا للأشياء الستة لأنه أيضا غير واجب ، وقرأ نافع وابن عامر بالرفع علي الاستئناف ، وقرئ بالجزم عطفا علي يعف فيكون المعني ويجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير آخرين . ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل .

الآيات من ٣٦ : ٤٤

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ

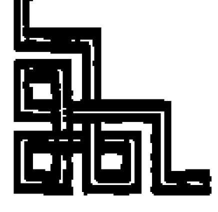
وإن صخرا لمولانا وسيدنا — وإن صخراً إذا نشتو لنحار

وبعده

أغر ابلج تأتم الهداة بـه — كأنه علم في راسـه نار

من كتاب : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للمرزوقي .

فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾



متاع الدنيا قليل وثواب الآخرة باق وكبير لمستحقيه

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تمتعون به مدة حياتكم . ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من ثواب الآخرة . ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ لخلوص نفعه ودوامه وما الأولى موصولة تضمنت معني الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية . وعن علي رضي الله تعالي عنه : تصدق أبو بكر رضي الله تعالي عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت .

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ والذين بما بعده عطف علي للذين آمنوا أو مدح منصوب أو مرفوع ، وبناء يغفرون علي ضميرهم خبرا للدلالة علي أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب ، وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم .

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله ﷺ إلي الإيمان فاستجابوا له . ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ذو شوري بينهم لا ينفردون برأي حتي يتشاوروا ويجتمعوا عليه [١٥] ، وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الأمور، وهي مصدر كالفتيا بمعني التشاور . ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبيل الله الخير .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ علي ما جعله الله لهم كراهة التذلل ، وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران ، فإنه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم ، والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لأنه إجراء وإغراء علي البغي ، ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي .

---

(١٥) لأهمية الشورى وعظم منزلتها سميت السورة بها ، وقد ورد في فضلها : لا ندم من استشار ولا خاب من استخار ، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة فقال له « وشاورهم في الأمر » .

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾وسمي الثانية سيئة للازدواج ، أو لأنها تسوء من تنزل به . ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ بينه وبين عدوه. ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ عدة مبهمة تدل علي عظم الموعود . ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام .

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ بعد ما ظلم ، وقد قرئ به . ﴿ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة .

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ يبتدؤنهم بالإضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم .

﴿ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ علي ظلمهم وبغيهم .

﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ علي الأذي . ﴿ وَغَفَرَ ﴾ ولم ينتصر . ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أي إن ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم : السمن منوان بدرهم ، للعلم به .

ندم الظالمين يوم القيامة

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه . ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ هل إلي رجعة إلي الدنيا .

الآيات من ٤٥ : ٤٩

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) ﴾

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ علي النار ، ويدل عليه العذاب . ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل . ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ اي يبتدئ نظرهم إلي النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلي السيف .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ظرف لخسروا والقول في الدنيا، أو لقال: اى يقولون إذا رأوهم علي تلك الحال . ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ تمام كلامهم او تصديق من الله لهم.

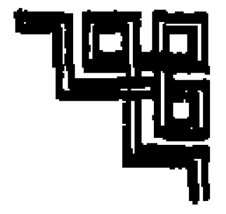
﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾ إلي الهدي أو النجاة .

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾لا يرده الله بعد ما حكم به، ومن صلة لمرد . وقيل صلة يأتي اى من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده . ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ ﴾ مفر . ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ إنكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ رقيبا أو محاسبا . ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وقد بلغت . ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ﴾ اراد بالإنسان الجنس لقوله : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ بليغ الكفران ينسي النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها ، وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلي الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه . وتصدير الشرطية الأولي بإذا والثانية بإن لان إذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضاة بالذات بخلاف إصابة البلية ، وإقامة علة الجزاء مقامة ووضع الظاهر موضع المضمر . .ففي الثانية للدلالة علي أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة .

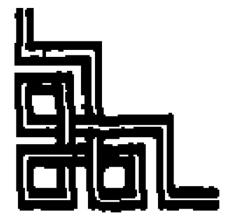
الأولاد هبة من الله

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء . ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ من غير لزوم ومجال اعتراض . ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ .



الآيات من ٥٠ : ٥٣

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾



﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ بدل من يخلق بدل البعض، والمعني يجعل احوال العباد في الأولاد مختلفة علي مقتضي المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو انثي او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ، ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل ، أو لأن مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك ، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء ،او لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة علي الفواصل ولذلك عرف الذكور ، أو لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ، ولم يحتج إليه الرابع لا فصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة . ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار.

أنواع الوحي

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ وما صح له . ﴿ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا ﴾ كلاما خفيا يدرك لأنه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركبا من حرف مقطعة تتوقف علي تموجات متعاقبة ، وهو ما يعم المشافة به كما رويَ في حديث المعراج ، وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسي في طوي والطور ولكن عطف قوله : ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ عليه يخصه بالأول فالآية دليل علي جواز الرؤية لا علي امتناعها . وقيل : المراد به الإلهام والإلقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك إلي الرسل ، ووحيا بما عطف عليه منتصب لأن من وراء حجاب صفة كلام محذوف والإرسال نوع من الكلام ، ويجوز أن يكون حيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا ، قرأ نافع

أو يرسل برفع اللام . ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِي ﴾عن صفات المخلوقين . ﴿ حَكِيم ﴾ يفعل ما تقتضيه فيكلم تارة بوسيط ، وتارة بغير وسيط إما عيانا وإما من وراء حجاب .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ يعني ما أوحي إليه ، وسماه روحا لأن القلوب تحيا به ، يعنى جبريل والمعني ارسلناه إليك بالوحي . ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ أى قبل الوحي ، وهو دليل علي انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع . وقيل : المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع . ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ ﴾ أى الروح أو الكتاب أو الإيمان . ﴿ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه .. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هو الإسلام.، وقرئ لتهدي أي ليهديك الله .

﴿ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ بدل من الاول . ﴿ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ خلقا وملكا ﴿ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات، وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين .

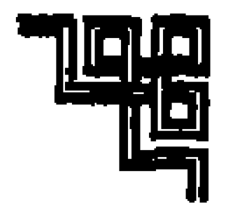
فضل سورة الشوري

عن النبي ﷺ « من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له (١٦) »

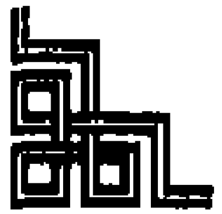
---

(١٦) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وعلق عليه الحافظ بن حجر بقوله : اخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسنادهما إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

(٤٣) سورة الزخرف مكية
وآياتها تسع وثمانون
وقيل إلا قوله : واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
الآيات من ١ : ٧



﴿ حمٓ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ③ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ④ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ⑤ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ⑥ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑦ ﴾



﴿ حمٓ ﴾

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ اقسم بالقرآن على انه جعله (١) قرآنا عربيًا ، وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام : وَثَنَايَاكَ انَّهَا أغْرِيضُ . ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه ، وبالقرآن من حيث أنه معجز مبين لطرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة ، أو بين للعرب ما يدل على انه تعالى صيره كذلك ـ ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكى تفهموا معانيه.

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ عطف على انا ، وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف . ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ فى اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية ، وقرئ أم الكتاب بالكسر . ﴿ لَدَيْنَا ﴾ محفوظًا عندنا عن التغيير . ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة ، أو محكم لا ينسخه غيره . وهما خبران لإن

---

(١) جاء في تفسير القرطبي : جعلناه : سميناه ووصفناه ، ولذلك تعدى إلى مفعولين كقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ﴾ وقال السدي : اى انزلناه قرآنا ، وقال محاهد : قلناه . وقال الزجاج وسفيان الثوري : بيناه .

وهذه التفسيرات رد على المعتزلة الذين كانوا يقولون الجعل بمعنى الخلق ، فالقرآن مخلوق.

﴿ وفي أم الكتابْ ﴾ متعلق بعليّ واللام لا تمنعه، أو حال منه ، ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب .

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم : ضرب الغرائب عن الحوض ، قال طرفة :

اضْرِبْ عَنْكَ الهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بِالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ(٢)

والفاء للعطف على محذوف اى انهملكم فنضر عنكم الذكر ، وصفحًا مصدر من غير لفظه فإن تنحية الذكر عنهم إعراض او مفعول له أو حال بمعنى صافحين ، واصله ان تولى الشيء صفحة عنقك . وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفًا ويؤيده أنه قرئ صفحًا بالضم ، وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين ، والماء إنكار ان يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه . ﴿ أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ اى لأن كنتم ، وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عنهم ، وقرأ نافع وحمزة والكسائى «إن» بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالاً لهم ، وما قبلها دليل الجزاء .

إرسال الرسل وتكذيب أقوامهم بهم

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ﴾

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه .

الآيات من ٨ : ١٤

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ

(٢) هذا البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلى . وقيل : هو مصنوع عليه .
ومعنى اضرب : ادفع وقونس الفرس : اعلى راسها وقيل : شعر عنقها وطارقها : بدل من الهموم .
والمعنى ادفع عنك الهموم كما تدفع بالسوط شعر عنق الفرس .

بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ
وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ
﴿١٤﴾ ﴾

﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبراً عنهم . ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة ، وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ لعله لازم مقولهم أو ما دل عليه إجمالاً أقيم مقامه تقريراً لإلزام الحجة عليهم ، فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر ، وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ، ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتستقرون فيها وقرئ غير الكوفيون مهاداً بالألف .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ تسلكونها .﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ لكي تهتدوا إلي مقاصدكم ، أو إلي حكمة الصانع بالنظر في ذلك .

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾بمقدار ينفع ولايضر . ﴿ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ مال عنه الماء، وتذكيره اي ميتا لان البلدة بمعني البلد والمكان.﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الانشار. ﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ تنشرون من قبوركم ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء.

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾اصناف المخلوقات . ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ماتركبونه علي تغليب المتعدي بنفسه علي المتعدي بغيره إذ يقال : ركبت الدابة وركبت في السفينة ، أو المخلوق للركوب علي المصنوع له او الغالب علي النادر ولذلك قال .

﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعني .﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها . ﴿ وَتَقُولُوا

سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾مطيقين من أقرن الشئ إذا أطاقه وأصله وجده قرينته إذ الصعب لايكون قرينة الضعيف، وقرئ بالتشديد والمعني واحد . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله فإذا استوي علي الدابة قال: الحمد لله علي كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلي قوله :

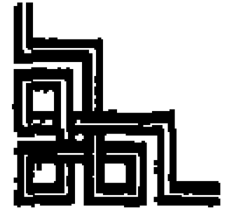
﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ أي راجعون ، واتصاله بذلك لأن الركوب للتنقل والنقلة العظمي هو الانقلاب إلي الله تعالي ، أو لأنه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالي (٣) .

الآيات من ١٥ : ٢١

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا

(٣) من الأحاديث الواردة في آداب الركوب . حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، رواه الإمام أحمد فى مسنده :
عن على بن ربيعة قال : رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ، فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم حمد الله ثلاثا ، وكبر ثلاثا ، ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسى فاغفر لي . ثم ضحك فقلت له : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ، ثم ضحك ، فقلت له: م ضحكت يا رسول الله ﷺ ؟ فقال : يعجب الرب من عبده إذا قال « رب اغفر لي » ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري ، مسند أحمد جـ ١ ص ٩٧ وهو في سنن أبى داواد ـ كتاب الجهاد : ما يقول إذا ركب .
وفي تحفة الأحوذي . أبواب الدعوات . باب : ما جاء ما يقول إذا ركب دابة .
وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون : ثم يقول : اللهم إنى أسالك فى سفري هذا البرو التقوى ، ومن العمل ما ترضي ، اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا . وكان إذا رجع قال : آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون . مسند أحمد جـ ٢ ص ١٤٤ .

وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) ﴾



رد زعم الكفار أن الملائكة بنات الله

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ متصل بقوله ﴿ ولئن سألتهم ﴾ اي وقد جعلو له – بعد ذلك الاعتراف – من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ، ولعله سماه جزا كما سمي بعضا لأنه بضعة من الوالد دلالة علي استحالته علي الواحد الحق في ذاته ، وقرأ أبو بكر جزا بضمتين ، ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد إلي الله لأنها من فرط الجهل به والتحقير لشانه.

﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ معني الهمزة في أم للإنكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزا حتي جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم وأبغض الاشياء إليهم. بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتد غمه به كما قال .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾بالجنس الذي جعله له مثلا إذ الولد لابد وأن يماثل الوالد ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة . ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوء قلبه من الكرب ، وفي ذلك دلالات علي فساد ما قالوه، وتعريف البنين بما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد علي ان في ظل ضمير المبشر « ووجهه مسود » جملة وقعت خبرا.

﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ اي او جعلوا له ، أو اتخذ من يتربي في الزينة بمعني البنات ، ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ ﴾ في المجادلة .﴿ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى، ويجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى أو من هذا حالة ولده، وفي الخصام متعلق بمبين وإضافة غير إليه لايمنعه لما عرفت ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشا اي يربي ، وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعني.

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم ،وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم علي الله تعالي أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا،

وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند علي تمثيل زلفاهم ، وقرئ أنثاو وهو جمع الجمع. ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ احضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم به وقرأ نافع أشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ، . ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها علي الملائكة. ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾اي عنها يوم القيامة ، وهو وعيد شديد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون ، وشهاداتهم وهي أن لله جزءاً أو أن له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة علي امتناع النهي عنها او علي حسنها، وذلك باطل لأن المشيئة ترجح بعض الممكنات علي بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان اوغيره ، ولذلك جهلهم فقال :﴿مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الإشارة إلي اصل الدعوي كانه لما ابدي وجوه فسادها وحكي شبهتهم المزيفة نفي ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ، ثم أضرب عنه إلي إنكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال :

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن او ادعائهم ينطق علي صحة ما قالوه ، ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بذلك الكتاب متمسكون .

الآيات من ٢٢ : ٢٨

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

تقليد الكفار تقليد اعمي

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ اي لاحجة لهم

علي ذلك عقلية ولا نقلية ، وإنما جنحوا فيه إلي تقليد آبائهم الجهلة ، والأمة الطريقة التي تؤم كالراحلة للمرحولة إليه، وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد ومنها الدين.

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ودلالة علي ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم ، وان مقدميهم ايضاً لم يكن لهم سند منظور إليه، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعيم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلي التقليد

﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ اي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدي من دين آبائكم ، وهي حكاية أمر ماض أوحي إلي النذير او خطاب لرسول الله ﷺ ، ويؤيد الأول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله ، ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ اي وإن كان أهدي إقناطا للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه .

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بالاستئصال ، ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ولا تكترث بتكذيبهم .

تبرؤ إبراهيم من عبادة قومه الكفار

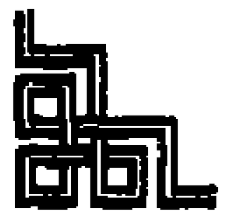
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسكا بالدليل ، أو ليقلدوه ، إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم . ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ برئ من عبادتكم أومعبودكم مصدر نعت به ولذلك استوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام.

﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ استثناء منقطع أومتصل علي ان ما يعم أولي العلم وغيرهم ، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام والأوثان أو صفة علي ان ما موصوفة أي إنني برئ من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني . ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ سيثبتني علي الهداية أو سيهديني إلي ما وراء ما هداني إليه.

﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ وجعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو الله كلمة التوحيد . ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو إلي توحيده ، وقرئ كلمة وفي عقبه علي التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يرجع من أشرك بدعاء من وحد ..

الآيات من ٢٩ : ٣٥

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴾ .



كفار مكة يستكثرون نزول القرآن على محمد

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ ﴾ هؤلاء المعاصرين للرسول ﷺ من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة ، فاغتروا لذلك وانهمكوا فى الشهوات . وقرئ متعت بالفتح على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله ﴿ وجعلها كلمة باقية ﴾ مبالغة فى تعييرهم . ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ دعوة التوحيد أو القرآن . ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الرسالة بما له من المعجزات ، أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ لينبههم عن غفلتهم . ﴿ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به ، فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقرو الرسول .

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾ من إحدى القريتين مكة والطائف . ﴿ عَظِيمٍ ﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى ، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ، ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية ، لا التزخرف بالزخارف الدينيوية .

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم ، والمراد بالرحمة النبوة . ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهم عاجزون عن

تدبيرها وهي خويصة (٤) امرهم في دنياهم ، فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الانسية ، وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره . ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم ، لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ، ثم إنه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف، فكيف يكون فيما هو أعلى منه . ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾ يعني هذه النبوة وما يتبعها . ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه .

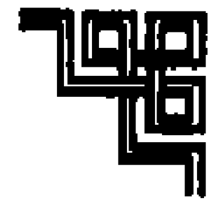
نعيم الدنيا ليس مجال أفضليه

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ لولا ان يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعيم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه . ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾ ومصاعد جمع معراج ، وقرئ ومعاريج جمع معارج . ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون السطوح لحقارة الدنيا ، ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال كقولك: وهبت له ثوبًا لقميصه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفًا اكتفاء بجميع البيوت وقرئ سقفًا بالتخفيف وسقوفًا وسقفًا وهي لغة في سقف . ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴾ أي أبوابًا وسررًا من فضة .

﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ وزينة عطف على سقفا أو ذهبًا عطف على محل من فضة ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إن هي المخففة واللام هي الفارقة . وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية ، وقرئ به مع ان وما ﴿ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ عن الكفر والمعاصي ، وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا ، وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان ، وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار إليه بقوله :

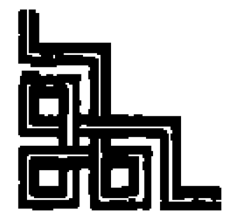
---

(٤) خويصة : تصغير خاصة .



الآيات من ٣٦ : ٤٣

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .



الشياطين قرناء الكافرين

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وإنهماكه فى الشهوات ، وقرئ يعيش بالفتح اى يَعْمَ ، يقال : عشى إذا كان فى بصره آفة وعشى إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج ، وقرئ يعشو على أن من موصولة . ﴿ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ يوسوسه ويغويه دائمًا ، وقرأ يعقوب بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ، ومن رفع يعشو ينبغى أن يرفع نقيض .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ عن الطريق الذى من حقه أن يسبل ، وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له . ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان للشيطان .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾ اى العاشى ، وقرأ الحجازيان (٥) وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان . ﴿ قَالَ ﴾ اى العاشى للشيطان . ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ بعد المشرق من المغرب ، فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما . ﴿ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ انت .

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ ﴾ اى ما انتم عليه من التمنى . ﴿ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ إذ صح إنكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بدل من اليوم . ﴿ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ لأن حقكم

---

(٥) الحجازيان : ابن كثير ونافع .

أن تشتركوا أنتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ، ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى : ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى أمر صعب معاونتهم فى تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه ، إذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته . وقرئ إنكم بالكسر وهو يقوى الأول .

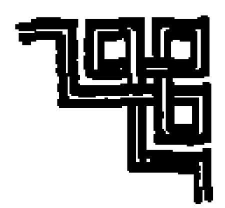
﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾ إنكار وتعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونًا بالصمم . كان رسول الله ﷺ يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غيا فنزلت . ﴿ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ، وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى .

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ اى فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ، وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكده . ﴿ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ بعذاب فى الدنيا والآخرة .

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ او إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب، وقرأ يعقوب أو نرينك باسكان النون وكذا نذهبن . ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ لا يفوتوننا .

شرف القرآن

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ من الآيات والشرائع ، وقرئ اوحى عى البناء للفاعل وهو الله تعالى . ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عوج له .



الآيات من ٤٤ : ٥١

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ

الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنـــكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ لشرف لك . ﴿ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه .

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ اى واسال اممهم وعلماء دينهم ، وقرأ ابن كثير والكسائى بتخفيف الهمزة . ﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الـرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم ، والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة عل انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له ، فإنه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة .

إشارة إلى قصة موسى وفرعون

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يريد باقتصاصه تسلية رسول الله ﷺ ومناقضة قولهم ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ والاستشهاد بدعوة موسي عليه السلام إلى التوحيد ليتاملوا فيها .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ فاجئوا وقت ضحكهم منها ، أو استهزؤوا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها .

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ إلا هى بالغة اقصى درجات الإعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس إليها من الآيات ، والمراد وصف الكل بالكبر كقولك : رأيت رجالاً بعضهم افضل من بعض ، وكقوله:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النجومَ الَّتِي يَسْرِي بِها السَّارِي[٦]

أو إلا وهي مختصة بنوع من الإعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار . ﴿ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ كالسنين والطوفان والجراد . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ على وجه يرجى رجوعهم .

---

(٦) هذا البيت للشاعر الجاهلي عبيد بن الابرص ، يصف القوم الذين يتحدث عنهم بأنهم سواء في الشرف والعظمة فاى فتى تلقاه منهم تظن انه السيد في قومه ، وأنهم جميعاً مثل النجوم يهتدى بهم الساري .

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لأنهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحراً . وقرأ ابن عامر بضم الهاء ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ فيكشف عنا العذاب . ﴿ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ بعهده عندك من النبوة ، أو من أن يستجيب دعوتك ، أو أن يكشف العذاب عمن اهتدي ، أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة . ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ فاجئوا نكث عهدهم بالاهتداء.

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ بنفسه او بمناديه . ﴿ فِي قَوْمِهِ ﴾ فى مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم . ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر : نهر الملك ، ونهر طولون، ونهر دمياط ، ونهر تنيس ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ تحت قصري او امرى ، أو بين يدى في جنانى والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على الملك وتجرى حال منها ، أو واو حال وهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبرها . ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ذلك.

الايات من ٥٢ : ٥٨

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ .

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ مع هذه المملكة والبسطة . ﴿ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة ، من المهانة وهى القلة . ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة ، وأم إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير إذ قدم من أسباب فضله، أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب . والمعنى أفلا تبصروه أم تبصرون فتعلمون أنى خير منه (٧) .

---

(٧) أم فى الآية بمعنى بل وليست بحرف عطف قاله أبو عبيدة والسدى ، ذكر ذلك القرطبى

﴿ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ اى فهلا القى عليه مقاليد الملك إن كان صادقًا ، إذ كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب ، واساورة جمع أسوار بمعى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير . وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار . وقرئ أساورر جمع أسور وألقى عليه أسورة وأسور على البناء للفاعل وهو الله تعالى . ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن ، أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن .

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴾ طلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم . ﴿ فَأَطَاعُوهُ ﴾ فيما أمرهم به ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق .

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ اغضبونا بالإفراط فى العناد والعصيان منقول من أسف إذا اشتد غضبه . ﴿ انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فى اليم .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ قدوة لمن يعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم، مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم ، وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف ورغيف ، أو سالف كصبر جمع صابر أو سلف كخشب . وقرئ سلف بإبدل ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة قد سلفت . ﴿ وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ ﴾ وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال : مثلكم مثل قوم فرعون .

نزول عيسى من علامات الساعة

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً ﴾ اى ضربه ابن الزبعرى (٨) لما جادل رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ (٩) او غيره بأن قال

في تتفسيره وقال هو قول أكثر المفسرين .

(٨)عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي القرشي السهمي الشاعر . كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى اصحابه قبل ان يسلم عام الفتح ، وكان من أشعر قريش واهجاجهم للمسلمين . وأراد الله به خيرا فهداه للإسلام واسلم ، وقال مخاطبا النبى ﷺ .

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

وبور بمعنى هالك .

أسد الغابة لابن الأثير جـ ٣ ص ٢٣٩ .

(٩) الأنبياء : ٩٨ .

النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك [١٠] ، أو علي قوله تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ [١١] أو أن محمداً يريد أن نعبده كما عبد المسيح . ﴿ إِذَا قَوْمُكَ ﴾ في قريش ﴿ مِنْهُ ﴾ من هذا المثل . ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ يضجون فرحًا لظنهم أن الرسول ﷺ صار ملزمًا به . وقرأ نافع وابن عامر الكسائى بالضم من الصدود أى يصدون عن الحق ويعرضون عنه . وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف .

﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ أى آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فإن يكن فى النار فلتكن آلهتنا معه ، أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فإذا اجاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك ، أو آلهتنا خير أم محمد ﷺ فنعبده وندع آلهتنا . وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما . ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل . ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج .

الآيات من ٥٩ : ٦٥

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة . ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ امرًا عجيبا كالمثل السائر لبنى إسرائيل ، و كالجواب المزيح لتلك الشبهة .

---

(١٠) أشار إليه السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول – سورة الأنبياء ، وسورة الأحزاب وذكره ابن كثير في تفسيره مفصلا جـ ٧ ص ٢٢٠ ط الشعب .

(١١) الزخرف : ٤٥ .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم ﴾ لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب ، أو لجعلنا بدلكم . ﴿ مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ ملائكة يخلفونكم فى لأرض ، والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وإن كانت عجيبة فإنه تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك ، وأن الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليداً كما جاز خلقها إبداعًا ، فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وإن عيسى عليه السلام ،. ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها، أو لأن احياء الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه. وقرئ لعلم أى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرًا ، وفي الحديث ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وبيده حربة يقتل بها الدجال ، فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتاخر الإمام فيقدمه عيسى عليه الصلاة والسلام ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس ، ويقتل النصارى إلا من آمن به (١٢) .

وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ فلا تشكن فيها ، ﴿ وَاتَّبِعُونِ ﴾ واتبعوا هداى او شرعي أو رسولى وقيل هو الرسول ﷺ أمر أن يقوله .﴿ هَٰذَا ﴾ الذى أدعوكم إليه. ﴿ صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ لايضل سالكه.

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ عن المتابعة. ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات او بآيات الإنجيل، او بالشرائع االواضحات ، ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ ﴾ بالإنجيل او بالشريعة. ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ وهو ما يكون من أمر الدين لاما يتعلق بأمر الدنيا ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لبيانه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام، « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ فميا ابلغه عنه.

---

(١٢) اخرجه الثعلبي في تفسيره بدون سند ، وقد ورد ذلك في أحاديث متفرقة وذكره ابن كثير في تفسيره في سورة الزخرف .

وافيق – على وزن امير . مكان بالقدس الشريف نفسه . ذكر ذلك الآلوسي في تفسيره روح المعانى .

والحديث المذكور رواه القرطبي في تفسيره وعزاه إلى ابن ماجه في سننه ، وإلي مسلم في صحيحه .

﴿ إنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه ، وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع، ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ الإشارة إلي مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى عليه الصلاة والسلام ، أو استئناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضى للطاعة في ذلك.

﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ ﴾ الفرق المتحزبة .﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ من بين النصاري أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث إليهم . ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ من المتحزبين ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ هو القيامة.

الآيات من ٦٦ : ٧٦

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦) الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) ﴾.

موقف الناس يوم الساعة

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ ﴾ الضمير لقريش أو للذين ظلموا، ﴿ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ بدل من الساعة والمعني هل ينظرون إلا إتيان الساعة. ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجاة . ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وإنكارهم لها .

﴿ الأَخِلاَّءُ ﴾ الاحباء. ﴿ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب، ﴿ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد.

﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا ﴾ صفة المنادى. ﴿ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين ، غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ.

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ نساؤكم المؤمنات .﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ تسرون سرورا يظهر حباره اى أثره على وجوهكم ، أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراما يبالغ فيه، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ الصحاف جمع صحفة، والأكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له. ﴿ وَفِيهَا ﴾ وفى الجنة.﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الأنفس على الأصل. ﴿ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعيم والتلذذ .﴿ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال.

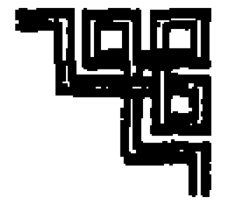
﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقرأ ورثتموها، شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه العامل وتلك إشارة إلي الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها. والتي أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها.

﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها، ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة إلي سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة.

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾ الكاملين في الإجرام وهم الكفار لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات، وحكي عنهم ما يخص بالكفار .﴿ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ خبر إن او خالدون والظرف متعلق به .

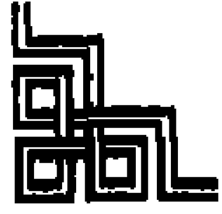
﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ لايخفف عنهم من فترت عنه الحمي إذا سكنت قليلا والتركيب للضعف. ﴿ وَهُمْ فِيهِ ﴾ العذاب ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ آيسون من النجاة.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ مر مثله غير مرة وهم فصل.



الآيات من ٧٧ : ٨٩

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾



﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ﴾ وقرئ يا مال على الترخيم مكسوراً ومضموماً ، ولعله إشعار بأنه لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ والمعنى سل ربنا أن يقضى علينا من قضي عليه إذا أماته ، وهو لا ينافى إبلاسهم فإنه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ لا خلاص لكم بموت ولا بغيره .

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ ﴾ بالإرسال والإنزل ، وهو تتمة الجواب إن كان فى قال ضمير الله وإلا فجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعدجواب مالك . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ لما فى اتباعه من إتعاب النفس وآداب الجوارح .

﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا ﴾ فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته . ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ أمراً فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم، أو أم أحكم االمشركون أمراً من كيدهم بالرسول فإنا مبرمون كيدنا بهم ، ويؤيده قوله :

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ حديث انفسهم بذلك . ﴿ وَنَجْوَاهُم ﴾ وتناجيهم .﴿ بَلَى ﴾ نسمعها ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ والحفظة مع ذلك . ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ ملازمة لهم . ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾ ذلك .

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ منكم فإن النبى ﷺ يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لا يصح له ، واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ، ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له إذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد فيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى ﴿لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا ﴾(١٣) غير ان لو هنا مشعرة بانتفاء الطرفين ، وإن ههنا لا تشعر به ولا بنقيضه فإنها لمجرد الشريطة بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه ، والدلالة على ان إنكاره الولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به . وقيل معناه إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه ، أو من ان يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد انفه ، أو ما كان له ولد فانا أول الموحدين من أهل مكة . وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ عن كونه ذا ولد فإن هذه الأجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من توليد المثل ، فما ظنك بمبدعها وخالقها .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ﴾ فى باطلهم ، ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ في دنياهم . ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ اى يوم القيامة ، وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى ، وإنهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة .

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ مستحق لان يعبد فيهما ، والظرف متعلق به لأنه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك : هو حاتم فى البلد ، وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ، ولا يجوز جعله خبراً له لأنه لا يبقى له عائد لكن لوجعل صلة وقدر الإله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعني الألوهية دون الاستقرار ، وفيه نفى الآلهة

(١٣) الأنبياء : ٢٢ .

السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية. ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ كالدليل عليه .

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ كالهواء . ﴿ وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء ، وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد .

﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾ كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله . ﴿ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بالتوحيد ، والاستثناء متصل إن اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ، ومنفصل إن خص بالأصنام .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ ﴾ سالت العابدين أو المعبودين . ﴿ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره .

﴿ وَقِيلِهِ ﴾ وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم ، أو على محل الساعة أو لإضمار فعله أى وقال قيله ، وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة ، وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره . ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ أو معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف . وقيل : هو قسم منصوب بحذف الجار أو مجرور بإضماره ، أو مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى ، وإن هؤلاء جوابه .

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ فاعرض عن دعوتهم آيسًا عن إيمانهم . ﴿ وَقُلْ سَلامٌ ﴾ تسلم منكم ومتاركة . ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ تسلية للرسول ﷺ وتهديد لهم ، وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله .

فضل سورة الزخرف

عن النبى ﷺ «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبدى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» (١٤) .

---

(١٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال الحافظ بن حجر : اخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٤٤) سورة الدخان مكية
إلا قوله ﴿ إناكاشفوا العذاب ﴾ (١)
وآياتها تسع وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٧

﴿حمٓ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦ ﴾

﴿ حمٓ ﴾

﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ القرآن والواو للعطف إن كان حم مقسما به وإلا فللقسم والجواب قوله :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ ليلة القدر (٢) ، أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله ، أو

---

(١) في مختلف التفاسير نزلت بعد الزخرف .

(٢) في تفسير القرطبي : الليلة المباركة ليلة القدر ، ويقال : ليلة النصف من شعبان ، ولها أربعة أسماء ، الليلة المباركة ، وليلة البراءة ، وليلة الصَّك ، وليلة القدر . وفي تفسير الكشاف : لها أربعة أسماء : الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك ، وليلة الرحمة .

قال الزمخشري ، وسميت بليلة البراءة وليلة الصك . إن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراء كذلك يكتب الله البراءة لعباده المؤمنين في هذه الليلة – والبراءة هي الصك .

وفي فضل ليلة النصف من شعبان يقول الزمخشرى : هي مختصة بخمس خصال : تفريق كل امر حكيم ، وفضيلة العبادة فيها ، ونزول الرحمة فيها ، وحصول المغفرة ، وما أعطى فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة .

قال : ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد به ماء زمزم زيادة ظاهرة . – تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٢٧٠ – .

أنزل فيها جملة إلي سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، ثم انزل علي الرسول ﷺ نجوما وبركتها لذلك ، فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية ، أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقيم النعمة وفصل الأقضية .﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ استئناف بين المقتضي للانزال وكذلك قوله :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها ، ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض ، وهو يدل علي أن الليلة ليلة القدر لأنه صفتها لقوله ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر ﴾ وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل – اي يفرقه الله، ونفرق بالنون .

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ﴾ اى – اعني بهذا الأمر امرا حاصلا من عندنا علي مقتضي حكمتنا ، وهو مزيد تفخيم للأمر ويجوز أن يكون حالا من كل أو أمر ، أو ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف ، وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث أن الفرق به ، أو حالا من أحد ضميري انزلناه بمعني آمرين أو مامورا . ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾

﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ بدل من إنا كنا منذرين اى انزلنا القرآن لان من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلي العباد لأجل الرحمة عليهم ، ووضع الرب موضع الضمير للإشعار بان الربوبية اقتضت ذلك ، فإنه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو امرا ، ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل أمر ، أو تصدر الأوامر من عندنا لان من شاننا أن نرسل رحمتنا ، فإن فصل كل امر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة ، وقرئ رحمةٌ علي تلك رحمة. ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يسمع اقوال العباد ويعلم أحوالهم، وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فإنها لا تحق إلا لمن هذه صفاته .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ خبر آخر أو استئناف . وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك . ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ اى إن كنتم من اهل الإيقان في العلوم ، أو كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتم من خلقها ؟ فقلتم الله ، علمتم أن الامر كما قلنا ، أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك .

الآيات من ٨ : ١٦

﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) ﴾

﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ إذ لا خالق سواه . ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ كما تشاهدون . ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ وقرئا بالجر بدلا من ربك .

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ رد لكونهم موقنين

تحذير للمشركين

﴿ فَارْتَقِبْ ﴾فانتظر لهم . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يري بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره ، أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار ، أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتي أكلوا جيف الكلاب وعظامها ، وإسناد الإتيان إلي السماء لأن ذلك يكفه عن الأمطار ، أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال « **أول الآيات الدخان ونزول عيسي عليه السلام ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلي المحشر . قيل : وما الدخان فتلا رسول الله ﷺ الآية وقال : يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره**[٣] » أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين .

---

(٣) هذا الحديث رواه الإمام ابن كثير في تفسيره – في سورة النمل جـ ٦ ص ٢٢٠ وعزاه إلي الإمام أحمد من حديث حذيفة – وهو في المسند جـ ٤ ص ٦ و ص ٧ .
وذكره القرطبي في تفسيره – سورة الدخان – مطولا .
وأبيْن المذكورة هو اسم رجل نسب إليه عدن .

﴿ يَغْشَى النَّاسَ ﴾ يحيط بهم صفة للدخان وقوله ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ مقدر بقول وقع حالا وإنا مؤمنون وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم .

﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾ من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة . ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ بين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب الاذكار من الآيات والمعجزات .

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ اى قال بعضهم يُعلّمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون إنه مجنون .

﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ ﴾ بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام فإنه لما دعا رفع القحط ﴿ قَلِيلًا ﴾ كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم . ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ إلي الكفر غِبَّ الكشف .

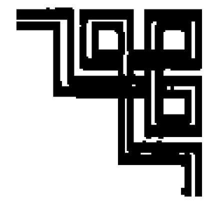
ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الأربعين ، فريثما يكشفه عنهم يرتدون ، ومن فسره بما في القيامة أوله بالشرط والتقدير .

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه . ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ لا لمنتقمون فإن إن تحجزه عنه ، أو بدل من يوم تاتي . وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبري باطشة بهم ، أو نحمل الملائكة علي بطشهم وهو التناول بصولة .

وهذا أحد قولين في تفسير الدخان . أما القول الثاني فهو الآية التي ظهرت في قريش حين دعا عليهم النبى ﷺ حين اشتد تكذيبهم له وتعذيبهم لاصحابه ، فقال ﷺ : « اللهم اشدد وطاتك على مُضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ، فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز ، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانًا ، وكان الرجل يحدث الرجل فيمسع كلامه ولا يراه من الدخان . وظلوا كذلك حتى استجاروا برسول الله ﷺ وناشدوه الله والرحم ، ووعدوه إن كشف الله عنهم العذاب أن يؤمنوا . فدعا الله فرفع عنهم العذاب ولكنهم لم يؤمنوا .

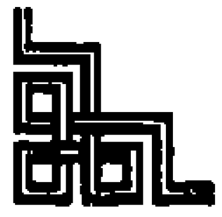
وهذا حديث ذكرناه بمعناه وهو متفق عليه ، وقد رواه النسائى والحاكم والطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

والعلهز : طعام كانوا يتخذونه في القحط من الوبر والدم .



الآيات من ١٧ : ٢٨

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾



لهم مثل فيما حدث لقوم موسي من هلاك

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ امتحناهم بإرسال موسي عليه السلام إليهم ، أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم . وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم . ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ علي الله أو علي المؤمنين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه .

﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ بأن أدوهم إلي وأرسلوا معي ، أو بأن أدوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله ، ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لأن مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة .﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ غير متهم لدلالة المعجزات علي صدقه ، أو لائتمان الله إياه علي وحيه وهو علة الأمر .

﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ ولا تتكبروا عليه بالإستهانة بوحيه ورسوله ، وأن كالأولي في وجهيها . ﴿ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ علة للنهي ولذكر الأمين مع الأداء، والسلطان مع العلاء شأن لا يخفي .

﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ التجأت إليه وتوكلت عليه ﴿أَن تَرْجُمُونِ ﴾ أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني . وقرئ عت بالادغام فيه .

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ، ولا تتعرضوا إليّ بسوء فإنه ليس جزاء من دعاكم إلي ما فيه فلاحكم .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ ﴾ بعدما كذبوه . ﴿أَنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ بأن هؤلاء ﴿ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ وهو

تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء ، وقرئ بالكسر علي إضمار القول .

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً ﴾أى فقال أسر أو قال إن كان الأمر كذلك فاسر ، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بوصل الهمزة من سري ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم .

﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا علي هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ وقرئ بالفتح بمعني لأنهم .

﴿ كَمْ تَرَكُوا ﴾ كثيرا تركوا . ﴿ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ محاقل مزينة منازل حسنة .

﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ وتنعم . ﴿ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ متنعمين ، وقرئ فكهين .

﴿ كَذَلِكَ ﴾مثل ذلك الإخراج أخرجناهم أو الأمر كذلك . ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾ عطف علي المقدر أو علي تركوا ﴿ قَوْماً آخَرِينَ ﴾ ليسوا منهم في شيء وهم بنو إسرائيل ، وقيل غيرهم لأنهم لم يعودوا إلي مصر .

الآيات من ٢٩ : ٣٧

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) ﴾

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم : بكت عليم السماء والأرض وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك . ومنه ما روي في الأخبار : إن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد

عمله ومهبط رزقه (٤) وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء ولأرض ﴿ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ ممهلين إلي وقت آخر .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ من استعباد فرعون وقتله ابناءهم .

﴿ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ بدل من العذاب علي حذف المضاف ، او جعله العذاب لإفراطه في التعذيب ، أو حال من المهين بمعني واقعا من جهته ، وقرئ من فرعون علي الاستفهام تنكير له لنكر ما كان عليه من الشيطنة . ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا ﴾ متكبرا. ﴿ مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ في العتو والشرارة ، وهو خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا ، أو حال من الضمير في عاليا أي كان رفيع الطبقة من بينهم .

﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ ﴾ اخترنا بني إسرائيل . ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ عالمين بانهم احقاء بذلك، أو مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال . ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ لكثرة الأنبياء فيهم أو علي عالمي زمانهم .

﴿ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ ﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوي ﴿ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ نعمة جلية أو اختبارظاهر .

تكذيب الكفار بالبعث

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة علي انهم مثلهم في الإصرار علي الضلالة ، والإنذار عن مثل ما حل بهم . ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ ﴾ ما العاقبة ونهاية الامر إلا الموتة الأولي المزيلة للحياة الدنيوية ، ولا قصد فيه إلي إثبات ثانية كما في قولك : حج زيد الحجة الأولي ومات .

---

(٤) مروي من كلام ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي الحديث : « ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » اخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبري والثعلبي من حديث شريح بن عبيد الحضرمي ورواه القرطبي في تفسيره : « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين إذا فسد الناس صلحوا . ثم قال : الا لا غربة على مؤمن ، وما مات مؤمن في غربة غائبا عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : « فما بكت عليهم السماء والأرض » ثم قال: « الا إنهما لا يبكيان على كافر » .

وقيل لما قيل إنكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك قالوا إن هي إلا موتتنا الأولي، أي ما الموتة التي من شانها كذلك إلا الموتة الأولي . ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ بمبعوثين .

﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا ﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في وعدكم ليدل عليه .

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ ﴾ في القوة والمنعة ﴿ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ تبع الحميري الذي سار بالجيوش وَحَيَّر الحيرة وبني سمرقند . وقيل : هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه . وعنه عليه الصلاة والسلام : «ما أدري أكان تبع نبيا أم غير نبي » (٥) وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل لهم الأقيال (٦) لأنهم يتقيلون . ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ كعاد وثمود .

﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ استئناف بمآل قوم تبع ، والذين من قبلهم هدد به كفار قريش ، أو حال بإضمار قد أو خبر من الموصول إن استؤنف به . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ بيان للجامع المقتضى للإهلاك .

الآيات من ٣٨ : ٥٠

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦)

---

(٥) اخرجه الثعلبي من طريق عبد الرزاق من حديث ابى هريرة رضي الله عنه ، قال ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف : والمعروف بهذا الإسناد « وما ادرى أعزير نبي أمن لا » وقال اخرجه ابو داود .

وروى القرطبي الحديث هكذا : « ولا ادري اتبع لعين ام لا » .

ولكن روي أن النبى ﷺ قال : « لا تسبوا تبعا فإنه كان مؤمنا » ورواه القرطبي هكذا « لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم » وقال : رواه احمد عن سهل بن سعد ورمز له بالحسن.

(٦) الأقيال : جمع قَيْل – بفتح القاف وسكون الياء – وهو الحاكم .

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن ﴿ لاعِبِينَ ﴾ لاهين ، وهو دليل علي صحة الحشر كما مر في الأنبياء وغيرها .

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة، أو البعث والجزاء . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة نظرهم .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ فصل الحق عن الباطل ، أو المحق عن المبطل بالجزاء ، أو فصل الرجل عن اقاربه وأحبائه . ﴿ مِيقَاتُهُمْ ﴾ وقت موعدهم . ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ وقرئ ميقاتهم بالنصب علي أنه الاسم اى إن ميعاد جزائهم في يوم الفصل .

﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي ﴾ بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم ، أو ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل . ﴿ مَوْلًى ﴾ من قرابة أو غيرها . ﴿ عَن مَّوْلًى ﴾ اى مولي كان . ﴿ شَيْئًا ﴾ من الغناء . ﴿ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الضمير لمولي الأول باعتبار المعني لأنه عام .

﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ، ومحله الرفع علي البدل من الواو والنصب علي الاستثناء . ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ لا ينصر منه من أراد تعذيبه . ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

مصير الكفار

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾ وقرئ بكسر الشين ومعني الزقوم سبق في الصافات(٧) .

﴿ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾ الكثير الآثام ، والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه .

﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ وهو ما يمهل في النار حتي يذوب . وقيل دردي الزيت . ﴿ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء علي أن الضمير للطعام، أو الزقوم لا للمهل إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما .

﴿ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ غليانا مثل غليه .

﴿ خُذُوهُ ﴾ علي إرادة القول والمقول له الزبانية ﴿ فَاعْتِلُوهُ ﴾ فجرّوه. والعتل الأخذ

(٧) راجع تفسير الآية رقم ٦٢ من سورة الصافات .

بمجامع الشيء وجره بقهر ، وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان .

﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ وسطه .

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رءوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ، ثم اضيف العذاب إلي الحميم للتخفيف وزيد من الدلالة علي ان المصبوب بعض هذا النوع .

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعًا على ما كان يزعمه (٨) ، وقرأ الكسائي أنك بالفتح اي ذق لأنك أو عذاب أنك .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ إن هذا العذاب . ﴿ مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ تشكون وتمارون فيه .

الآيات من ٥١ : ٥٩

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩) ﴾

مصير المتقين

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ﴾ في موضع إقامة ، وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم ﴿ أَمِينٍ ﴾ يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال .

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بدل من مقام جيء به للدلالة علي نزاهته ، واشتماله علي ما يستلذ به من المآكل والمشارب .

﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو

---

(٨) ذكر بعض المفسرين ان المقصود بهذا الخطاب هو ابو جهل بن هشام ، قاله قتادة وقال : كان ابو جهل يقول : ما فيها أعز مني ولا اكرم .

وقال عكرمة : التقى النبى ﷺ وابو جهل ، فقال النبى ﷺ : « إن الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى » فقال : بأى شيء تهددني ، والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئًا ، إني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه . فقتله الله يوم بدر واذله ، ونزلت هذه الآية . اى يقول له الملك : ذق إنك انت العزيز الكريم بزعمك .

ـ تفسير القرطبي ـ سورة الدخان ـ.

استئناف ، والسندس ما رَقَّ من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب استبره ، أو مشتق من البراقة . ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ الأمر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك . ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء ، والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين ، واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها .

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا بزمان . ﴿ آمِنِينَ ﴾ من الضرر .

﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ ﴾ بل يحيون فيها دائما ، والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها ، أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها ، أو الإستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال : لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولي في المستقبل . ﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ وقرئ ووقاهم علي المبالغة .

﴿ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ﴾ اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه . وقرئ بالرفع أى ذلك فضل . ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا .

﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ فانتظر ما يحل بهم . ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ منتظرون ما يحل بك .

فضل سورة الدخان

عن النبي ﷺ « من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له » (٩) .

---

(٩) رواه الترمذي في جامعه الصحيح ، وهو في تحفة الأحوذى – ابواب فضائل القرآن باب : ما جاء فى حم الدخان جـ ٨ ص ١٩٨

وذكره ابن كثير في تفسيره ، كما ذكره القرطبي أيضا .

وذكر القرطبي أيضاً عدة احاديث في فضل هذه السورة . قال : جاء فى مسند الدارمي عن أبى رافع قال : « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين قال : رفعه الثعلبي من حديث أبى هريرة رضي الله عنه باللفظ الذى ذكره المؤلف .

وفي لفظ آخر عن أبى هريرة رضي الله عنه ان النبى ﷺ قال : « من قرأ الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك » .

وعن أبى أمامة قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » .

(٤٥) سورة الجاثية مكية

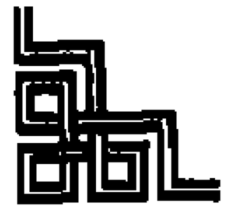
إلا ية ١٤ فمدنية

وآيتها سبع أو ست وثلاثون آية(١) نزلت بعد الدخان

الآيات من ١ : ٥

بسم الله الرحمن لرحيم

﴿ حـمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ② إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ③ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ④ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑤ ﴾ .



﴿ حمٓ ﴾ .

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ إن جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت إلي إضمار مثل ذلك تنزيل حم ، وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره : ﴿ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم .

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وأن يكون المعني إن قي خلق السموات لقوله :

---

(١) في تفسير الكشاف : مكي إلا آية ١٤ فمدنية ، وهذه السورة نزلت بعد الدخان .

وجاء في تفسير القرطبي : مكية ، وهذا قول الحسن وجابر وعكرمة ، وقال ابن عباس وقتادة : مكية إلا آية هي ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ﴾ نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ذكره الماوردي وسبب نزولها : ان عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأنزل الله عز وجل ﴿ قل للذين أمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ ثم نسخت بقوله ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف — تفسير القرطبي — تقدم سورة الجاثية — .

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ﴾ ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف إليه بأحد الاحتمالين ، فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه إلي غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار .﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ محمول على محل إن وسمها ، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملاً على الاسم .

﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ من مطر وسماه رزقًا أنه سببه ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها . ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحولها ، وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح . ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء ، إلا أن يضمر في أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع بإضمار هي ، ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور .

الآيات من ٦ : ١٢

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ اى تلك الآيات دلائله ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ حال عاملها معني الإشارة . ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ملتبسين به او ملتبسة به . ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ اى بعد آيات الله ، وتقديم اسم الله للمبالغة والتعميم كما فى قولك اعجبنى زيد كرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ (٢) وآياته دلائله المتلوة أو القرآن ، والعطف لتغاير الوصفين . وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله .

(٢) الزمر : ٢٣ .

تهديد للكفار المكذبين

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب . ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الآثام (٣) .

﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ يقيم على كفره . ﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عن الإيمان بالآيات وثم لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات كقوله: يَرَى غَمرَات ثم يَزُورهَا . ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أى كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة فى موضع الحال ، أى يصير مثل غير السامع .﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ على إصراره والبشارة على الأصل أو التهكم .

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا ﴾ وإذ بلغه شئ من آياتنا وعلم انه منها . ﴿ اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ ذلك من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء ، والضمير لآياتنا وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلامًا وعلم انه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه ، او لشئ لأنه بمعنى الآية . ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .

﴿ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ من قدامهم لأنه متوجهون اليها ، أو من خلفهم لأنها بعد آجلهم . ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم ﴾ ولا يدفع عنهم . ﴿ مَّا كَسَبُوا ﴾ من الأموال والأولاد . ﴿ شَيْئًا ﴾ من عذاب الله . ﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ اى الأصنام . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يتحملونه .

﴿ هَذَا هُدًى ﴾ الإشارة الى القرآن ويدل عليه قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب .

كل ما في الكون مسخر للإنسان

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ﴾ بان جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه ﴿ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ بتسخيره وانتم راكبوها . ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ التجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم .

---

(٣) اختلف فيه ، فقيل المراد كل كذاب ، وقيل : هو النضر بن الحارث ، وقيل : هو الحارث بن كلدة الثقفى ، وقيل : هو أبو جهل بن هشام ، ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره .

الآيات من ١٣ : ٢٠

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) ﴾ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ بان خلقها نافعة لكم. ﴿ مِّنْهُ ﴾ حال من ما اى سخر هذه الأشياء كائنة منه ، او خبر لمحذوف اى هى جميعاً منه ، أو ما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد أو لما فى الأرض ، وقرئ منة علي المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الإسناد المجازى او خبر محذوف . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فى صنائعه .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ﴾ حذف المقول لدلالة الجواب عليه ، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا . ﴿ لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ لا يتوقعون وقائعه ، أو لا يأملون الأوقات التى وقتها لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها . والآية نزلت في عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم أن يبطش به [٤] وقيل : إنها منسوخة بآية القتال .

---

(٤) سبق ذكر ذلك في التعليق رقم ٢٨٤ ولا دليل فيها على انها مدنية ولكن الذي يشير إلى انها مدنية الخبر الآتي الذي ذكره القرطبي أيضاً في تفسيره . قال : نزلت الآية في عمر مع عبد الله بن أبى في غزوة بني المصطلق ، فإنهم نزلوا على بئر يقال لها المريسيع ، فارسل عبد الله غلامه ليستقى ، وأبطأ عليه ، فقال : ما حبسك ؟ قال : غلام عمر بن الخطاب قعد على فم البئر ، فما ترك احد يستقى حتى ملأ قرب النبى ﷺ ، وقرب أبى بكر ،

﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ علة للأمر ، والقوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما فيكون التنكير للتعميم أو التحقير أو الشيوع ، والكسب المغفرة أو الإساءة أو ما يعمهما . وقرأ عامر وحمزة والكسائي لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قومٌ أى ليجزى الخير او الشر أو الجزاء ، أعنى ما يجزى به لا المصدرفإن الإسناد إليه سيما مع المفعول به ضعيف .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ اى لها ثواب العمل وعليها عقابه . ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

جحود بني إسرائيل للنعمة التي أوتوها

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ التوراة . ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات ﴿ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثروا في غيرهم. ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ مما أحل الله من اللذائذ . ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ حيث آتيناهم ما لم نوت غيرهم .

﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ أدلة فى أمر الدين ويندرج فيها المعجزات . وقيل : آيات من امر النبى عليه الصلاة والسلام مبينة صدقه . ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا ﴾ فى ذلك الأمر .

وملا لمولاه . فقال عبد الله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سَمِنْ كلبك يأكلك . فبلغ عمر رضي الله عنه قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجيه إليه ليقتله ، فانزل الله هذه الآية .

وروى أيضا رواية أخرى ، هي : لما نزلت ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص : احتاج رب محمد . فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه . فجاء جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ فقال : « إن ربك يقول لك قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » وأعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي ، فبعث رسول الله ﷺ في طلبه . فلما جاء قال : « يا عمر ضع سيف » قال : يا رسول الله صدقت أشهد انك أرسلت بالحق . قال : « فإن ربك يقول قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » قال : لا جرم ، والذى بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي . ـ تفسير القرطبي ـ .

وعلى هاتين الروايتين فليست الآية منسوخة كما جاء فى مقدمة السورة للقرطبي والذي ذكرناه في التعليق رقم ٢٨٤ .

﴿ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ بحقيقة الحال . ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ عداوة وحسداً . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة .

شريعة الإسلام الثابتة

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ طريقة ﴿ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ من أمر الدين . ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج . ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات ، وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع إلى دين آبائك .

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ مما أراد بك . ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم . ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ فواله بالتقى واتباع الشريعة .

﴿ هَٰذَا ﴾ اى القرآن أو اتباع الشريعة . ﴿ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ بينات تبصرهم وجه الفلاح . ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة . ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ونعمة من الله . ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يطلبون اليقين .

الآيات من ٢١ : ٢٦

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦) ﴾ .

شتان بين الصالح والطالح

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار

الحسبان ، والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة . ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾ أن نصيرهم ﴿ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله : ﴿ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ بدل منه إن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى إنكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على البدل و الحال من الضمير فى الكاف ، أو المفعولية والكاف حال ، وإن كان للثانى فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للإنكار وإن كان لهما فبدل أو حال من الثانى ، وضمير الأول ...والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات فى الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة ، او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال ، وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج . ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ساء حكمهم هذا أو بئس شيئًا حكموا به ذلك .

﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ كأنه دليل على الحكم السابق من حيث أن خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم ، والتفاوت بين المسيئ والمحسن وإذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات . ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ عطف على بالحق لأنه في معى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى . ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب، وتسمية ذلك ظلماً ولو فعله الله لم يكن منه ظلماً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً كالابتلاء والاختبار .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى فكأنه يعبده ، وقرئ آلهة هواه لأنه كان احدهم يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى احسن منه رفضه إليه . ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ ﴾ وخذله . ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ عالمًا بضلاله وفساد جوهر روحه . ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات . ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار ، وقرأ حمزة والكسائى غشوة . ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ من بعد إضلاله . ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وقرئ تتذكرون .

ضلال الدهريين

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ ﴾ ما الحياة او الحال . ﴿ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ التى نحن فيها . ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ اى نكون أمواتًا نطفًا وما قبلها ونحيا بعد ذلك ، أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا ، أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان . ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ إلا مرور الزمان وهو فى الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه . ﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ يعنى نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال ، أو إنكار البعث او كليهما . ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء عى التقليد وإنكار لما لم يحسوا به .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له . ﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾ ما كان لهم متشبث يعارضونها به . ﴿ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وإنما سماه حجة على حسبانهم ومسقاهم ، أو على اسلوب قولهم :

تحية بينهم ضرب وجيع (٥) .

فإنه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقًا .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ على ما دلت عليه الحجج . ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فإن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة ، والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قُرِرر مرارًا ، والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها ، وإذا كان كذلك أمكن الإتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه .

---

(٥) هذا عجز بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وصدره :

وخيل قد دلفت لها بخيل

يقول : إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلا من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع . ومعنى دلفت : زحفت .

الايات من ٢٧ : ٣٣

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا
كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

خسران الكفار وحسرتهم ليوم قيام الساعة

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها . ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه .

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة ، أو باركة مُسْتَوْفِزَة علي الركب . وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم . ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴾ صحيفة أعمالها . وقرا يعقوب كل على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان . ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ محمول على القول .

﴿ هَذَا كِتَابُنَا ﴾ اضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم . ﴿ يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾ يشهد عليك بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان . ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ﴾ نستكتب الملائكة . ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ اعمالكم (٦) .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ التى من

---

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم، فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من اعمال بني آدم موافقا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان . قال ابن عباس : وهل يكون النسخ إلا من كتاب ؟
وقال الحسن : نستنسخ ما كتبته الحفظة على بني آدم . . ــ تفسير القرطبي ــ .

جملتها الجنة . ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ لظاهر لخلوصه عن الشوائب .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فيقال لهم : ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم ، فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة . ﴿ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان بها . ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ عادتكم الإجرام .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ يحتمل الموعود به والمصدر . ﴿ حَقٌّ ﴾ كائن هو أو متعلقة لا محالة : ﴿ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ إفراد للمقصود ، وقرأ حمزة بالنصب عطفًا على اسم إن ، ﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾ اى شيء الساعة استغرابًا لها . ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ﴾ اصله نظن ظنًا فادخل حرفا النفى والإستثناء لإثبات الظن ونفى ما عداه كانه قال : ما نحن إلا نظن ظنًا ، او لنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله : ﴿ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ اى لإمكانه ، ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات فى أمر الساعة .

﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ ظهر لهم . ﴿ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها ، أو جزاءها . ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ وهو الجزاء .

الآيات من ٣٤ : ٣٧

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) ﴾ .

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾ نترككم فى العذاب ترك ما ينسى . ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ كما تركتم عدته ولم تبالوا به ، وإضافة لقاء إلى يوم إضافة المصدر إلى ظرفه . ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ يخلصونكم منها .

﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها .

﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ فحسبتم أن لا الحياة سواها . ﴿ فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء . ﴿ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه .

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته .

﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ إذ ظهر فيها آثارها . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذى لا يغلب . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له .

فضل سورة الجاثية

عن النبى ﷺ قال : « من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب »(٧) .

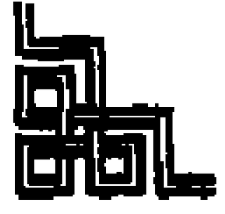
(٧) ذكره الزمخشري في تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبى بن كعب رضي الله عنه .

(٤٦) سورة الأحقاف مكية
وآياتها أربع أو خمس وثلاثون آية (١)
الآيات من ١ : ٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم ① تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ② ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون ③ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ④﴾



الله هو الخالق ولا خالق سواه

﴿حم﴾

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾

﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ إلا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة ، وفيه دلالة علي وجود الصانع الحكيم ، والبعث للمجازاه علي ما قررناه مرارا . ﴿ وأجل مسمى ﴾ وبتقدير أجل مسمي ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة، أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له . ﴿ والذين كفروا عما أنذروا ﴾ من هول ذلك الوقت ، ويجوز ان تكون ما مصدرية . ﴿معرضون ﴾ لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله .

﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ﴾اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تامل فيها ، هل يعقل ان يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة ، وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية . ﴿ ائتوني

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية إلا الآيات ١٠ ، ١٥ ، ٣٥ فمدنية ، ونزلت هذه السورة بعد الجاثية .

بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق بالتوحيد . ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين علٌ فيها ما يدل علي استحقاقهم للعبادة أو الأمر به . ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم ، وهو إلزام بعدم ما يدل علي الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا ، وقرئ إثارة بالكسر أي مناظرة فإن المناظرة تثير المعاني ، وأثرة اى شيء أوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث إذا رواه والمكسورة بمعني الأثرة والمضمومة اسم ما يؤثر .

الآيات من ٥ : ٩

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾

ضلال الذين يدعون من لا يستجيب لهم

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ﴾ إنكار ان يكون احد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير إلي عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم ، فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم . ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ما دامت الدنيا . ﴿ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾لانهم إما جمادات وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم .

﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ﴾ يضرونهم ولا ينفعونهم . ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ مكذبين بلسان الحال او المقال . وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله تعالي ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ (٢) .

(٢) الأنعام : ٢٣ .

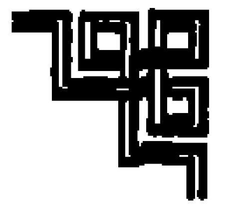
ما يقوله الكفار حول القرآن

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات او مبينات .﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ لأجله وفي شانه ، والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة. ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ حينما جاءهم من غير نظر وتأمل . ﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر بطلانه .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وإنكار له وتعجيب . ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ ﴾ على الفرض .﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ اي إن عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون علي دفع شئ منها فكيف أجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولادفع ضر من قبلكم؟ ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ تندفعون فيه من القدح في آياته . ﴿ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والإنكار، وهو وعيد بجزاء إفاضتهم . ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم .

النبي ليس أول رسول وهناك رسل سابقون

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ بديعا منهم ادعوكم إلى ما لا يدعون إليه، أو اقدر على ما لم يقدروا عليه، وهو الإتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعني الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم اومقدر بمضاف اى ذا بدع، ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ في الدارين علي التفصيل إذ لا علم لي بالغيب ، ولا لتاكيد النفي المشتمل علي ما يفعل بي ، وما إما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة. وقرئ يفعل اى يفعل الله. ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ لاانجاوزه ، وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب ، او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذي المشركين. ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ من عقاب الله . ﴿ مُّبِينٌ ﴾ بين الإنذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة .



الآيات من ١٠ : ١٤

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑩ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ⑪ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ⑫ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑬ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑭ ﴾ .

شهادة عبد الله بن سلام علي صدق الرسول

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ اي القرآن . ﴿ وَكَفَرْتُم بِهِ ﴾ وقد كفرتم به ، ويجوز ان تكون الواو عاطفة علي الشرط وكذا الواو في قوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إلا انها تعطفه بما عطف عليه علي جملة ما قبله، والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسي عليه الصلاة والسلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول عليه الصلاة والسلام .﴿ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له ، او مثل ذلك وهو كونه من عند الله. ﴿ فَآمَنَ ﴾ اي بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق. ﴿ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ استئناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ، ودليل علي الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين(٣)

---

(٣) مما يشهد ان المقصود بالشاهد هو عبد الله بن سلام ما رواه البخاري ومسلم والنسائى من حديث مالك . قال مالك عن ابى النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض : إنه من اهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ، قال : وفيه نزلت : ﴿ وشهد شاه من بني إسرائيل على مثله ﴾ وقد رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار – باب : مناقب عبد الله بن سلام جـ ٥ ص ٤٦ ، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب : من فضائل عبد الله بن سلام جـ ٧ ص ١٦٠ .
وقد ذكر ابن هشام في سيرته قصة إسلام عبد الله بن سلام التي تصدق معنى هذه الآية

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأجلهم . ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان او ما اتي به محمد ﷺ ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ وهم سقاط إذ عامتهم فقراء وموال ورعاة، وإنما قاله قريش وقيل: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار، أو اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ مسبب عنه وهو كقولهم : أساطير الأولين. ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله : ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ ناصب لقوله : ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ على الحال. ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به . ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير كتاب في مصدق أو منه

فقال : عبد الله بن سلام : لما سمعت رسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف ــ نتوقع ــ له ، فكف مُسرًا لذلك صامتًا عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدنية ، فلمانزل بقباء في بني عمرو بن عوف اقبل رجل حتى اخبر بقدومه ، وأنا في راس نخلة لي أعمل بها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر كبرت . فقالت لي عمتى ــ حين سمعت تكبيري ــ خيَّبك الله ، لو كنت سمعت بموسي بن عمران قادمًا ما زدت . فقلت لها : اي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلي دينه بُعثَ بما بُعثَ به .

فقالت : اي ابن اخى ، أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة ؟ فقلت لها : نعم ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ . فاسلمت ، ثم رجعت إلى اهل بيتى فامرتهم فاسلموا . قال : وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله إن يهود قوم بُهْت ــ كذب وضلال ــ وإنى احب ان تدخلني في بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ، ثم تسالهم عني ، حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل أن يعلموا ا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . فادخلنى رسول الله ﷺ في بعض بيوته ــ ودخلوا عليه فكلموه وسالوه . ثم قال لهم : اى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحَبْرنا وعالمنا . فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله ﷺ تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه لرسول الله ﷺ واومن به واصدقه واعرفه . فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي . قال : فقلت لرسول الله ﷺ : الم اخبرك يا رسول الله انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور ؟ . . سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١١٩ ط ٢ الأنوار المحمدية .

لتخصصه بالصفة، وعاملها معني الإشارة وفائدتها الإشعار بالدلالة علي أن كونه مصدقا للتوراة كما دل علي أنه حق دل علي أنه وحي وتوقيف من الله سبحانه وتعالي ، وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي بإعجازه ، ﴿ لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ علة مصدق ، وفيه ضمير الكتاب أو الله او الرسول ويؤيد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ عطف علي محله .

جزاء الاستقامة بعد الإيمان

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الأمور التي هي منتهي العمل ، وثم للدلالة علي تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره علي التوحيد . ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من لحوق مكروه . ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ علي فوات محبوب ، والفاء لتضمن الاسم معني الشرط(٤).

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من اكتساب الفضائل العلمية والعملية، وخالدين حال من المستكن في أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء .

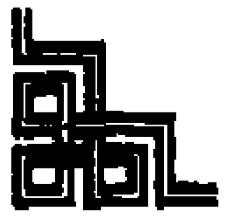
الآيات من ١٥ : ١٨

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ

(٤) روي الإمام احمد من حديث عبد الله بن سفيان الثقفي عن ابيه : ان رجلا قال : يا رسول الله ، مرني بأمر في الإسلام لا اسال عنه احدا بعد . قال : قل آمنت بالله ثم استقم . قال : قلت : فما اتقى ؟ فأوما إلى لسانه .

مسند الإمام احمد جـ ٤ ص ٣٨٤ – جـ٣ص٣ / ٤ ورواه التمذي في أبواب الزهد . باب : ما جاء في حفظ القرآن .

إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٧) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) ﴾



الوصية بالوالدين

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ وقرأ الكوفيون إحسانا ، وقرئ حسنا أي

* الإعجاز العلمي

من الإعجاز العلمي لقول الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾

ليس ثمة شك أنه من بين المقاصد الأساسية للزواج في الشريعة الإسلامية أن تؤتي هذه العلاقة ثمارها الطيبة بين الأزواج ، فيرزقون بالأبناء والأحفاد زهرة الحياة وزينتها ليعمروا الأرض ويعبدوا الله ، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ .

وبحدوث الحمل تبدأ الأم في مباشرة أول المهام الأساسية لها في تكوين الأسرة ، فتحمل جنينها بين جنباتها وتحافظ عليه باعتبار أن حياته أثناء فترة الحمل مرتبطة بها وبحياتها وجسمه غير منفصل عن جسمها إذ هو جزء منها طيلة مدة الحمل المقررة له .

وجدير بالذكر أن الإعجاز القرآني كان سباقا للطب الحديث منذ قرون من الزمان في خصوص أقل مدة للحمل يمكثها الجنين في بطن أمه ، فلقد قال سبحانه وتعالى في قرآنه الحكيم ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ وقال عز وجل ﴿ وفصاله في عامين ﴾ وبإسقاط مدة الفصال من مدة الحمل فإنه يبقى الحمل مدة ستة أشهر .

وقد روي أن رجلا تزوج امرأة ولدت له ولدا لستة أشهر من الزواج فأحضروها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكي يقيم عليها الحد ويرجمها بتهمة الزنا . الزنا . فقال له علي بن أبى طالب كرم الله وجهه . أما أنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم . فإن الله تعالى يقول ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ ويقول تعالي : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ فإذا ذهب للفصال عامان لم يبق للحمل إلا ستة أشهر ، فأسقط عمر رضي الله عنها الحد وأثبت نسب الولد من الزوج .

وترتيبا على ذلك اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم من فقهاء الشريعة الإسلامية على أقل مدة يمكثها الجنين في بطن أمه بحيث يكون بعدها صالحا للولادة ومعدا لاستقبال الحياة هي ستة أشهر ، فإذا وضعت الزوجة وليدها بستة أشهر أو أكثر من وقت عقد الزواج ثبت نسبه لأبيه ، أما إذا ولدته لأقل من ستة أشهر من تاريخ العقد فلا يثبت نسبه من الزوج لتحقق الحمل به قبل الزواج ..

إيصاء حسنا . ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ ذات كره أو حملا ذاكره وهو المشقة ، وقرأ الحجازين وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر . وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر . ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ﴾ومدة حمله وفصاله ، والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد علن المدة ، قال :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٍ عِدَّةَ العُمرِ ومُودٍ إذَا انْتَهَى أمَدُه (٥)

﴿ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها ، وفيه دليل علي أن اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه إذا حط منه الفصال حولا ن لقوله تعالى ﴿ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ (٦) بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص أقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله . ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ قيل : لم يبعث نبي إلا بعد الاربعين (٧) ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا . ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾ يعني نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها ، وذلك يؤيد ما روي أنها نزلت في ابي بكر رضي الله تعالي عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه . ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ نكره للتعظيم أو لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل . ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه قوله :

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بالمَحل عَنْ ذِى ضُرُوعِهَا إِلَى الضَّيْفِ تَجْرَحْ فِى عَرَاقِيبِهَا نَصْلى (٨)

---

(٥) هذا البيت ذكره الزمخشري في الكشاف جـ ١ ص ٢٧٧ ولم ينسبه إلى قائل وكذلك لم ينسبه المرزوقي في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف .

ومعنى اودى : هلك ، والودَى كغنى : الهلاك ، والأمد والأجل يطلقان على جميع مدة الشيء وعلى منتهاها ، كما تطلق الغاية على جميع المسافة وعلى آخرها . يقول الشاعر : كل حي لا بد ان يستكمل مدة عمره ، ويهلك إذا انتهت مدته .

(٦) البقرة : ٢٣٣ . (٧) باستثناء عيسى – عليه السلام – .

(٨) هذا البيت لذي الرمة

﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عما لا ترضاه أو يشغل عنك . ﴿ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المخلصين لك .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ يعني طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه . ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ لتوبتهم ، وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما . ﴿ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم . ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ ﴾ مصدر مؤكد لنفسه فإن يتقبل ويتجاوز وعد . ﴿ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾اى في الدنيا .

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾مبتدأ خبره أولئك والمراد به الجنس وإن صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل إسلامه ، فإن خصوص السبب لا يوجب التخصيص(٩) وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني إسرائيل . ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾ ابعث ، وقرا هشام أتعداني بنون واحدة مشددة . ﴿ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾ فلم يرجع احد منهم .﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ ﴾يقولان الغياث بالله منك ، أو

والحديث عن الإبل ، والمحل هو الجدب ، وذي ضروعها : كناية عن اللبن لأنه ملازم للضروع .

وفصد العراقيب عادة عربية قديمة ، كانوا يفصدون العراقيب ويجمعون الدماء ويضعونها علي النار فتصير كالكبد ويقرون بذلك الضيفان في الجدب ، وقد حرم الله تعالى ذلك . وقد يكون التعبير كناية عن ذبحها

راجع مشاهد الإنصاف لمحمد بن عليان المرزوقي في شرح الشاهد الذي أورده الزمخشري في تفسيره في سورة الحجر جـ ٨ ص ٥٧٨ .

(٩) جاء في بعض الروايات ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابى بكر قبل إسلامه ، وكان ابوه وامه أم رومان يدعوانه إلى الإسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عز وجل، وكان هذا منه قبل إسلامه . وروي ان عائشة رضي الله عنها انكرت ان تكون نزلت في عبد الرحمن وقال الحسن وقتادة : هي نعت عبد كافر عاق لوالديه . وقال الزجاج : كيف يقال : نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه ، والله عز وجل يقول : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول في امم ﴾ اي العذاب ، ومن ضرورته عدم الإيمان وعبد الرحمن من افاضل المؤمنين ، فالصحيح انها نزلت في عبد كافرعاق لوالديه . ــ تفسير القرطبي ــ .

يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للإيمان . ﴿ وَيْلَكَ آمِنْ ﴾أي يقولان له ويلك، وهو الدعاء بالثبور بالحث علي ما يخاف علي تركه . ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أباطيلهم التي كتبوها .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ بأنهم أهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لأنه يدل علي أنه من أهلها لذلك وقد وجب عنه إن كان لإسلامه . ﴿ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهِم ﴾كقوله في أصحاب الجنة . ﴿ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ بيان للأمم . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ تعليل للحكم علي الاستئناف .

الآيات من ١٩ : ٢٤

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) ﴾

كل مجزي علي عمله

﴿ وَلِكُلٍّ ﴾من الفريقين . ﴿ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾مراتب من جزاء من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وها هنا جاءت علي التغليب . ﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾جزاءها ، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون . ﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ يعذبون بها . وقيل : تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم : عرضت الناقة علي الحوض . ﴿ أَذْهَبْتُمْ ﴾ أي يقال لهم أذهبتم ، وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرؤه

بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين ﴿ طَيِّبَاتِكُمْ ﴾ لذاتكم . ﴿ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ باستيفائها . ﴿ وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ فما بقي لكم منها شيء . ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ الهوان وقد قرئ به . ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله ، وقرئ تفسقون بالكسر (١٠) .

وجوب الاعتبار بقصة قوم عاد

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ يعني هودا . ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج ، وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة علي البحر بالشحر من اليمن . ﴿ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ ﴾ الرسل . ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قبل هود وبعده والجملة حال أو اعتراض . ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ أي لا تعبدوا ، أو بان لا تعبدوا فإن النهي عن الشيء إنذار من مضرته . ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هائل بسبب شرككم .

---

(١٠) كان النبى ﷺ المثل الأعلى في الزهد ، جاء في صحيح مسلم ان عمر رضي الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو في مشربته حين هجر نساءه . قال : فالتفت فلم أر شيئًا يرد البصر إلا اهبًا جلودًا معطونة قد سطع ريحها . فقلت : يا رسول الله انت رسول الله وخيرته ، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير ؟ قال : فاستوى جالسًا وقال : افى شك انت يا ابن الخطاب ، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا . فقلت : استغفر لي يا رسول الله . فقال : اللهم اغفر له .

وسار على هذا النهج السلف الصالح ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال حفص ابن ابى العاص : كنت اتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت ، والخبز والخل ، والخبز واللبن ، والخبز والقديد ، واقل ذلك اللحم الفريض ، وكان يقول : لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله . فجيء بخبز مُتَفَلِّع – مشقق – غليظ ، فجعل ياكله ويقول: كلوا – فجعلنا لا ناكل . فقال : ما لكم لا تاكلون ؟ فقلنا : والله يا امير المؤمنين نرجع إلى طعام الين من طعامك هذا . فقال : يا بن أبي العاص والله الذي لا إله إلا هو لولا انى اخاف ان تنقص حسناتي يوم القيامة لشاركتكم في العيش ، ولكنى سمعت الله تعالى يقول لأقوام ﴿ اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ – تفسير القرطبي– .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾ لتصرفنا ..﴿ عَنْ آلِهَتِنَا ﴾ عن عبادتها . ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب علي الشرك . ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في وعدك . ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ ﴾ لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به ، وإنما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له . ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم وما علي الرسول إلا البلاغ . ﴿ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾سحابا عرض في أفق السماء . ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ متوجه أوديتهم ، والإضافة فيه لفظية وكذا في قوله : ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي يأتينا بالمطر﴿ بَلْ هُوَ﴾ أي قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو : ﴿ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾من العذاب ، وقرئ قل بل : ﴿ رِيحٌ ﴾ هي ريح ، ويجوز أن يكون بدل ما . ﴿ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ صفتها وكذا قوله :

الآيات من ٢٥ : ٢٨

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ تُدَمِّرُ ﴾ تهلك . ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من نفوسهم وأموالهم . ﴿ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته ، وفي ذكر الأمر والرب وإضافة إلي الريح فوائد سبق ذكرها مراراً ، وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء في ربها ، ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة علي أن لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ، وتكون الهاء لكل شئ فإنه بمعني الأشياء ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا

تري إلا مساكنهم ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يري إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن . ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ روي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف علي الكفرة ، وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ، ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ إن نافية وهي أحسن من ما ههنا لأنها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما ، أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ، ولقد مكناهم في الذي أو في شئ إن مكانكم فيه كان بغيكم أكثر ، أو صلة كما في قوله .

يُرَجِّي المَرْءُ مَا إِنْ لاَ يَرَاهُ ويعرض دُونَ أدناهُ الخُطُوبُ (١١)

والأول أظهر وأوفق لقوله ﴿هم أحسن أثاثا ﴾ (١٢) ﴿ كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا ﴾ (١٣) ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾ ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها علي مانحها تعالي ويواظبوا علي شكرها . ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ ﴾ من الإغناء وهو القليل . ﴿ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ صلة لما أغني وهو ظرف جري مجري التعليل من حيث إن الحكم مرتب علي ما أضيف إليه وكذلك حيث . ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ من العذاب .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم ﴾ يا أهل مكة . ﴿ مِّنَ الْقُرَىٰ ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط . ﴿ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ﴾ بتكريرها . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن كفرهم .

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلي الله تعالي حيث قالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وأول مفعولي اتخذوا الراجع إلي الموصول محذوف ، وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان، أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له علي أنه بمعني التقرب . وقرئ قربانا بضم الراء .

---

(١١) قيل : هذا البيت لجابر بن رالان الطائى ، وقيل : لإياس بن الأرت . ومعناه : أن الإنسان يرتجى الأمر الغائب عنه ، وكثيرا ما تحول الخطوب وأهوال الموت بينه وبين ما يريد . وقد نظر ابن زيدون إلى هذا المعني حين قال :

ما أمتع الآمال إلا أنها تعتاق دون بلوغها الآجال

والشاهد في البيت الذي رواه المصنف زيادة إنْ بعد ما الموصولة له .

(١٢) مريم : ٧٤ . (١٣) غافر : ٢١ .

﴿ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ﴾ غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم لامتناع الاستمداد بالضال . ﴿ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق ، وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة ، وآفكهم أي جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك أى ذو الإفك . ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

الآيات من ٢٩ : ٣٢

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾

سماع الجن للقرآن وإيمانهم به

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ أملناهم إليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار. ﴿ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ حال محمولة علي المعني . ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾ أي القرآن أو الرسول . ﴿ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾ قالوا بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه . ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ اتم وفرغ من قراءته ، وقرئ علي بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ اي منذرين إياهم بما سمعوا . روي انهم وافوا رسول الله ﷺ بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده (١٤) .

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ قيل إنما قالوا ذلك لأنهم

---

(١٤) كان ذلك في أثناء رحلته إلى الطائف ليدعو ثقيفا إلى الله ، فكذبوه وآذوه وأساءوا استقباله ﷺ ، فعاد ، حتى إذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا القرآن .

واختلف في عددهم فبعضهم قال : كانوا تسعة ، وقال السهلي في الروض الأنف : كانوا سبعة وكانوا يهوداً فأسلموا ولذلك قالوا : ﴿ انزل من بعد موسى ﴾ وقيل في اسمائهم: شاهد ، وماصر ، ومنشى ، وماشي ، والأحقب . ذكر هؤلاء الخمسة ابن دريد . ومنهم عمرو بن جابر ، ومنهم زوبعة . ــ راجع تفسير القرطبي ــ .

كانوا يهودا أو ما سمعوا بأمر عيسي عليه الصلاة والسلام .﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ من العقائد . ﴿ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ من الشرائع .

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم لا تغفر بالإيمان . ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هو معد للكفار ، واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه باقتصارهم علي المغفرة والإجارة علي أن لا ثواب لهم ، والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم .

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ إذ لا ينجي منه مهرب . ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ يمنعونه منه . ﴿ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه .

الآيات من ٣٣ : ٣٥

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ولم يتعب ولم يعجز ، والمعني أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد . ﴿ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ أى قادر ، ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر ، والباء مزيدة لتأكيد النفي فإنه مشتمل علي أن وما في حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله : ﴿ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تقرير للقدرة علي وجه عام يكون كالبرهان علي المقصود كأنه صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ منصوب بقول مضمر مقوله : ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ﴾ والإشارة إلي العذاب . ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بكفركم في الدنيا ، ومعني الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم .

أولو العزم من الرسل

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ أولو الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم ، ومن للتبيين ، وقيل للتبعيض ، وأولو العزم منهم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا علي تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ، ومشاهيرهم : نوح، وإبراهيم ، وموسي ، وعيسي صلي الله عليهم وسلم . . وقيل: الصابرون علي بلاء الله كنوح صبر علي أذي قومه كانوا يضربونه حتي يغشي عليه ، وإبراهيم علي النار وذبح ولده والذبيح علي الذبح ، ويعقوب علي فقد الولد والبصر ، ويوسف علي الجب والسجن ، وأيوب علي الضر ، وموسي قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين ، وداود بكي علي خطيئته أربعين سنة ، وعيسي لم يضع لبنة علي لبنة . ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في وقته لا محالة . ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتي يحسبونها ساعة . ﴿ بَلَاغٌ ﴾ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية، أو تبليغ من الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده أنه قرئ بلغ ، وقيل بلاغ مبتدأ خبره بهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون إليه كانهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم ، وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا . ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة ، وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ، ونهلك بالنون ونصب القوم .

فضل سورة الأحقاف

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا** » (١٥)

---

(١٥) ذكره الكشاف في تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر ، أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى ابي بن كعب رضي الله عنه .

فضل الحواميم عامة

ورد في فضل الحواميم وهي سبع سور : غافر ، فصلت ، الشورى ، الشورى ، الزخرف، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، عدة آثار منها :

....

* « الحواميم ديباج القرآن » رواه السيوطي في الجامع الصغير جـ ١ ص ١٥٧ وقال : أخرجه ابو الشيخ في الثواب عن انس رضي الله عنه ، والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفًا ، ورمز له السيوطي بالحسن .

* والحواميم روضة من رياض الجنة » الجامع الصغير جـ ١ ص ١٥٧ وقال السيوطي : أخرجه ابن مردويه عن سمرة ، وحسنه .

* « الحواميم سبع ، وابواب جهنم سبع : تجئ كل حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني » المرجع السابق ، وقال السيوطي : أخرجه البيقهي في الشعب عن الخليل بن مرة مرسلا .

* روي الدارمي في مسنده قال : حدثنا جعفر بن عون عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم قال : إن الحواميم يسمين بالعرائس . رواه الدارمي في فضائل القرآن بإسناد صحيح .

* « لكل شيء ثمرة ، وإن ثمرة القرآن حم ، هن روضات حسان مخضبات متجاورات، فمن احب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم » الدر المنثور للسيوطي – كتاب التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ٢٨٢ .

* مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب » ذكره الثعلبي – ورواه القرطبي في كتاب « التذكار » وفي تفسيره : الجامع لأحكام القرآن . .

* قال ابو عبيد – وهو القاسم بن سلام – : حدثني حجاج بن محمد بن أبى معشر عن محمد بن قيس قال : رأي رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم ، فقال : لمن أنتن بارك الله فيكن ؟ فقلن : نحن لمن قرأنا . نحن الحواميم .

من كتاب التذكار ، وكتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

(٤٧) سورة محمد مدنية
وتسمى سورة القتال وقيلْ مكية
وآياتها سبع أو ثمان وثلاثون أو أربعون آية(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٣

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) ﴾ .

الكفار يصدون عن سبيل الله فهم فى ضلال

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ امتنعوا عن الدخول فى الإسلام وسلوك طريقه ، أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر ، أو شياطين قريش أو المصريين من أهل الكتا ب . او عام فى جميع من كفر وصد ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محيطة بالكفر ، أو مغلبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن ، و ضلال حيث لم يقصدوا به وجه الله ، او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله (٢) .

---

(١) في تفسير القرطبي : مدنية في قول ابن عباس ، ذكره النحاس . وقال الماوردي : في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا : إلا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة ، وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكى حزنا عليه ، فنزل عليه ﴿ وكاين من قرية هي أشد قوة من قريتك ﴾ آية رقم ١٣ .

وقال الثعلبي : إنها مكية ، وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير .

وفي تفسير الكشاف : نزلت هذه السورة بعد سورة الحديد .

(٢) في هذه السورة مشابه من سورة التوبة في مطلعها حيث تدعو كلتاهما إلى قتال الكفار الذين يقفون في طريق الدعوة ويحولون دون حرية إنتشار الإسلام ، ولكن الفرق بينهما

المؤمنون أهل حق وتوفيق

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يعم المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم . ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه ، وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ اعتراضاً على طريقة الحصر . وقيل حقيقته بكونه ناسخاً لا ينسخ ، وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف .﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ سترها بالإيمان وعملهم الصالح. ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ما مر من الإضلال والتكفير والإصلاح وهو مبتدأ خبره . ﴿ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق ، وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك سمى تفسيراً . ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ يبين لهم . ﴿ أَمْثَالَهُمْ ﴾ بأن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار والإضلال مثلاً لخيبتهم واتباع هؤلاء الحق ، مثلاً للمؤمنين ، وتكفير السيئات مثلاً لفوزهم .

الآيات من ٤ : ٩

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ .

ان التوبة لا بسملة في أولها ، ولكن هذه السورة مصدرة بالبسملة . ولعل ذكر اسم محمد ﷺ الذى أرسله الله رحمة للعالمين والذي ورد في أول هذه السورة استدعى وجود البسملة لتطابق الرحمة الرحمة . أشار إلى هذا المعنى الجوهري في تفسيره «الجواهر» .

الأمر بقتال الكفار

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فى المحاربة . ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر ، وأنيب منابه مضافة إلى المفعول ضماً إلى التأكيد الاختصار . والتعبير به عن القتل إشعار بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن ، وتصوير له بأشنع صورة (٣) ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ ﴿ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ فأسروهم واحفظوهم ، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به . ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ أى فإما تمنون منا أو تفدون فداء ، والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء ، وهو ثابت عندنا فإن الذكر الحر المكلف إذا تخير الإمام بين القتل والمن والفداء ، والاسترقاق منسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل أو الإسترقاق . وقرئ فَدا كعصا . ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ آلاتها وأثقالها التى لاتقوم إلا بها كالسلاح والكراع ، أى تنقضى الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم . وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم ، وهو غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم . وقيل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى الأمر ذلك ، أو افعلوا بهم ذلك . ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ لا نتقم منهم بالاستئصال . ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ ولكن أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم ، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر .

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى جاهدوا ، وقرأ البصريان وحفص قتلوا أى استشهدوا . ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فلن يضيعها ، وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول .

---

(٣) جاء في المنتخب من التفسير – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – عينت الرقاب في هذه الآية الكريمة لأن ضربها المحج وسيلة للإجهاز السريع علي المضروب بغير تعذيب له ولا تمثيل به ، إذ أنه من الثابت علميا أن الرقبة حلقة الاتصال بين الرأس وسائر الجسد ، فإذا قطع الجهاز العصبي شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية ، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس ، وفي جميع هذه الحالات تنتهى الحياة سريعا .

﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ إلى الثواب ، أو سيثبت هدايتهم . ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ .

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما استحقوها به ، أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدى إليه :انه كان ساكنه منذ خلق ، أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة ، أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ ﴾ إن تنصروا دينه ورسوله . ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ على عدوكم . ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فى القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع ا لكفار .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ فعثورا لهم وانحطاطًا ونقضه لما قال الأعشى . فالتعس أولى بها من ان اقول لعًا . . . وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعًا ، والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه . ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ عطف عليه .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسم ، وهو تخصيص وتصريح بسببه الكفر بالقرآن للتعس والإضلال ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم ﴾ كرره إشعاراً بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال .

الآيات من ١٠ : ١٤

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) ﴾ .

وجوب الاعتبار بأحوال الأمم الماضية

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم . ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر . ﴿ أَمْثَالُهَا ﴾ أمثال تلك العاقبة أو العقوبة ، أو

الهلكة لأن التدمير يدل عليه ، أو السنة لقوله تعالى ﴿ سنة الله التى قد خلت ﴾ (٤) .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ناصرهم على أعدائهم . ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله ﴿ وردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾(٥) فإن المولى فيه بمعنى المالك .

حال الكفار كحال الأنعام

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ﴾ ينتفعون بمتاع الدنيا . ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ ﴾ حريصين غافلين عن العاقبة . ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ منزل ومقام .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ على حذف المضاف وإجراء أحكامه علي المضاف إليه . والإخراج باعتبار التسبب . ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ بأنواع العذاب . ﴿ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ يدفع عنهم العذب وهو كالحال المحكية .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ حجة من عنده وهو القرآن ، أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبى ﷺ والمؤمنين . ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ كالشرك والمعاصى . ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجة .

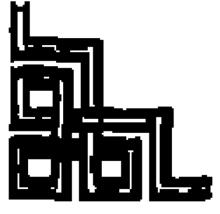
الآيات من ١٥ : ٢٠

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا

---

(٤) الفتح : ٢٣ . (٥) يونس : ٣٠ .

جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .



مثل الجنة

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ أى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة . وقيل مبتدأ خبره . : كَمَن هو خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد ، أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الإنكار وحذف ما حذف استغناء يجرى مثله تصويراً لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى ، بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار ، وهو على الأول خبر محذوف تقديره : افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد في النار ، أو بدل من قوله ﴿ كمن زين ﴾ وما بينما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة فى الآخرة تقريراً لإنكار المساواة ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف ، أو خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه وريحه ، أو بالكسر على معنى الحدوث . وقرأ ابن كثير اسن[٦] ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ لم يصر قارصاً ولا حازراً ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار، ولذة تانيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار ذات ، أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة . ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها ، وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها ، والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها . ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ صنف على هذا القياس . ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ عطف على

---

(٦) جاء في المنتخب من التفسير : توجه الآية الكريمة الأنظار إلى ان الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار ، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير المكبرة – ميكرسكوب – لقرون عدة ، حيث تبين أن الماء الراكد المتغير مستودع لملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب الأنعام بأمراض شتى .

الصنف المحذوف ، أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم مغفرة . ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً ﴾ مكان تلك الأشربة . ﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ من فرط الحرارة .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ ﴾ يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ﷺ ويسمعون كلامه فإذا خرجوا . ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ اى لعلماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم . ﴿ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ ما الذى قال الساعة ، استهزاء أو استعلاماً إذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به ، وآنفاً من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ، ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتنفاً ، أو حال من الضمير فى قال وقرأ ابن كثير أنفاً .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ فلذلك استهزؤوا وتهاونوا بكلامه .

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ اى زادهم الله بالتوفيق والإلهام ، أو قول الرسول عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم ، أو أعطاهم جزاءها .

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ فهل ينتظرون غيرها . ﴿ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ بدل اشتمال من الساعة ، وقوله ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ كالعلة له ، وقرئ إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ والمعنى أن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها كمبعث النبى عليه الصلاة والسلام (٧) ، وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم إذا جاءتهم الساعة بغتة ، وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع .

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ اى إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك . (٨) ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ولذنوبهم

---

(٧) جاء فى حديث سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال : « بعثت انا والساعة كهاتين » رواه البخارى في كتاب التفسير ـ تفسير سورة النازعات .

(٨) جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت إلهي لا إله إلا أنت »

بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم ، وفى إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر ، فإن الذنب له ما له تبعة ما بترك الاولى . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴾ فى الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها . ﴿ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ فى العقبي فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا لمعادكم .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد . ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ مبينة لا تشابه فيها . ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ اى الأمر به . ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف فى الدين وقيل نفاق . ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ جبنًا ومخافة ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ فويل لهم ، افعل من الولى وهو القرب ، او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه او يؤول إليه امرهم (٩) .

الآيات من ٢١ : ٢٦

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) ﴾ .

التحذير من قطع الرحم

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ استئناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم، او حكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة . ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ ﴾ اي جد وهو

ـدعوات ـ باب قول النبى ﷺ : اللهم غفر لي ما قدمت وما اخرت » .

(٩) سبق بيان هذا المعنى عند تفسير قوله تعالي : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال . . ﴾ الآية ـ النساء:٧٧ .

لأصحاب الأمر ، وإسناده إليه مجاز وعمل الظرف محذوف ، وقيل ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ﴾ أى فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان . ﴿ لَكَانَ ﴾ الصدق ﴿ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ فهل يتوقع منكم . ﴿ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم ، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام . ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ تناحرًا على الولاية وتجاذبًا لها ، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب ، والمعنى أنهم لضعفهم فى الدين وحرصهم عى الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم ، وهذا على لغة الحجاز فإن بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وإن توليتم اعتراض ، وعن يعقوب توليتم أى إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الإفساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع ، وقرئ تقطعوا من التقطع .

﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى المذكورين . ﴿ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام . ﴿ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن استماع الحق . ﴿ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ فلا يهتدون سبيله(١٠) .

---

(١٠) تحذر هذه الآية الكريمة من قطع الرحم ، والأمر بصلة الرحم ورد في آثار كثيرة ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : « خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن عز وجل ، فقال : مه . فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك . قال أبو هريرة : اقرأو إن شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾

رواه البخارى في كتاب التفسير ــ تفسير سورة محمد .

وأثر عن بعض الصالحين أنه قال : احذروا قطيعة الرحم فإن الله قد لعن قاطع الرحم في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم .

أما الموضع الأول فهو قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ البرق : ٢٧ .

وأما الموضع الثانى فهو قوله تعالى : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ الرعد : ٥

وأما الموضع الثالث فهو الآية المذكورة في سورة محمد .

تدبر القرآن يهدى إلى الحق

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي . ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ لا يصل إليها ذكر ولا ينشق لها أمر ، وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير ، وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم او لإشعار بانها لإبهام امرها فى القساوة ، او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة .وإضافة الاقفال إليه للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة . وقرئ إقفالها على المصدر .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾ اي ما كانواعليه من الكفر . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة . ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء .وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى ، وفيه أن السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل، ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم . ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى لهم ، اي وأنا أملى لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف، وقرأ ابو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم .

من ألاعيب النفاق

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾ اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى عليه الصلاة والسالم بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين ، او المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين . ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ فى بعض أموركم او فى بعض ما تامرون به كالقعودعن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم إن أخرجوا ، والتظافر على الرسول ﷺ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم ، وقرأ حمزة والكسائى وحفص إسرارهم على المصدر .

الآيات من ٢٧ : ٣٤

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) ﴾ .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ ،و قرئ توفاهم يحتمل الماضى والمضارع المحذوف إحدى تاءيه . ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى التوفى الموصوف . ﴿ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ﴾ من الكفر ككتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الأمر . ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات . ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ لذلك .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ ﴾ ان لن يبرز الله لرسوله ﷺ والمؤمنين . ﴿ أَضْغَانَهُمْ ﴾ احقادهم .

من علامات النفاق

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ ﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم . ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلاماتهم التى نسمهم بها ، واللام لام الجواب كررت فى المعطوف . ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه ، او إمالته إلى جهة تعريض وتورية ، ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ فيجازيكم على حسان قصدكم إذ الأعمال بالنيات.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة . ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ على مشاقه . ﴿ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها ، او أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها . وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها ، عن يعقوب ونبلو بسكون الواو علي تقدير ونحن نبلو .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر . ﴿ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ بكفرهم وصدهم ، أو لن يضروا رسول الله ﷺ بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته . ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ثواب حسنات أعمالهم بذلك ، او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها ولا مقاصدهم ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم .

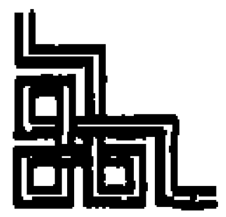
ما الذى يبطل الأعمال ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذي ونحوها ، وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ، ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه .

الآيات من ٣٥ : ٣٨

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾



﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ فلا تضعفوا . ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ ولا تدعوا إلى الصلح خورًا وتذللاً ، ويجوز نصبه بإضمار إن قرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا ، وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين . ﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ الأغلبون. ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ ناصركم . ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل إذا قتلت متعلقًا به من قريب أو حميم فأفردته منه من التر ، شبه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه .

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ لاثبات لها . ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم . ﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر .

التحذير من التقاعس عن الإنفاق فى سبيل الله

﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ فيجهدكم بطلب الكل والإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال : أحفى شاربه إذ استأصله . ﴿ تَبْخَلُوا ﴾ فلا تعطوا ﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ ويضغنكم على رسول الله ﷺ والضمير فى يخرج لله تعالى، ويؤيده القراءة بالنون او البخل لأنه سبب الإضغان ، وقرئ وتخرج بالتاء رالياء ورفع أضغانكم .

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله ﴿ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ استئناف مقرر لذلك ، أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الدين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما . ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة . ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ فإن نفع الانفاق وضر البخل عائدان إليه ، والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدى فإنه إمساك عن مستحق .﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ فما يامركم به فهو لاحتياجكم إليه فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم . ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا ﴾ عطف على ان تؤمنوا . ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ يقيم مقامكم قومًا آخرين . ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ فى التولى والزهد فى الإيمان ، وهم الفرس لأنه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان إلى جنبه فضرب فخذه وقال: هذا وقومه : أو الانصار أو اليمن أو الملائكة .

فضل سورة محمد

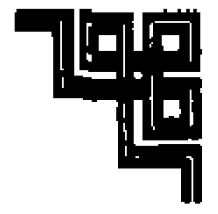
عن النبى ﷺ «من قرأ سوة محمد كان حقًا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة(١١)».

---

(١١) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي في أسانيد إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

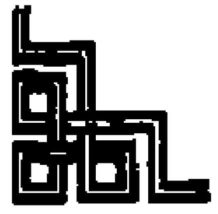
(٤٨) سورة الفتح مدنية
نزلت في مرجع رسول الله ﷺ من الحديبية
وآياتها تسع وعشرون آية (١)

الآيات من ١ : ٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④﴾



المقصود بالفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وعد بفتح مكة ، والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك ، أو إخبار عن صلح الحديبية وإنما سماه فتحا لأنه كان بعد ظهوره علي المشركين حتي سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة ، وفرغ به رسول الله ﷺ لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل في الإسلام خلقا عظيما ، وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتي شرب جميع من كان معه ، أو فتح الروم فإنهم غلبوا الفرس في تلك السنة ، وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام في سورة الروم . وقيل : الفتح بمعني القضاء أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الجمعة .

وفي تفسير ابن كثير جاء في مقدمة السورة عن عبد الله بن مغفل : قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح فَرَجَّع فيها – قال معاوية – الذي روى الحديث عن عبد الله : لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت لكم قراءته – رواه البخاري في تفسير سورة الفتح ، ورواه مسلم في كتاب الصلاة – باب : ذكر قراءة النبى ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة .

نعمة الله علي نبيه ﷺ

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾علة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في إزاحة الشرك وإعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهراً ليصير ذلك بالتدريج اختيارا ، وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة . ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه . ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بإعلاء الدين وضم الملك إلي النبوة . ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة .

﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ نصرا فيه عز ومنعة ، أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الثبات والطمانينة . ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ حتي ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الأقدام . ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ، أو نزل فيها السكون إلي ما جاء به الرسول ﷺ ليزدادوا إيماناً بالشرائع مع إيمانهم بالله واليوم الآخر ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يدبر امرها فيسلط بعضها علي بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخري كما تقتضيه حكمته .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بالمصالح . ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما يقدر ويدبر .

الآيات من ٥ : ١٠

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾

مثوبة المؤمنين وعقاب الكافرين والمنافقين

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ علة لما بعده لما دل عليه قوله تعالي : ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ من معني التدبير، أي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك ، أو فتحا أو انزل أو جميع ما ذكر او ليزدادوا ، وقيل إنه بدل منه بدل الاشتمال . ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ يغطيها ولا يظهرها . ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ اى الإدخال والتكفير . ﴿ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ لأنه منتهي ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر ، وعند حال من الفوز .

﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ عطف علي يدخل إلا إذا جعلته بدلا فيكون عطفا علي المبدل منه . ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين . ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم ، وقرأ ابن كثير وأبو عمر ودائرة السوء بالضم وهما لغتان، غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه والمضموم جري مجري الشر وكلاهما في الأصل مصدر . ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة علي ما استوجبوه في الدنيا : والواو في الأخيرين والموضع موضع الفاء إذ اللعن سبب للاعداد ، والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية . ﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ جهنم . ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

منزلة الرسول عند ربه وواجب المؤمنين نحوه

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾ علي أمتك . ﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ علي الطاعة والمعصية .

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والامة ، أو لهم علي ان خطابه منزل منزلة خطابهم . ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ وتعظموه . ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ وتنزهوه أو تصلوا له . ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ غدوة وعشيا أو دائما . وقرأ ابن كثير وابو عمرو الأفعال الأربعة بالياء ، وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من أوقره بمعني وقره .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ لأنه المقصود ببيعته (٢) ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ حال أو استئناف مؤكد له علي سبيل التخييل . ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ نقض العهد . ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه . ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ ﴾ في مبايعته ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ هو الجنة ، وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون . والآية نزلت في بيعة الرضوان .

الآيات من ١٠ : ١٤

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٤) ﴾

موقف المنافقين يوم الحديبية

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار (٣) استنفرهم رسول الله ﷺ عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم ، وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش إن صدوهم . ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ إذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم ، وقرئ بالتشديد للتكثير .

﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ من الله علي التخلف . ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار . ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ

---

(٢) المقصود بالبيعة بيعة الرضوان ، وسيأتى ذكرها في السورة .

(٣) في تفسير القرطبي : هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدّيل وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة .

شَيْئًا ﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه . ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ ما يضركم كقتل أو هزيمة أو خلل في المال والأهل عقوبة علي التخلف ، وقرأ حمزة والكسائي بالضم . ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ ما يضاد ذلك ، وهو تعريض بالرد . ﴿ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه .

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ لظنكم أن المشركين يستأصلونهم ، وأهلون جمع أهل وقد يجمع علي أهلات كارضات علي أن أصله أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال . ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فتمكن فيها ، وقرئ علي البناء للفاعل وهو الله أو الشيطان . ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ الظن المذكور ، والمراد التسجيل عليه بالسوء أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة .

﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم .

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ وضع الكافرين موضع الضمير إيذانا بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره ، وتنكير سعيرا للتهويل أو لأنها نار مخصوصة .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يدبره كيف يشاء . ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ إذ لا وجوب عليه . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فإن الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ، ولذلك جاء في الحديث الإلهي « سبقت رحمتي غضبي » .

الآيات من ١٤ : ١٧

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥) قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) ﴾

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ يعني المذكورين . ﴿ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ يعني مغانم خيبر فإنه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ، ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم . ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ان يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر ، قيل قوله تعالى ﴿ لن تخرجوا معي أبدا ﴾ (٤) والظاهر انه في تبوك . والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة . ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ نفي في معني النهى . ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل تهيئهم للخروج إلى خيبر . ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أن نشارككم في الغنائم ، وقرئ بالكسر . ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يفهمون . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا ، ومعني الإضراب الأول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم وإثبات للحسد ، والثاني رد من الله لذلك وإثبات لجهلهم بأمور الدين .

تحذير وتنبيه لهؤلا المخلفين

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم وإشعارا بشناعة التخلف . ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ بني حنيفة أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ، أو المشركين فإنه قال : ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ اي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ، ومن عداهم يقاتل حتي يسلم او يعطي الجزية ، وهو يدل علي إمامة أبي بكر رضي الله عنه إذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره (٥) إلا إذا صح انهم ثقيف وهوازن فإن ذلك كان في عهد

---

(٤) التوبة : ٨٣ .

(٥) قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن في هذه الآية دليل على صحة إمامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن ابا بكر دعاهم إلى قتال بنى حنيفة – المرتدين – وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم . وأما قول عكرمة وقتادة : إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا ، لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول ﷺ ، لأنه قال : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معى عدوا ﴾ فدل على أن المراد بالداعى غير النبى ﷺ .

النبوة . وقيل : فارس والروم ومعني يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية . ﴿ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة . ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ ﴾ عن الحديبية . ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ لتضاعف جرمكم .

لا جناح على أصحاب الأعذار

﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ لما أوعد علي التخلف نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ، ثم جبر ذلك بالتكرير علي سبيل التعميم فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ إذ الترهيب ها هنا أنفع من الترغيب ، وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون .

الآيات من ١٧ : ٢٤

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

بيعة الرضوان

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ روي : أنه ﷺ لما نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي إلي أهل مكة ، فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع ، فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فأرجف بقتله ، فدعا رسول الله ﷺ

أصحابه وكانوا ألفا وثلثمائة أو وأربعمائة أو وخمسمائة ، وبايعهم علي أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سَمُرَة أو سِدْرة(٦) ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإخلاص . ﴿ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح . ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ فتح خيبر غِبَّ انصرافهم وقيل مكة أو هجر . (٧)
﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ يعني مغانم خيبر . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ غالبا مراعيا مقتضي الحكمة .

الوعد بالمغانم

﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ وهي ما يفئ علي المؤمنين إلي يوم القيامة . ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ يعنى مقام خيبر . ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ ﴾ اى ايدي اهل خيبر وخلفائهم من بني أسد وغطفان ، أو أيدي قريش بالصلح . ﴿ وَلِتَكُونَ ﴾

---

(٦) السمرة ـ بفتح السين وضم الميم ـ ويجمع على سَمُر : شجر طوال عظام ويقال له شجر الطلح ايضًا – والسِّدْرة : شجرة النبق .

(٧) بيعة الرضوان : جاء في سيرة ابن هشام ما نذكره ملخصًا : حين سار النبي ﷺ إلى مكة بهدف العمرة نزل في الحديبية ، وقد تصدت له قريش تريد أن تمنعه من دخول مكة ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش ليبغلهم أنه جاء معتمرا ولم يجئ مقاتلا ، فامسكت قريش عثمان حتي أشيع بين المسلمين أنه قد قتل – فدعا النبى ﷺ الناس حين بلغه أن عثمان قد قتل إلي البيعة ، وقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ علي الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .
ولم يتخلف أحد من المسلمين عن البيعة إلا الجد بن قيس اخو بني سلمة – وكان معروفا بالنفاق – فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكانى انظر إليه لاحقا بإبط ناقته قد ضبا إليها – اي لصق بها – يستتر بها عن الناس ، ثم أتي رسول الله ﷺ ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل .
وكان أول من بايع من المسلمين بيعة الرضوان هو أبو سنان الأسدي ، وبايع النبي ﷺ عن عثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى .
ثم كانت بعد ذلك الهدنة التي انعقدت بصلح الحليبية المشهور .
– سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ ط الأنوار المحمدية .

هذه الكفة أو الغنيمة .﴿ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أمارة يعرفون بها انهم من الله بمكان أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية ، أو وعد المغانم أو عنوانا لفتح مكة والعطف علي محذوف هو علة لكف ، أو عجل مثل لتسلموا ، أو لتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك . ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه .

﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ ومغانم اخري معطوفة علي هذه ، أو منصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثل قضي ، ويحتمل رفعها بالابتداء لأنها موصوفة وجرها بإضمار رب . ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ بعد لما كان فيها من الجولة . ﴿ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ استولي فاظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ .

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا . ﴿ لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ﴾ لانهزموا . ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ يحرسهم . ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضي من الأمم كما قال تعالي ﴿ لأغلبن أنا ورسلي ﴾ (٨) . ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ تغييرا .

حكمة الكف عن القتال

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ اى ايدي كفار مكة ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ في داخل مكة . ﴿ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ اظهركم عليهم، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلي الحديبية ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد علي جند فهزمهم حتي أدخلهم حيطان مكة ثم عاد(٩) . وقيل : كان ذلك يوم الفتح واستشهد به علي أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف إذ السورة نزلت قبله . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من مقاتلتهم أولاً طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته ، وقرأ أبو عمرو بالياء ﴿ بَصِيرًا ﴾ فيجازيهم عليه.

---

(٨) المجادلة : ٢١ .

(٩) امر النبى ﷺ خالد بن الوليد لم يكن في الحديبية ، بل كان في فتح مكة ، ذلك أن خالدا لم يكن قد أسلم يوم الحديبية ، وإنما أسلم بعدها .

الآيات من ٢٤ : ٢٨

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ﴾

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ يدل علي أن ذلك كان عام الحديبية ، والهدي ما يهدي إلي مكة . وقرئ الهدي فعيل بمعني مفعول ، ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو مني لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره ، وإلا لما نحره الرسول ﷺ حيث أحصر فلا ينتهض حجة للحنفية علي أن مذبح هدي المحصر (١٠) هو الحرم. ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين . ﴿ أَن تَطَئُوهُمْ ﴾ ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال :

وَوَطِئْتَنا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ   وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ (١١)

---

(١٠) المحصر : هو الذي يحول بينه وبين دخول الحرم في أثناء الحج أو العمرة حائل لا طاقة له بدفعه .

(١١) هذا البيت للحارث بن وعلة الذهلي

والوطء : وضع القدم فوق الشيء بشدة ، والحَنَق – علي وزن سبب – الحقد والغيظ ، والمقيد : وصف للجمل ، والهرم : نوع من النبات ترعاه الإبل .

وقال ﷺ « إن آخر وطأة وطئها الله بوج » (١٢) وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي ﷺ بها ، ، وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم . ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم ﴾ من جهتهم . ﴿ مَّعَرَّةٌ ﴾ مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم وللتأسف عليهم ، وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه . ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ متعلق بأن تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم ، وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه ، والمعني لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم . ﴿ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ علة لما دل عليه كف الأيدي عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين، اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير أو للإسلام . ﴿ مَن يَشَاءُ ﴾ من مؤمنيهم او مشركيهم . ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض ، وقرئ تزايلوا . ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ بالقتل والسبي .

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم . ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ الأنفة . ﴿ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ التي تمنع إذعان الحق . ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي « أنه ﷺ لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه علي أن يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام ، فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا ، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك . اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة ، فقال عليه

يقول : لقد أتيتنا بقوتك ودست علينا كما يدوس الجمل المقيد النبات وجعله مقيداً لأن الذليل إذا قدر لا يغفر .

(١٢) رواه أحمد في مسنده جـ ٦ ص ٤٠٩ من حديث خولة بنت حكيم وبوج : بلد بالطائف .

الصلاة والسلام : اكتب ما يريدون [١٣] »فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا . ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم ، أو الثبات والوفاء بالعهد وإضافة الكلمة إلي التقوي لأنها سببها او كلمة أهلها . ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا ﴾ من غيرهم . ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ والمستاهلين لها . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ فيعلم اهل كل شئ وييسره له .

رؤية النبي ﷺ

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا ﴾ راي ﷺ انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا ، فقص الرؤيا علي أصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم ، فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعني صدقه في رؤياه . ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ملتبسا به فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ، ويجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهوالقصد إلي التمييز بين الثابت علي الإيمان والمتزلزل فيه ، وأن يكون قسما إما باسم الله تعالي أو بنقيض الباطل وقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ جوابه وعلي الأولين جواب قسم محذوف . ﴿ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد ، أو إشعارا بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبي ﷺ لأصحابه. ﴿ آمِنِينَ ﴾ حال من الواو والشرط معترض ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون . ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك . ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ من الحكمة في تاخير ذلك . ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة . ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ هو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلي أن يتيسر الموعود .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ﴾ ملتبسا به او بسببه او لاجله . ﴿ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ وبدين الإسلام . ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ليغلبه علي جنس الدين كله

---

(١٣) راجع تفسير ابن كثير وقد ساق الحديث بطوله من مسند الإمام احمد جـ ٤ ص ٣٢٣ – ص ٣٢٦ وراجع سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٥٤ .

بنسخ ما كان حقا وإظهار فساد ما كان باطلا ، أو بتسليط المسلمين علي اهله إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون ، وفيه تاكيد لما وعده من الفتح ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ علي ان ما وعده كائن او علي نبوته بإظهار المعجزات .

الآيات من ٢٨ : ٢٩

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

اوصاف النبي وصحبه في الكتب السابقة

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ جملة مبينة للمشهود به ، ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ : ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ معطوف عليه وخبرهما. ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم ، والمعني انهم يغلظون علي من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله ﴿ أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين ﴾ (١٤) .

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ لانهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم . ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ الثواب والرضا . ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود ، فعلي من سامه إذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها أو حال من المستكن في الجار والمجرور .
﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلي الوصف المذكور ، أو إشارة مبهمة يفسرها كزرع . ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها . ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ ﴾ عطف عليه اى ذلك مثلهم في الكتابين وقوله : ﴿ كَزَرْعٍ ﴾ تمثيل مستانف او تفسير أو مبتدأ

---

(١٤) المائدة : ٥٤ .

وكزرع خبره . ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ فراخه يقال اشطا الزرع إذا فرخ ، وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه، وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا .

﴿ فَآزَرَهُ ﴾ فقواه من المؤزراة وهي المعاونة أو من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره في آجره . ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ فصار من الدقة إلي الغلظ ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ فاستقام علي قصبه جمع ساق ، وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة . ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره ، وهو مثل ضربه الله تعالي للصحابة قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقي أمرهم بحيث أعجب الناس . ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ علة لتشبيههم بالزرع في زكاته واستحكامه أو لقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان .

فضل سورة الفتح

عن النبي ﷺ « من قرأ سرة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد ﷺ فتح مكة »(١٥) .

---

(١٥) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن مردويه والواحدي بالإسناد إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

وروى القرطبي في تفسيره من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم عن النبى ﷺ قال : « لقد انزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ لفظ البخاري ورواه الترمذي وقال : حسن غريب صحيح .

ورواه مسلم بلفظ « لقد انزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا جميعًا » .

وفي رواية : « لقد انزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم » .

وقال المسعودي : بلغني انه من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام .

(٤٩) سورة الحجرات مدنية
وآياتها ثماني عشرة[1]
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٣

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ② إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ③ ﴾ .

مراعاة الأدب في مجلس رسول الله ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا ﴾ اى لا تقدموا امرًا ، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن ، او ترك لان المقصود نفي التقدم راسًا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ، ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا . وقرئ لا تقدموا من القدوم . ﴿ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينًا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرًا قبل ان يحكما به . وقيل المراد بين يدى رسول الله ﷺ وذكر الله تعظيم له وإشعار انه من الله بمكان يوجب إجلاله . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فى التقديم او مخالفة الحكم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لاقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بافعالكم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ اى إذ كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للأدب . وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضًا وخاطبوه بالنبي والرسول ، وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادي له وزيادة الاهتمام به . ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ كراهة ان

---

(١) في تفسير الكشاف ، نزلت بعد المجادلة .

تحبط فيكون علة للنهى ، أو لأن تحبط علي أن النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لأن فى الجهر والرفع استخفافًا قد يؤدى إلى الكفر المحبط ، وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة. وقد روى «أن ثابت بن قيس كان في أذنه وقر وكان جهوريًا ، فلما نزلت تخلف عن رسول الله ﷺ فتفقده ودعاه فقال : يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإنى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط ، فقال عليه الصلاة والسلام : لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة»(٢) . ﴿ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ انها محبطة.

الآيات من ٣ : ٦

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ ﴾ يخفضونها ﴿ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ مراعاة للأدب أو مخافة عن مخالفة النهي . قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما . ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ جربها للتقوى ومرنها عليها ، أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها ، فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الأصل ، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوىٰ ، فإنها لا تظهر إلا باصطبار عليها ، أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه . ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم . ﴿ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لغضهم وسائر طاعتهم ، والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لأن ، أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضبين إحمادًا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين ، والمبتدأ اسم الإشارة المتضمين لما جعل عنوانًا لهم ، الخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد

---

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة الحجرات جـ ٦ ص ١٧١ .

ورواه احمد في مسنده جـ ٣ ص ١٣٧ .

بغضهم والارتضاء له ، وتعريضاً بشناعة الرفع والجهر وأن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك .

قصة أعراب بني تميم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ من خارجها خلفها أو قدامها ، ومن ابتدائية فإن المناداة نشأت من جهة الوراء ، وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة إذ لا بد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة ، وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الأرض المحجورة بحائط ، ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة . وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة ، والمراد حجرات نساء النبى ﷺ وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها ، إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادو من ورائها ، أو بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له ، فاسند فعل الأبعاض إلى الكل . وقيل : إن الذى ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، وفدا على رسول الله ﷺ فى سبعين رجلاً من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا : يا محمد اخرج إلينا ، وإنما أسند إلى جميعهم لانهم رضوا بذلك أو امروا به ، أو لانه وجد فيما بينهم (٣) ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ العقل يقتضى حسن الأدب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾ اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم . فإن أنَّ وإن دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ، ولذلك وجب إضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى أن يكون مغنياً بخروجه ، فإن حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول : أكلت السمكة حتى راسها ، ولا تقول حتى نصفها . بخلاف إلى فانها عامة ، وفى إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم . ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب ، والإسعاف بالمسؤول إذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق

---

(٣) جاء في تفسير القرطبي ، عن مجاهد : كانوا سبعين رجلا ، وأخذوا ينادون : يا محمد أخرج إلينا فإن مدحنا زين وإن ذمنا شَيْن . وقيل : إن الذي كان ينادي هو الأقرع بن حابس ، قال : إن مدحي زَيْن وإن ذمي شَيْن . فقال النبى ﷺ : « ذاك الله » تعالى . رواه الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه . ورواه أحمد في مسنده جـ ٣ص٤٨٨ .

النصف وفادى النصف . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهولاء المسيئين الأدب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) .

قصة الوليد بن عقبة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ فتعرفوا وتصفحوا ،روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقًا إلى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة(٥) ، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت . وقيل : بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع ، تنكير الفاسق والنبأ للتعميم ، وتعليق الأمر بالتبين على فسق المخبر يعتقضى جواز قبول خبر العدل من حيث أن المعلق على شئ بكلمة إن عدم عند عدمه ، وأن خبرالواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق ، إذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير . وقرأ حمزة والكسائي فتبثبتوا اى فتوقفوا إلي أن تبين لكم الحال . ﴿ أَن تُصِيبُوا ﴾ كراهة إصابتكم . ﴿ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ جاهلين بحالهم . ﴿ فَتُصْبِحُوا ﴾ فتصيروا . ﴿ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ مغتمين غمًا لازمًا متمنين انه لم يقع ، وتركيب هذه الأحرف الثلاثة دائر مع الدوام (٦) .

الآيات من ٧ : ٩

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ

(٤) ذكر القرطبي ان النبى ﷺ سئل عن هؤلاء الوافدين فقال : هم حفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالاً للاعور الدجال لدعوت الله ان يهلكهم » .

(٥) إحنة : عداوة .

(٦) قال الزمخشري فى معني ما ذكره المصنف : والندم ضرب من الغم ، وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع ، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ، لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ، ومن مقلوباته أدمن الأمر : ادامه ، ومدن بالمكان اقام به ، ومنه المدينة .

إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) ﴾.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ان بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ فإنه حال من أحد ضميرى فيكم ، ولو جعل استئنافًا لم يظهر للأمر فائدة . والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى أنكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ، ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد من العنت ، وفيه اشعار بأن بعضهم اشار إليه بالإيقاع ببنى المصطلق وقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ استدراك ببيان عذرهم ، وهو أنه من فرط حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر حملهم علي ذلك لما سمعوا قول الوليد ، او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادًا لفعلهم وتعريضًا بذم من فعل ويؤيده قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ أي أولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى ، وكره يتعدى بنفسه إلى مفعول وحد فإذا شدد زاد له آخر ، لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدى إلى آخر بإلى أو نزل إليكم منزلة مفعول آخر ، والكفر تغطية نعم الله بالجحود . والفسوق : الخروج عن القصد والعصيان : الامتناع عن الانقياد (٧) .

﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ تعليل لكره أو حبب ، وما بيهما اعتراض لا للراشدون فإن الفضل فعل الله ، والرشد وإن كان مسببًا عن فعله مسند إلي ضميرهم أو مصدر لغير فعله فإن التحبيب والرشد فضل من الله وإنعام . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل ﴿ حَكِيمٌ ﴾ حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم .

من أحكام الإسلام حول المتخاصمين من المسلمين

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ تقاتلا والجمع باعتبار المعني فإن كل طائفة

---

(٧) لقد وصف القرآن الوليد بن عقبة بالفسق ، وجاء في سيرته ما يصدق ذلك فقد ذكر الرواة أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ولاه على الكوفة بعد سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه ، فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ، ثم قال : هل أزيدكم ؟فعزله عثمان عنهم. ذكره الزمخشري فى تفسيره ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر بقوله : أخرجه مسلم من طريق أبى ساسان حصين بن منذر ، قال : وأخرجه ابن إسحاق والنسائى وفيه : وقد صلى الغداة أربعًا .

جمع . ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى. ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ ﴾ تعدت عليهما . ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ترجع إلي حكمه او ما أمر به ، وإنما اطلق الفئ على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس ، والغنيمة لرجوعها من الكفار إلى المسلمين . ﴿ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ بفصل ما بينهما على ما حكم الله ، وتقييد الإصلاح بالعدل ها هنا لانه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة . ﴿ وَأَقْسِطُوا ﴾ واعدلوا فى كل الأمور . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ يحمد فعلهم بحسن الجزاء . والآية نزلت فى قتال حدث بين الأوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال ، وهي تدل علي ان الباغى مؤمن وأنه إذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فئ إلي امر الله تعالى ، وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (٨) .

الآيات من ١٠ : ١٢

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾

(٨) جاء فى اسباب نزول هذه الآية : عن انس بن مالك قال : قلت يا نبي الله لو اتيت عبد الله بن أُبي ؟ فانطلق النبى ﷺ ، فركب حماراً ، وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة ، فلما أتاه النبى ﷺ قال : إليك عني ، فوالله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله اطيب ريحاً منك . فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منهما اصحابه ، فكان بينهم حرب بالجريد والأيدي والنعال . قال القرطبي : فبلغنا انه انزل فيهم هذه الآية . وهذا الحديث اخرجه احمد ٣/١٥٧ . وقال مجاهد : نزلت في الأوس والخزرج . حدث بينهم قتال فنزلت الاية .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ من حيث إنهم منتسبون إل أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية ، وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح ولذلك كرره مرتبًا عليه بالفاء فقال : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافًا إلى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتخصيص ، وخص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق . وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج. وقرأ بين إخوتكم وإخوانكم . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فى مخالفة حكمه والإهمال فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ على تقواكم .

من الأداب الاجتماعية فى الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ اى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض إذ قد يكون المسخور منه خيرًا عند الله من الساخر ، والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع فى الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور ، والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ (٩) وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون، فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لأنهن توابع ، واختيار الجمع لأن السخرية تغلب فى المجامع وعسي باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لإغناء الاسم عنه . وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر . ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ اى ولا يغتب بعضكم بعضًا فإن المؤمنين كنفس واحدة، أو لا تفعلوا ما تلمزورن به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه . واللمز الطعن باللسان . وقرأ يعقوب بالضم . ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾ ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء ، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفًا . ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به ، والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين خصوصًا إذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيي رضى الله عنها ، أتت رسول الله ﷺ فقالت : إن النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين ، فقال لها : هلا قلت إن أبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام .

أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح . ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ ﴾

---

(٩) النساء : ٣٤ .

عما نهى عنه . ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ ﴾ كونوا منه على جانب ، وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل ، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى ، وما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ، وما يباح كالظن فى الأمور المعاشية . ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ مستأنف للأمر ، والإثم الذنب الذى استحق العقوبة عليه . والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال اى يكسرها . ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين ، تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس ، وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس . وفى الحديث «لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته » . ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً ﴾ ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء فى غيبته . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال : «أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته (١٠) » . ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر ، وإسناد الفعل إلى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة ، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخًا وميتًا وتعقيب ذلك بقوله : ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ تقريراً وتحقيقًا لذلك . والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته ، وانتصاب ميتًا على الحال من اللحم أو الأخ وشدده نافع . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه ، والمبالغة فى التواب لأنه بليغ فى قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب ، أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم ، روي : أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى رسول الله ﷺ يبغى لهما إداما ، وكان أسامة على طعامه فقال : ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا : لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، فلما راحا إلى رسول لله ﷺ قال لهما ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما ،

---

(١٠) سنن أبي داود ـ كتاب الأدب ـ باب : في الغيبة .

فقالا : ما تناولنا لحمًا ، فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت .

الآيات من ١٣ : ١٤

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ .

كلكم لآدم وآدم من تراب

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ من آدم وحواء عليهما السلام ، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب . ويجوز أن يكون تقريرًا للأخوة المانعة على الاغتياب . ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾ الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل. والقبيلة تجمع العشائر. والعشيرة تجمع البطون . والبطن تجمع الأفخاذ . والفخذ يجمع الفصائل ، فخزيمة شعب ، وكنانة قبيل ، وقريش عشيرة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، وعباس فصيلة . وقيل : الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب . ﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾ بالإدغام ولتتعارفوا ولتعرفوا . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الأشخاص ، فمن أراد شرفًا فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله(١١) » وقال عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله(١٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بكم ﴿ خَبِيرٌ ﴾ ببواطنكم .

---

(١١) أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو يعلى وإسحاق ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن زياد عن محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١٢) رواه الترمذي وابن حبان وأبو يعلي وابن ابي حاتم من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما – ورواه ابن كثير في تفسيره عن ابن ابى حاتم في خطبة للنبى ﷺ – تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٦٦ .

علامات الإيمان

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول لله ﷺ أتيناك بالاثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون .﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ، ولم يحصل لكم إلا ما مننتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة . ﴿ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا ، او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه إلى هذا النظم احترازاً من النهى عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم ، وقد فقد شرط اعتباره شرعًا. ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ توقيت لقولوا فإنه حال من ضميره اى : ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد. ﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بالإخلاص وترك النفاق . ﴿ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ ﴾ لا ينقصكم من اجورها . ﴿ شَيْئًا ﴾ من لات يليت ليتا إذا نقص ، وقرا البصريان لا يلتكم من الألت وهو لغة غطفان . ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بالتفضل عليهم .

الآيات من ١٥ : ١٨

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا اوقعه فى الشك مع التهمة ، وفيه إشارة إلى ما أوجب نفى الإيمان عنهم، وثم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ﴿ ثم استقاموا ﴾(١٣) . ﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

(١٣) الأحقاف : ١٣ ، فصلت : ٣٠ .

وأنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها . ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الذين صدقوا فى ادعاء الإيمان .

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ اتخبرونه به بقولكم آمنا . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ . روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ يعدون إسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن بذلها إليه ، من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته . وقيل النعمة الثقيلة من المن . ﴿قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ﴾ اى باسلامكم ، فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتدال . ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء ، وقرئ إن هداكم بالكسر وإذ هداكم . ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى ادعاء الإيمان ، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم بالهداية له لا لهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ما غاب فيهما . ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ اى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائرهم ، وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة .

فضل سورة الحجرات

عن النبى ﷺ «من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من اطاع الله وعصاه(١٤) .

(١٤) ذكره الزمخشرى في الكشاف ، وقال ابن حجر أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من طرق عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٥٠) سورة ق مكية (١)

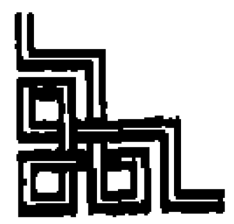
وآياتها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٥

﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾



﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر . والمجيد : ذو المجد والشرف علي سائر الكتب ، أو لأنه كلام المجيد ، أو لأن من علم معانيه وامتثل احكامه مجد .

﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب ، وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم . ﴿ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ

---

(١) جاء فى تفسير الكشاف والقرطبى مكية كلها إلا آية وهي قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ﴾ وهي الآية رقم ٣٨ من السورة .

وجاء فى تفسير القرطبي : جاء في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : لقد كان تَنُّورنا وَتنُّور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة ، وما أخذت . . ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة علي المنبر إذا خطب الناس .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي . ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر ؟ فقال : كان يقرأ فيهما ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ ، ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وعن جابر بن سمرة أن النبى ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ وكان صلاته بعد تخفيفًا .

عَجِيبٌ ﴾ حكاية لتعجبهم ، وهذا إشارة إلي اختيار الله محمدا ﷺ للرسالة ، وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ، ثم التسجيل علي كفرهم بذلك و عطف تعجبهم من البعث علي تعجبهم من البعثة ، والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما إن كانت الإشارة إلى منهم يفسره ما بعده ، او مجملا لأنه أهون مما يشاهدون من صنعه .

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ اي نرجع إذا متنا وصرنا ترابا ، ويدل علي المحذوف قوله : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ اى بعيد عن الوهم او العادة أو الإمكان . وقيل الرجع بمعني الرجوع .

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ ما تاكل من اجساد موتاهم ، وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل فيه ، وقيل إنه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام . ﴿ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، أو محفوظ عن التغيير ، والمراد تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه ، أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ يعني النبوة الثابتة بالمعجزت ، او النبي ﷺ ، او القرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ ﴾ وقرئ لما بالكسر . ﴿ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ مضطرب من مرج الخاتم في أصبعه إذا خرج ، وذلك قولهم تارة أنه شاعر وتارة أنه ساحر وتارة أنه كاهن .

الآيات من ٦ : ١٥

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

آيات تدل علي البعث

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ حين كفروا بالبعث . ﴿ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ﴾ اي آثار قدرة الله تعالي في خلق العالم . ﴿ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ رفعناها بلا أعمد . ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ بالكواكب . ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ بسطناها . ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالا ثوابت . ﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ اي من كل صنف . ﴿ بَهِيجٍ ﴾ حسن .

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ راجع إلي ربه متفكر في بدائع صنعه ، وهما علتان للافعال المذكورة معني وإن انتصبتا عن الفعل الأخير .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ﴾ كثير المنافع ﴿ فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ ﴾ أشجارا وأثمارا . ﴿ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ وحب الزرع الذي من شانه أن يحصد كالبر والشعير .

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ طوالا او حوامل من اسقت الشاة إذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل ، وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ، وقرئ باصقات لأجل القاف . ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ منضود بعضه فوق بعض ، والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر .

﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ علة أنبتنا أو مصدر ، فإن الإنبات رزق . ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ بذلك الماء . ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ أرضا جدبة لانماء فيها . ﴿ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم .

تكذيب الأمم السابقة ومصيرهم

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ﴾ اراد بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده . ﴿ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ اخدانه لانهم كانوا أصهاره .

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ سبق في الحجر (٢) والدخان . ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ أي كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم ، وإفراد الضمير لإفراد لفظه . ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ فوجب وحل عليه وعيدي ، وفيه تسلية للرسول ﷺ وسلم وتهديد لهم .

---

(٢) انظر الآية رقم ٧٨ من الحجر .

دليل عقلي علي إمكانية البعث

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ اي افعجزنا عن الإبداء حتي نعجز عن الإعادة ، من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للإنكار . ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ اى هم لا ينكرون قدرتنا علي الخلق الأول بل هم في خلط ، وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة ، وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والإشعار بأنه علي وجه غير متعارف ولا معتاد .

الآيات من ١٦ : ٢٢

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

قدرة الله وسعة علمه

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال ، والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ، والضمير لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا ، أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية . ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ اي ونحن أعلم بحاله ممن كان اقرب إليه من حبل الوريد ، تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال : والموت ادني من الوريد ، والحبل العرق وإضافته للبيان ، والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده .

ملكان موكلان بالإنسان يحفظان ويسجلان

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ مقدر باذكر او متعلق بأقرب ، اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقي اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به ، وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ

الملكين فإنه أعلم منهما ومطلع علي ما يخفي عليهما ، لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية ، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام للحجة يوم يقوم الأشهاد ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، أي مقاعد جليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله : فإني وقيار بها لغريب . وقد يطلق الفعل للواحد والمتعدد كقوله تعالي ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾(٣) .

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ ما يرمي به من فيه .﴿ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ ملك يرقب عمله . ﴿ عَتِيدٌ ﴾ معد حاضر ، ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفي الحديث « كاتب الحسنات أمين علي كاتب السيئا ت فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر » .

حال الإنسان عند الموت

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة، ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضى ، وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك : جاء زيد بعمرو . والمعني وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق ، أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء ، فإن الإنسان خلق له أو مثل الباء في ﴿ تنبت بالدهن ﴾(٤) وقرئ سكرة الحق بالموت علي أنها لشدتها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به ، أو علي أن الباء بمعني مع . وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها إليه للتهويل . وقرئ وقرئ سكرات الموت . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي الموت . ﴿ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان .

الموقف يوم البعث

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ يعني نفخة البعث . ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه والإشارة إلي مصدر نفخ.

---

(٣) التحريم : ٤ .　　(٤) المؤمنون : ٢٠ .

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله ، أو ملك جامع للوصفين . وقيل : السائق كاتب السيئات ، والشهيد كاتب الحسنات . وقيل : السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ، ومحل معها النصب علي الحال من كل لإضافته إلي ما هو في حكم المعرفة .

﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ علي إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة أو للكفار . ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ﴾ الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة ، والانهماك في المحسوسات والإلف بها وقصود النظر عليها . ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ نافذ لزوال المانع للابصار .

وقيل : الخطاب للنبي ﷺ والمعني : كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن ، فبصرك اليوم حديد تري ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون . ويؤيد الأول قراءة من كسر التاء والكافات علي خطاب النفس .

الآيات من ٢٣ : ٢٨

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) ﴾

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ قال الملك الموكل عليه . ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي ، أو الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هياته لها بإغوائي وإضلالي ، وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فبدلها أوخبر بعد خبر محذوف .

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ خطاب من الله تعالي للسائق والشهيد ، او الملكين من خزنة النار ، أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فإنْ تَزْجُرَانِي يَا ابنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ ... وَإنْ تَدعانِي أحْمِ عِرضًا مُمنعًا (٥)

---

(٥) قال الزمخشري في الكشاف حول هذا التعبير :

الخطاب في القيا قد يكون للملكين ، او للسائق والشهيد ، ويجوز أن يكون خطابا

أو الألف بدل من نون التاكيد على إجراء الوصل مجري الوقف ، ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة . ﴿ عَنِيدٍ ﴾ معاند للحق .

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة . وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه . ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ متعد . ﴿ مُّرِيبٍ ﴾ شاك في الله وفي دينه .

﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ مبتدأ متضمن معني الشرط وخبره . ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ أو بدل من كل كافر فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد ، أو مفعول لمضمر يفسره فالقياه .

﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ اي الشيطان المقيض له ، وإنما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فإنه جواب لمحذوف دل عليه . ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الأولي فإنها واجبة العطف علي ما قبلها للدلالة علي الجمع بين مفهوميهما في الحصول ، أعني مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه : ﴿ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ فاعنته عليه فإن إغواء الشياطين إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا إلي الفجور كما قال تعالي ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ (٦) .

﴿ قَالَ ﴾ اي الله تعالي . ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ اى في موقف الحساب فإنه لا فائدة فيه ، وهو استئناف مثل الأول . ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ علي الطغيان في كتبي وعلي السنة رسلي فلم يبق لكم حجة . وهو حال تعليل للنهي اى لا تختصموا عالمين بإني اوعدتكم ، والباء مزيدة أو معدية علي ان قدم بمعني تقدم ، ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا علي قوله :

للواحد على وجهين ، أحدهما قول المبرد : ان تثنية الفاعل نزلت منزل تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل : الق، الق للتاكيد .

والثاني : أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان ، فكثر على ألسنتهم ان يقولوا : خليليَّ وصاحبيَّ ، وقفا وأسعدا ، حتي خاطبوا الواحد خطاب الاثنين ، عن الحجاج انه كان يقول : يا حرسيَّ اضربا عنقه . ــ تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٣٨٧ .

(٦) إبراهيم : ٢٢ .

الآيات من ٢٩ : ٣٧

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان أبدل وعيدي . وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل فإن دلائل العفو تدل علي تخصيص الوعيد . ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فاعذب من ليس لي تعذيبه .

جهنم تطلب المزيد من الكفار

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير ، والمعني أنها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتي تمتلئ لقوله تعالي ﴿ لاملان جهنم ﴾ (٧) أو انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ ، أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم . وقرأ نافع وأبو بكر يقول بالياء والمزيد إما مصدر كالمحيد أو مفعول كالمبيع ، ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك إشارة إليه فلا يفتقر إلي تقدير مضاف .

تزين الجنة وقربها من أهلها

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ قربت لهم . ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ مكانا غير بعيد ، ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف ، أو شيئا غير بعيد او علي زنة المصدر او لأن الجنة بمعني البستان .

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ علي إضمار القول والإشارة إلي الثواب أو مصدر أزلفت .

---

(٧) الأعراف : ١٨ .

وقرأ ابن كثير بالياء . ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ راجع إلي الله تعالي ، بدل من المتقين بإعادة الجار . ﴿ حَفِيظٍ ﴾ حافظ لحدوده .

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ، ولا يجوز أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به أو مبتدأ خبره .

﴿ ادْخُلُوهَا ﴾ علي تأويل يقال لهم ادخلوها ، فإن من بمعني الجمع وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول ، أو صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب ، أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد . وتخصيص الرحمن للإشعار بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، أو بأنهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته، ووصف القلب بالإنابة إذ الاعتبار برجوعه إلي الله . ﴿ بِسَلَامٍ ﴾ سالمين من العذاب وزوال النقم ، أو مسلما عليكم من الله وملائكته . ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ (٨) .

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر .

نذير للكفار

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ قبل قومك . ﴿ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ قوة كعاد وثمود وفرعون . ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها ، أو جالوا في الأرض كل مجال حذر الموت ، فالفاء علي الأول للتسبب وعلي الثاني لمجرد التعقيب ، وأصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (٩) ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ اى لهم من الله أو من الموت . وقيل : الضمير في نقبوا لأهل مكة اى ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتي يتوقعوا مثله لأنفسهم ، ويؤيده أنه قرئ فنقبوا علي الأمر ، وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتي نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم .

---

(٨) الزمر : ٧٣ .

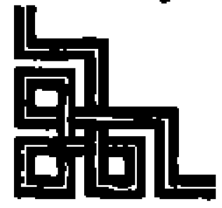
(٩) فى القرطبي :نَقَّبُوا : ساروا طلبا للهرب ، وقيل : أثَّروا فى البلاد ، قاله ابن عباس ، وقال مجاهد : ضربوا وطافوا ، وقال النضر بن شميل : دَوَّرُوا ، وقال قتادة : طَوَّفوا ، وقال المُؤرِّج : تباعدوا . ومنه قول امرئ القيس :

وقد نقبت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ فيما ذكر في هذه السورة . ﴿ لَذِكْرَىٰ ﴾ لتذكرة . ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ اى قلب واع يتفكر في حقائقه .﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾ اى أصغي لاستماعه . ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه ، أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره ، وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يدبر كلا قلب .

الآيات من ٣٨ : ٤٣

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) ﴾



﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ مر تفسيره مرارا ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ من تعب وإعياء ، وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالي بدأ خلق العالم يوم أحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقي علي العرش .

الأمر بالتسبيح في مختلف الاوقات

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ما يقول المشركون من إنكارهم البعث ، فإن من قدر علي خلق العالم بلا عياء قدر علي بعثهم والانتقام منهم ،أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه . ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له علي ما انعم عليك من إصابة الحق وغيرها . ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين .

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ اى وسبحه بعض الليل . ﴿ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر من أدبر ، وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت . وقيل : المراد بالتسبيح الصلاة ، فالصلاة قبل طلوع الصبح وقبل العروب : الظهر والعصر . ومن الليل : العشاءان ، والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات .

وقيل الوتر بعد العشاء .(١٠)

من أهوال يوم القيامة

﴿ وَاسْتَمِعْ ﴾ لما أخبرك به من أحوال القيامة ، وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به .
﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ إسرافيل أو جبريل عليهما الصلاة والسلام فيقول : أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء . ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ بحيث يصل نداؤه إلي الكل علي سواء ، ولعله في الإعادة نظيركن في الإبداء ، ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج .

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ بدل منه والصيحة النفخة الثانية .﴿ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء . ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ من القبور ، وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ في الدنيا . ﴿ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ للجزاء في الآخرة .

الآيات من ٤٤ : ٤٥

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ تتشقق ، وقرئ تنشق . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو بتخفيف الشين . ﴿ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ مسرعين . ﴿ ذَٰلِكَ حَشْرٌ ﴾ بعث وجمع .﴿ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ هين ، وتقديم الظرف للاختصاص فإن ذلك لا يتيسر إلا علي العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شأن ، كما قال الله تعالي ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ (١١)

---

(١٠) ورد في أدبارالسجود آثار منها ما رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ركعتان بعد المغرب أدبار السجود » ذكره الثعلبى ولفظ الماوردى : روي عن ابن عباس قال : بت ليلة عند النبى ﷺ ،فصلى ركعتين قبل الفجر ، ثم خرج إلى الصلاة فقال : « يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر أدبار النجوم وركعتان بعد المغرب أدبار السجود » . إلى غير ذلك من الآثار . ـ تفسير القرطبى ـ .

(١١) لقمان : ٢٨ .

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم . ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ بمسلط تقسرهم علي الإيمان ، أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت داع ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ فإنه لا ينتفع به غيره .

فضل سورة ق

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته »(١٢) والله أعلم .

(١٢) ذكره الزمخشرى فى الكشاف وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبى وابن مردويه والواحدى من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه .

والتارات : جمع تارة وهي المرة بعد المرة .

(٥١) سورة الذاريات مكية (١)

وآياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ١١

﴿ وَالـذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ① فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ② فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ④ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ⑤ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ⑥ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ⑧ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ⑨ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ⑩ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⑪ ﴾

معني الأقسام

﴿ وَالـذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ يعني الرياح تذرو التراب وغيره ، أو النساء الولود فإنهن يذرين الاولاد ، أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم . وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال .

﴿ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴾ فالسحب الحاملة للأمطار ، اوالرياح الحاملة للسحاب ، أو النساء الحوامل ، أو أسباب ذلك . وقرئ وقرا علي تسمية المحمول بالمصدر .

﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾ فالسفن الجارية في البحرسهلا ، أو الرياح الجارية في مهابها، أو الكواكب التي تجري في منازلها . ويسرا صفة مصدر محذوف أي جريا ذا يسر .

﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها ، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة ، أو الريح يقسمن الامطار بتصريف السحاب ، فإن حملت علي ذوات مختلفة بالفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة علي كمال القدرة ، وإلا فالفاء لترتيب الأفعال إذ الرياح مثلا تذرو الأبخرة إلي الجو حتي تنعقد سحابا ، فتحمله فتجري به باسطة له إلي حيث امرت به فتقسم المطر(٢) .

---

(١) نزلت هذه السورة بعد سورة الأحقاف .

(٢) عن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليًّا رضي الله عنه . فقال يا امير المؤمنين ، ما

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ جواب القسم كأنه استدل باقتداره علي هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضي الطبيعة علي اقتداره علي البعث للجزاء الموعود ، وما موصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ذات الطرائق ، والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها الناظر ويتوصل بها إلي المعارف ، أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي . جمع حبيكة كطريقة وطرق أو

الذاريات ذَرْوًا ؟ فقال : وَيْلَكَ سل تفقها ولا تسأل تعنتا : والذاريات ذروا : الرياح ، فالحاملات وقرًا : السحاب ، فالجاريات يُسرًا : السفن ، فالمقسمات أمرًا : الملائكة .

وروي الحارث عن علي رضى الله عنه : والذاريات ذروًا . قال : الرياح ، فالحاملات وقرًا، قال : السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر ، فالجاريات يسرا . قال : السفن موقرة ، فالمقسمات أمرًا : قال الملائكة تأتى بامر مختلف ، جبريل بالغلظة ، وميكائيل صاحب الرحمة ، وملك الموت يأتى بالموت .

وقول علي رضي الله عنه لابن الكواء : سل تفقها ولا تسأل تعنتًا ، يرشد إلى وجوب أن يكون سؤال السائل عن لغة القرآن للاسترشاد والتعلم ، وليس للتحذلق والتعنت وقد حدث في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا اسمه صبيغ ، كان يسأل أسئلة تثير الفتنة بين الناس ، فنما ذلك إلي عمر فأدبه . قال السائب بن يزيد : إن رجلا قال لعمر رضي الله عنه : إنى مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن ، فقال عمر : اللهم امكني منه ، فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة ، وعمر يقرأ القرآن ، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال : يا أمير المؤمنين : ما الذاريات ذروا ؟ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ، ثم قال : البسوه ثيابه واحملوه على قتب وابلغوا به حيَّه ، ثم ليقم احدكم خطيبا فليقل : إن صبيغًا طلب العلم فاخطاه . فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدًا يهم .

وكان السبب الذى حدا بعمر أن يفعل ذلك بصبيغ أنه كان ممن يثيرون الشك بأسئلتهم بين المسلمين ويحاولون إضلال العوام باتباعهم المتشابه . وقد بسط القول فى ذلك الإمام القرطبى في كتابه الجامع لأحكام القرآن – سورة آل عمرآن – وسورة الذاريات – وفي كتابه « التذكار فى أفضل الأذكار » راجعه بتحقيقنا .

حباك كمثال ومثل . وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالإبل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق . (٣)

المقسم عليه اختلافهم في شأن النبي ﷺ

﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ في الرسول ﷺ وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتار ة انه مجنون ، أو في القرآ ن أو القيامة أو امر الديانة ، ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها .

﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ يصرف عنه والضمير للرسول او القرآن أو الإيمان ، من صرف إذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة إليه ، أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول علي معني يصدر أفك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله : ينهون عن أكل وعن شرب . أى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من أفك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الإيمان .

اللعنة للمفترين

﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ الكاذبون من أصحاب القول المختلف ، واصله الدعاء بالقتل أجري مجري اللعن .

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في جهل يغمرهم . ﴿ سَاهُونَ ﴾ غافلون عما أمروا به .

الآيات من ١٢ : ٢٠

﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ

---

(٣) قال القرطبي : قيل المراد بالسماء ذات الحبك ها هنا السحب التي تظل الأرض ، وقيل : السماء المرفوعة ، وعن ابن عمر : السماء السابعة .

قال : وفى معنى الحبك اقوال سبعة هى : ذات الخلق الحسن المستوى ـ ذات الزينة ـ ذات النجوم ـ ذات الطرائق ـ ذات الشدة ـ ذات الصفاقة ، يقال : ثوب صفيق أى سميك ـ المراد بالطريق المجرة التي فى السماء . .

هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ اي فيقولون متي يوم الجزاء أي وقوعه ، وقرئ إيان بالكسر .

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يحرقون جواب للسؤال أي يقع يوم هم علي النار يفتنون ، أو هو يوم هم علي النار يفتنون ، وفتح يوم لإضافته إلي غير متمكن ويدل عليه أنه قرئ بالرفع .

﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ اى مقولا لهم هذا القول . ﴿ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ، ويجوز ان يكون هذا بدلاً من فتنتكم والذي صفته .

وصف المتقين

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ قابلين لما اعطاهم راضين به ، ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقي بالقبول . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك .

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ تفسير لإحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل ، أو يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية أو موصولة اى في قليل من الليل هجوعهم ، أو ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها . وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات ، والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما .

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم إذا أسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم ، وفي بناء الفعل علي الضمير إشعارا بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه .

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ﴾ نصيب يستوجبونه علي أنفسهم تقربا إلي الله وإشفاقا علي الناس . ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة .

دلائل علي قدرة الله

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوانات ، او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع ، تدل علي وجود الصانع وعلمه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته .

الآيات من ٢١ : ٢٨

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) ﴾

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ﴾ اي وفي انفسكم آيات إذ ما في العالم شئ إلا وفي الإنسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة ، والتمكن من الأفعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة .

﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ تنظرون نظر من يعتبر .

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ اسباب رزقكم او تقديره . وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات . ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة ، او لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء . وقيل إنه مستانف خبره :

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ وعلي هذا فالضمير لما وعلي الأول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد . ﴿ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ، ونصبه علي الحال من المستكن في الحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم . وقيل إنه مبني علي الفتح لإضافته إلي غير متمكن وهو ما إن كانت بمعني

شئ، وإن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحله الرفع علي أنه صفة لحق ، (٤) ،ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر بالرفع .

---

(٤) أورد الزمخشري فى الكشاف قصة فى هذا الموضع من كتابه رواها عن الأصمعى قال : اقبلت من جامع البصرة ، فطلع أعرابى على قعود له فقال : من الرجل ؟ قلت : من بني اصمع . قال : من اين اقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن . فقال : اتل على – فتلوت « والذاريات » فلما بلغت قوله تعالى ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ قال : حسبك . فقام إلي ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر ، وعمل إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولىّ . فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف ، فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق ، فالتفت فإذا انا بالأعرابى قد نحل واصفر ، فسلّم على ، واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ما وعد ربنا حقا . ثم قال : وهل غير هذا ؟ فقرأت ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾ فصاح وقال : يا سبحان الله ، من ذا الذى اغضب الجليل حتى ، حلف ، لم يصدقوه حتى الجاوه إلى اليمين ، قالها ثلاثًا وخرجت معها نفسه . – تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٤٠٠ – .

وذكر القرطبي في تفسيره : قال يزيد بن مرثد : إن رجلا جاع بمكان ليس فيه شيء فقال : اللهم رزقك الذى وعدتنى فائتى به . فشبع وروى من غير طعام ولا شراب .

وعن ابى سعيد الخدرى قال قال النبى ﷺ : « لو ان احدكم فرَّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت » .

يقول : وهذا الحديث رواه السيوطى في الجامع الصغير من حديث جابر . قال رسول الله ﷺ : « لو ان ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت » .

وروى القرطبى ايضًا ان قوما من الأعراب زرعوازرعًا فاصابته جائحة فحزنوا لأجله ، فخرجت عليهم أعرابيه فقالت : مالي اراكم قد نكستم رءوسكم وضاقت صدوركم ؟ هو ربنا والعالم رزقنا عليه يأتينا به من حيث شاء ثم انشأت تقول :

لو كان فى صخرة في البحر راسية ... صمًّاململمةٍ مُلْسًا نواحيها
رزق لنفس براها الله لا نفلـــقت ... حتي تؤدى إليها كل ما فيها
أو كان بين طباق السبع مسلكــها ... لَسَهَّل الله فى المرقى مراقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خُطَّ لها ... إن لم تنله وإلا سوف يأتيها

تفسير القرطبى جـ٩ ص ٦٢١٣ ط دار الشعب .

قصة إبراهيم عليه السلام وضيفه

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه علي أنه أوحي إليه ، والضيف في الأصل مصدر ولذلك يطلق علي الواحد والمتعدد . قيل كانوا اثني عشر ملكا . وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وسماهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف . ﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ اي مكرمين عند الله او عند إبراهيم إذ خدمهم بنفسه وزوجته .

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ ظرف للحديث او الضيف او المكرمين . ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ اي نسلم عليك سلاما . ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ اى عليكم سلام عدل به إلي الرفع بالابتداء لقصد الثبات حيت تكون تحيته احسن من تحيته ، وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوباً والمعني واحد . ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ اي أنتم قوم منكرون ، وإنما أنكرهم لأنه ظن أنهم بنو آدم ولم يعرفهم ، أو لأن السلام لم يكن تحيتهم فإنه علم الإسلام وهو كالتعرف عنهم .

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيفه من أدب المضيف أن يبادر بالقري حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا . ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ لأنه كان عامة ماله البقر .

وروى ابن كثير فى تفسيره هذه القصة : قال سفيان الثورى : قرأ واصل الأحدب هذه الآية ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾فقال : الا إنى أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة ، فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا ، فلما ان كان فى اليوم الثالث إذا هو بَدَوْخَلة – وهي وعاء من خوص – من رطب ، وكان له أخ أحسن نيه منه. فدخل معه فصارتا دوخلتين ، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما . تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٣٩٦ – ط دار الشعب .

نقول : هذا ما حدث ليس قاعدة وإنما هو براهين يظهرها الله لبعض عباده لتطمئن القلوب على صدق الله تعالى ، وقد امر الله باتخاذ الأسباب لتحصيل الرزق الذى ضمنه الله لعباده ، وفى بعض الآثار اوصي الله إلى داود : يا داود حرك يدك أبعث لك الرزق . وعلى كل فقدرة الله لا يحدها شيء ولكن الإنسان يحتاج إلى عمق الإيمان وقوة اليقين وصدق التوكل ، والقرآن الكريم يحكى لنا عن مريم أنها : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[آل عمران : ٣٧] .

﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِم ﴾ بان وضعه بين ايديهم . ﴿ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ اى منه ، وهو مشعر بكونه حنيذا (٥) ، والهمزة فيه للعرض والحث علي الأكل علي طريقة الأدب إن قاله أول ما وضعه ، وللإنكار إن قاله حينما رأى إعراضهم .

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ فاضمر منهم خوفا لما رأي إعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاءوه لشر . وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب . ﴿ قَالُوا لا تَخَفْ ﴾ إنا رسل الله . قيل: مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتي لحق بامه فعرفهم وأمن منهم .﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ ﴾ هو إسحاق عليه السلام . ﴿ عَلِيمٍ ﴾ يكمل علمه إذا بلغ .

الآيات من ٢٩ : ٣٩

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) ﴾

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ ﴾ سارة إلي بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم . ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ في صيحة من الصرير ، ومحله النصب علي الحال أو المفعول إن أول فاقبلت باخذت . ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ فلطمت باطراف الأصابع جبهتها فعل المتعجب . وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء . ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أى أنا عجوز عاقر فكيف الد ؟؟

﴿ قَالُوا كَذَلِكِ ﴾ مثل ذلك الذي بشرنا به . ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ وإنا نخبرك به عنه . ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ فيكون قوله حقا وفعله محكما .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ لما علم أنهم ملائكة وانهم لا ينزلون

---

(٥) حنيذا : مشويا .

مجتمعين إلا لأمر عظيم سأل عنه .

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعنون قوم لوط .

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ يريد السِّجِّيل فإنه طين متحجر .

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ مرسلة من أَسَمْت (٦) الماشية . أو مُعَلَّمَة من السومة وهي العلامة (٧) . ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ المجاوزين الحد في الفجور .

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾ من قري قوم لوط وإضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة . ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ممن آمن بلوط .

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ غير أهل بيت من المسلمين ، واستدل به علي اتحاد الإيمان والإسلام وهو ضعيف لأن ذلك لا يقتضي إلا من صدق المؤمن والمسلم علي من اتبعه ، وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة علي ذات واحدة .

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً ﴾ علامة . ﴿ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ فإنهم المعتبرون بها وهي تلك الأحجار ، أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن

إشارة إلي قصة موسي وهلاك قومه المكذبين

﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾ عطف علي وفي الأرض ، أو تركنا فيها علي معني وجعلنا في موسي كقوله : علفتها تبنًا وماء باردا . ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ هو معجزته كالعصا واليد .

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ ﴾ فاعرض عن الإيمان به كقوله وناي بجانبه أو فتولي بما كان يتقوي به من جنوده ، وهو اسم لما يركن إليه الشئ ويتقوي به . وقرئ بضم الكاف . ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ ﴾ اى هو ساحر . ﴿ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا إلي الجن ، وتردد في أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما .

---

(٦) أَسَمْتُ الماشية : رَعَيْتُها من السَّوْم . قال تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ اى ترعون دوابكم .

(٧) قيل : كانت الحجارة مخططة بسواد وبياض ، وقيل : بسواد وحمرة ، وقيل : مُسَوَّمَة اى معروفة بانها حجارة العذاب وقيل : على كل حجر اسم من يهلك به ، وقيل : عليها امثال الخواتيم .

الآيات من ٤٠ : ٥١

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ فاغرقناهم في البحر . ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد ، والجملة حال من الضمير في فاخذناه .

إشارة إلي هلاك عاد وثمود وقوم نوح لتكذيبهم برسلهم

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ سماها عقيما لأنها اهلكتهم وقطعت دابرهم ، أو لأنها لم تتضمن منفعة ، وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء .

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ ﴾ مرت . ﴿ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ كالرماد من الرم وهو البلي والتفتت .

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ تفسيره قوله ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ (٨) .

﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ فاستكبروا عن امتثاله . ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ أي العذاب بعد الثلاث . وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق .﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ إليها فإنها جاءتهم معاينة بالنهار.

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ ﴾ كقوله ﴿ فاصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٩) . وقيل من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه . ﴿ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴾ ممتنعين منه .

---

(٨) هود : ٦٥ . (٩) الأعراف : ٧٨ .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ اى أهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه . أو اذكر ويجوز أن يكون عطفا علي محل في عاد ، ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر . ﴿ مِّن قَبْلُ ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان .

من دلائل قدرة الله تعالي

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون من الوسع بمعني

* الإعجاز العلمي

قال تعالي : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

اكتشف العلماء الفلكيون أن الكون يتمدد ويتسع من خلال رصدهم للمجرات والأجرام السماوية التي تبعد عنا بمليارات السنين الضوئية ، وخاصة ما يسمي منها بأشباه النجوم « الكازار » وهي أبعد الأجرام السماوية التي تم التعرف عليها حتي الآن لشدة بريقها ، إذ يتألق « الكازار » العادى ببريق يشبه مئات المجرات الاعتيادية وهذا ما دفع العلماء لأن يقوموا برصد هذه الأجرام وقياس حركتها رغم بعدها السحيق عبر مسافات تكون فيها المجرات متوارية عن الأنظار .

وقد وجد العلماء في رصدهم لسرعة هذه الأجرام البعيدة وحركتها عن طريق أطيافها أن هذه الأجرام مزاحة ناحية اللون الأحمر من طيف قوس قزح وهو ما يسمي بـ « ظاهرة الإزاحة الحمراء » . . ومعناها أن هذه الأجسام تتحرك مبتعدة عنا ، كما وجدوا أن سرعات هذه الأجسام تختلف فى ابتعادهاعن الأرض ، فبعضها يبتعد عنا بسرعة ١٥٪ من سرعة الضوء ، وبعضها بسرعة ٣١٪ من سرعة الضوء ، وتصل سرعة ابتعاد بعضها الآخر إلى ٩٠٪ من سرعة الضوء .

كما وجدوا أنه كلما زاد بعد المجرة عن الأرض زادت سرعة ابتعادها عنا . . وبذلك أثبت العلماء أن الكون يتمدد ويتسع بابتعاد مجراته بعضها عن بعض . . هذا التمدد سيستمرحتي تفقد الجاذبية سيطرتها على هذه الأجرام فتتناثر فى الفضاء محدثة نهاية العالم .

يلاحظ أن التوافقية بين المفاهيم العلمية والمفاهيم القرآنية التي تعرضت لمسألة دوران الشمس في فلك خاص بها توافقية تامة مع إعجاز قرآني في الآية التى نحن بصددها ، فكل كوكب وكل نجم وكل مذنب يسبح فى فلكه الذى قدره الله له ، لا يتحول عنه ولا يحيد .. وفي نفس الوقت الكل في وحدة متماسكة مترابطة بفعل الجاذبية .

ولكى تحتفظ الأجرام السماوية بأبعاد ثابتة فيما بينها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فيما بينها تجاذبا صغيرا محدودا بحجم كل منها وكتلته وبعده عن الشمس . . =

الطاقة والموسع القادر علي الأنفاق ، أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق(١٠) .

(١٠) جاء في المنتخب من التفسير – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – حول هذه الآية التعليق الآتي :
تشير هذه الآية الكريمة إلي معان علمية كثيرة ، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة وهو على ما يشاء قدير ، ومعنى السماء في الآية كلها ما علا الجرم – الشيء – وأظله ، فكل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية ، ومجرات (سماء) هذا الجزء المرئي من الكون متسع اتساعاً لا يدركه العقل ولا يتسنى تحديده ، إذ المسافات فيه تقاس بملايين السنين الضوئية ، والسنة الضوئية على ما أثبته العلم الحديث في هذا القرن العشرين هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية . وعبارة الآية الكريمة ﴿ إنا لموسعون ﴾ تشير إلى ذلك ، أي إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه .
كما أنها تشير أيضاً إلى أن التوسعة مستمرة علي الزمن ، وهو ما أثبته العلم الحديث أيضاً، وعرف بنظرية التمدد ، التي أصبحت حقيقة علمية في أوائل هذا القرن ، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة ، بل إن الأجرام السماوية في المجرة الواحدة تبتعد بعضها عن بعض . – المنتخب ص ٧٧٤ – .

* الإعجاز العلمي

ووفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة .

وهذه القوانين كما تصدق على دوران الأرض حول الشمس والنظام الشمسي حول مركز المجرة . . والمجرة حول مركز الأفلاك جميعاً . . تصدق أيضاً في أصغر خلق الله الذى نعرفه حتي الآن وهى الذرة . . فالذرة رغم تناهيها في الضآلة تحتوى على نظام الدوران المدهش الموجود في النظام الشمسي والمتكرر في عالم المجرات هذا النظام الذرى في حركته ودورانه صورة مصغرة من نظامنا الشمسي . . نظام عجيب مكون من إليكترونات تدور بسرعة رهيبة داخل الذرة حول النواة دون أن يصطدم إليكترون بآخر داخل الذرة .

والعجيب أن هذه الإليكترونات تدور حول النواة بلايين المرات في الثانية الواحدة في نظام . . واستمرار . . ودقة مقدرة تقديراً إلهياً معجزاً .

إنه الحساب الإلهى الذى تحدث عنه العلم الحديث بعد أربعة عشر قرناً .

﴿ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ مهدناها لتستقروا عليها . ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ اى نحن.

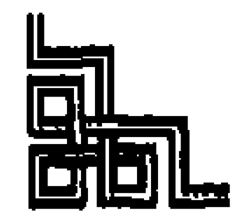
﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الاجناس . ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ نوعين ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلمون ان التعدد من خواص الممكنات وان الجواب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام .

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ من عقابه بالإيمان والتوحيد وملازمة الطاعة . ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ ﴾ اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصي . ﴿ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بين كونه منذرا من الله بالمعجزات ، او مبين ما يجب أن يحذر عنه .

﴿ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ اراد لأعظم ما يجب ان يفر منه . ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ تكرير للتأكيد ، أو الأول مرتب علي ترك الإيمان والطاعة والثاني علي الإشراك .

الآيات من ٥٢ : ٦٠

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) ﴾



دأب الأمم التكذيب برسلهم

﴿ كَذَلِكَ ﴾ اي الامر مثل ذلك ، والإشارة إلي تكذيبهم الرسول وتسميتهم إياه ساحرا او مجنونا وقوله ﴿ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ كالتفسير له ، ولا يجوز نصبه باتي او ما يفسره لأن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها .

﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ اى كان الاولين والآخرين منهم أوصي بعضهم بعضا بهذا القول

حتي قالوه جميعا . ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ إضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد أيامهم إلي أن الجامع لهم علي هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه .

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإصرار والعناد . ﴿ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ علي الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ .

﴿ وَذَكِّرْ ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة . ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من قدر الله إيمانه أو من آمن فإنه يزداد بها بصيرة .

حكمة خلق الجن والإنس

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ لما خلقهم علي صورة متوجهة إلي العبادة مغلبة لها ، جعل خلقهم مغيابها مبالغة ذلك ، ولو حمل علي ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ (١١) وقيل معناه إلا لأمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي (١٢)

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ اى ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به ، والمراد ان يبين أن شانه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم ، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ، ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعني قوله ﴿ قل لا أسالكم عليه أجرا ﴾(١٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر إلي الرزق ، وفيه إيماء باستغنائه عنه ، وقرئ إني انا الرزاق . ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ شديد القوة ، وقرئ المتين بالجر صفة للقوة .(١٤)

---

(١١) الأعراف : ١٧٩ .

(١٢) وهذا التفسير اثر عن الإمام على كرم الله وجهه . واعتمد الزجاج علي هذا القول ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ﴾ .

وفسر بعضهم العبادة بالمعرفة . قال مجاهد : ليعبدون : ليعرفون ، قال الثعلبى وهو قول حسن ، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده . – تفسير القرطبي – .

(١٣) الأنعام : ٩٠ .

(١٤) جاء فى حديث قدسى : عن النبى ﷺ قال : قال الله تعالى : « يا ابن آدم تفرغ

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا ﴾ اى للذين ظلموا رسول الله ﷺ بالتكذيب نصيبا من العذاب . ﴿ مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة ، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء ، فإن الذنوب هو الدلو العظيم المملوء . ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ جواب لقولهم ﴿ متي هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ (١٥) .

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ من يوم القيامة او يوم بدر .

فضل سورة الذاريات

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة الذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا** » (١٦) .

لعبادتى املأ صدرك غنى واسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم اسد فقرك » رواه الترمذى – أبواب صفة القيامة الحديث رقم ٣٠٨٤ ، ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد – باب الهم بالدنيا الحديث ٤١٠٧ ، ورواه الإمام احمد فى مسنده جـ ٢ ص ٣٥٨ .

وقال الترمذى عنه : حسن غريب .

وقال ابن كثير فى تفسيره : فى بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى : ﴿ ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب ، فاطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كل شيء ، وإن فتُّكَ فاتك كل شيء ، وانا احب إليك من كل شيء » .

تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٠٢ .

(١٥) يس : ٤٨ .

(١٦) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر : اخرجه الثعلبى وابن مردويه والواحدى باسانيدهم إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

سورة الطور مكية[1]

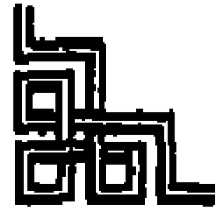
وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية

بسم الله الرحمن لرحيم



الآيات من ١ : ١٢

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن
دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ .



معنى الأقسام

﴿وَالطُّورِ﴾ يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، والطور الجبل بالسريانية ، أو ما طار من أوج الإيجاد إلى حضيض [2] المواد ، أو من عالم الغيب إلى الشهادة .

---

(١) نزلت هذه السورة بعد السجدة .
وجاء في تفسير القرطبي : روي الائمة عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب – متفق عليه .
ورواه ابن كثير في تفسيره بقوله : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتا – أو قراءة – منه .
رواه البخارى في كتاب الاذان – باب : الجهر في المغرب ، وفى تفسير سورة الطور ، ورواه مسلم فى كتاب الصلاة – باب القراءة فى الصبح .
وروي ابن كثير أيضاً في تفسيره من حديث ام سلمة رضي الله عنها قالت : شكوت إلى رسول الله ﷺ انى اشتكى ، فقال : طوفي من وراء الناس وانت راكبة ، فطفت ورسول الله ﷺ يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور – رواه البخارى فى كتاب التفسير – تفسير سورة الطور .
(٢) أوج – الأَوْجُ : العلو ، وأبعد نقطة في مدار القمر على الأرض .
والحضيض : ما سفل من الأرض ، ونهاية سفح الجبل ، وعند أهل الفلك : ادنى منازل ويقابل الأوج وهو اعلي منازل القمر .

﴿ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ مكتوب ، والسطر ترتيب الحروف المكتوبة . والمراد به القرآن أو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ ، أو ألواح موسى عليه السلام ، أو فى قلوب أوليائه من المعارف والحكم أو ما تكتبه الحفظة .

﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس .

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين ، أو الضُّرَاح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة (٣) ، أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والإخلاص .

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ يعنى السماء .

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾أى المملوء وهو المحيط ، أو الموقد من قوله ﴿ وإذ البحار سجرت ﴾ (٤) روى أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها نار جهنم ، أو المختلط من السجير وهو الخليط (٥) .

---

(٣) روى عن النبي ﷺ قال : اوتى بى إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خَرَّ خَرَّ عليها ، يدخله كلَّ يوم سبعون الف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه » قال ابن كثير : رواه الشيخان فى الصحيحين وفيهما أنه بعد مجاوزته السماء السابعة ـ انظر تفسير ابن كثير سورة الإسراء ، وسورة الطور . وانظر صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ ، وصحيح البخاري : كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة بنى إسرائيل .

وفى تفسير القرطبى : سأل ابن الكواء علياً رضى الله عنه قال : فما البيت المعمور ؟ قال : بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له : الضُّراح . وكذا فى الصحاح للجوهرى : والضُّراح بالضم بيت فى السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس .

(٤) التكوير : ٦ .

(٥) وروى فى معنى المسجور : الفارغ الذى ذهب ماؤه روى ذلك عن ابن عباس وذكره القرطبى فى تفسيره واستشهد عليه بحديث مروى عن عطية وذى الرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : « خرجت أمة لتستقى فقالت : إن الحوض مسجور ، أي فارغ » قال ابن أبى داود ليس لذى الرمة حديث إلا هذا .

جواب القسم

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ لنازل .

﴿ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ يدفعه ، ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك انها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه اعمال العباد للمجازاة .

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ تضطرب ، والمور تردد فى المجئ والذهاب ، وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف .

﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ اى تسير عن وجه الأرض فتصير هباء .

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ اي إذا وقع ذلك فويل لهم .

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ اى فى الخوض فى الباطل .

الآيات من ١٣ : ٢٠

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) ﴾ .

تصوير حال الكفار يوم القيامة

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ يدفعون إليها دفعًا بعنف ، وذلك بأن تغل ايديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى اقدامهم فيدفعون إلى النار . وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعًا حالاً لمعنى مدعوين ، ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكية .

﴿ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ اى يقال لهم ذلك .

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفهذا المصداق أيضًا سحر ،

وقيل ايضًا فى معناه : المفجور ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ أي تنشفها الأرض فلا يبقى فيها ماء .

وتقديم الخبر لانه لمقصود بالإنكار والتوبيخ . ﴿أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ ﴾ هذا ايضًا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ، ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم أو : أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم إنما سكرت ابصارنا .

﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا ﴾ اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا محيص لكم عنها . ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ اى الأمران الصبر وعدمه . ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سببين فى عدم النفع .

وحال المتقين

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ فى اية جنات واى نعيم ، أو فى جنات ونعيم مخصوصة بهم .

﴿ فَاكِهِينَ ﴾ ناعمين متلذذين . ﴿ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو . ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ عطف على آتاهم إن جعل ما مصدرية ، أو في جنات أو حال بإضمار قد من المستكن فى الظرف أو الحال ، أو من فاعل آتى أو مفعوله أو منهما .

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ﴾ اى أكلا وشرابًا هنيئًا ، أو طعامًا وشرابًا هنيئًا وهو الذى لا تنغيص فيه . ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بسببه أو بدله ، وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئًا ، والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه .

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ مصطفة ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والإلصاق ، او للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن ، أو لما فى التزويج من معنى الإلصاق والقرن ولذلك عطف :

الآيات من ٢١ : ٣٠

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ

(٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ
الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ
نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ على حور اى قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين . وقيل : إنه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله : ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾ اعتراض للتعليل ، وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح ، فإن الذرية تقع على الواحدوالكثير ، وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين لهم فى الإيمان وقيل : بإيمان حال من الضمير أو الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم ، او الإشعار بأنه يكفى للإلحاق المتابعة فى أصل الإيمان . ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ فى دخول الجنة أو الدرجة. لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية**» وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم . ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُم ﴾ وما نقصناهم ﴿ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ بهذا الإلحاق فإنه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم .ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه . وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت ، وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت ، ووالتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد . ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ بعمله مرهون عند الله تعالى فإن عمل صالحًا فكه وإلا أهلكه .

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ اى وزدناهم وقتًا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم .

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب . ﴿ كَأْسًا ﴾ خمرًا سماها باسم محلها (٦) ولذلك انث الضمير فى قوله : ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ اى لا يتكلمون بلغو الحديث فى أثناء شربها ، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ لا فيها غول ﴾ (٧) وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح .

---

(٦) الكأس : إناء الخمر ، وكل إناء مملوء من شراب وغيره ، فإذا فرغ لم يسم كاسا .

(٧) الصافات : ٤٧ .

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ اى بالكاس ﴿ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾ اى مماليك مخصوصون بهم . وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم . ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم . وعنه ﷺ «والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ».

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله .

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته ، أو وجلين من العاقبة .

﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بالرحمة والتوفيق . ﴿ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم ، وقرئ ووقانا بالتشديد .

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ ﴾ من قبل ذلك فى الدنيا . ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ نعبده أو نسأله الوقاية . ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴾ المحسن ، وقرأ نافع والكسائى أنه بالفتح . ﴿ الرَّحِيمُ ﴾الكثير الرحمة .

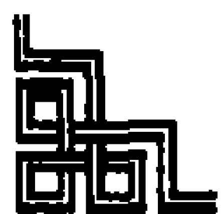
دفاع القرآن عن النبى ﷺ

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم . ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ بحمد الله وإنعامه . ﴿ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ . كما يقولون .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ ما يقلق النفوس من حوادث الدهر ، وقيل : المنون الموت فعول من منه إذا قطعه .

الآيات من ٣١ : ٤٢

﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .



﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي.

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم ﴾ عقولهم . ﴿ بِهَذَا ﴾ بهذا التناقض في القول فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر ، والمجنون مغطى عقله ، والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ، ولا يتأتى ذلك من المجنون ، وامر الأحلام به مجاز عن ادائها إليه . ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم . ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ مثل القرآن . ﴿ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ فى زعمهم إذ فيهم كثير ممن عَدُّوا فصحاء فهو رد للأقوال المذكورة بالتحدى، ويجوز أن يكون ردا للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد .

دعوة للتفكير والتدبر

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أم احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه ، أو من أجل لا شئ من عبادة ومجازاة . ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ يؤيد الأول فإن معناه أم خلقوا انفسهم ولذاك عقبه بقوله :

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وام في هذه الآيات منقطعة ومعني الهمزة فيها الإنكار ﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله إذا لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته .

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا ، أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ﴿ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ الغالبون علي الأشياء يدبرونها كيف شاءوا . وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي ، والباقون بالصاد خاصة .

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ مرتقى إلي السماء . ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ صاعدين فيه إلي كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن . ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه .

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ فيه تسفيه لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلاً أن يترقى بروحه إلى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب .

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على تبليغ الرسالة . ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ من التزام غرم .

﴿ مُثْقَلُون ﴾ محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك .

﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات . ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ منه .

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله ﷺ . ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم، والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور . ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم ، وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته .

الآيات من ٤٣ : ٤٩

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه . ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم أو شركة ما يشركونه به .

من صور عنادهم

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعة . ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض ، وهو جواب قولهم ﴿ فأسقط علينا كسفاً من السماء ﴾ (٨) .

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ وهو عند النفخة الأولي ، وقرئ. يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه أو أصعقه .

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ اى شيئًا من الإغناء فى رد العذاب . ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من عذاب الله .

---

(٨) الشعراء : ١٨٧ .

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يحتمل العموم والخصوص . ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك .

كلاءة الله لنبيه ﷺ

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ بإمهالهم وإبقائك فى عنائهم . ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ من أى مكان قمت أو من منامك أو إلى الصلاة(٩) .

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فإن العبادة فيه اشق علي النفس وأبعد من الرياء ، ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل . ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل(١٠) ، وقرئ بالفتح اي فى أعقابها إذا غربت أو خفيت .

فضل سورة الطور

عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة والطور كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته » (١١) .

---

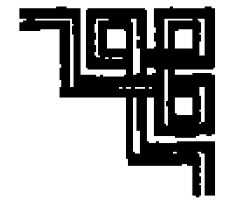
(٩) جاء فى الصحاح عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: « اللهم لك الحمد ، أنت نورالسموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وأسررت وأعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك » متفق عليه .

(١٠) قيل : يراد بذلك صلاة الصبح ، وروى ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر ، وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب » .

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل اشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر ، رواه البخارى فى كتاب التهجد – باب : تعاهد ركعتى الفجر وفي صحيح مسلم : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .

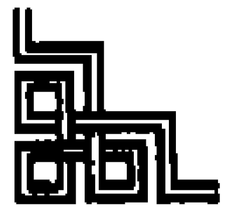
(١١) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبى وابن مردويه والواحدى بأسانيدهم إلى أبى بن كعب رضى الله عنه .

(٥٣) سورة النجم مكية (١)
وآياتها إحدى أو اثنتان وستون
بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ١٠

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) ﴾



إشارة إلي المعراج

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه غلب فيها إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض او طلع فإنه يقال : هوي هويا بالفتح إذا سقط وغرب ، وهويا بالضم إذا علا وصعد ، أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل أو النبات إذا سقط علي الأرض، أو إذا نما وارتفع علي قوله .

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ ما عدل محمد ﷺ عن الطريق المستقيم ، والخطاب لقريش . ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش ، والمراد نفي ما ينسبون إليه .

---

(١) في تفسيرى القرطبى والكشاف : مكية إلا آية ٣٢ ، وهي قوله تعالى: ﴿ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم » .

وقال القرطبى ايضاً : وقيل إن السورة كلها مدنية ، والصحيح انها مكية لما روى ابن مسعود أنه قال : هى أول سورة اعلنها رسول الله ﷺ بمكة – وفي البخارى عن ابن عباس ان النبى ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .

وعن عبد الله – اي ابن مسعود – أن النبى ﷺ قرأ سورة والنجم فسجد لها فما بقى أحد من القوم إلا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال : يكفينى هذا . قال عبد الله : فلقد رايته بعد قتل كافراً – متفق عليه – الرجل يقال اميه بن خلف .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ وما يصدر نطقة بالقرآن عن الهوي .

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ ما القرآن أو الذي ينطق به . ﴿ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ أي إلا وحي يوحيه الله إليه ، واحتج به من لم ير الاجتهاد له . وأجيب عنه بأنه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيا ، وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي .

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة في إبداء الخوارق ، روي أنه قلع قري قوم لوط ورفعها إلي السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين .

﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ حصافة في عقله ورأيه . ﴿ فَاسْتَوَىٰ ﴾ فاستقام علي صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالي عليها . قيل ما رآه أحد من الانبياء في صورته غير محمد ﷺ مرتين، مرة في السماء ومرة في الأرض ، وقيل : استوي بقوته علي ما جعل له من الأمر.

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ في أفق السماء والضمير لجبريل عليه السلام .

﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ من النبي عليه الصلاة والسلام . ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول ﷺ وسلم . وقيل ثم تدلي من الأفق الأعلي فدنا فيكون من الرسول إشعارا بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته ، فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ، ويقال دلي رجليه من السرير وأدلي دلوه ، والدوالي الثمر المعلق .

﴿ فَكَانَ ﴾ جبريل عليه السلام كقولك : هو مني معقد إزار ، أو المسافة بينهما .

﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ مقدراهما . ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ عليَ تقديركم كقوله او يزيدون ، والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس .

﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ جبريل عليه السلام ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله ﴿ علي ظهرها ﴾ (٢) ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ جبريل عليه السلام وفيه تفخيم للموحي به أو الله إليه ، وقيل الضمائر كلها لله تعالي وهو المعني بشديد القوي كما في قوله تعالي ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (٣) ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره إلي جناب القدس .

---

(٢) فاطر : ٤٥ .　　(٣) الذاريات : ٥٨ .

الآيات من ١١ : ٢٠

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) ﴾

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ ما راي ببصره من صورة جبريل عليه السلام أو الله تعالي، اي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلي البصر ، أو ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره ، أو ما رآه بقلبه والمعني انه لم يكن تخيلا كاذبا . ويدل عليه « أنه ﷺ سئل هل رأيت ربك ؟ فقال رأيته بفؤادي » (٤) . وقرا هشام ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ افتجادلونه عليه ، من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه . وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ، اوافتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلي (٥) لتضمن الفعل معني الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (٦) .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ مرة اخري فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارا بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق . وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخري ، ونصبها علي المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة .

﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾ التي ينتهي إليها اعمال الخلائق وعلمهم ، أو ما ينزل من

---

(٤) روى مسلم فى صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب معنى قول الله عز وجل ﴿ ولقد رآه نزلة اخرى ﴾ بلفظ « رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٥) وعلى : أى ذكرت على .

(٦) جاء فى تفسيرى الكشاف وابن كثير حول هذه الآيات مما يدخل فى باب معجزات النبى

فوقها ويصعد من تحتها ، ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها . وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة .

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ الجنة التي ياوي إليها المتقون او أرواح الشهداء .

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد ، وقيل : يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها .

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه . ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا ، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها .

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ اي والله لقد راى الكبير من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعارج وقد قيل إنها المعنية بما راي . ويجوز ان تكون الكبري صفة للآيات علي ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه أو من مزيدة .

ﷺ : عن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبى لهب – وكانت تحته بنت رسول الله ﷺ – أراد الخروج إلى الشام ، فقال : لآتين محمدا فلأوذينه – فاتاه فقال : يا محمد انا كافر بالنجم إذا هوى وبالذى دنا فتدلى ، ثم تفل فى وجه النبى ﷺ ، وردَّ عليه ابنته وطلقها. فقال رسول الله ﷺ : « اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك » وكان أبو طالب حاضرًا ، فوجم لها وقال : ما كان أغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة . فرجع عتبة إلى ابيه فاخبره ، ثم خرجوا إلى الشام ، فنزلوا منزلا ، فاشرف عليهم راهب من الدير ، فقال لهم : إن هذه أرض مسبعة – فقال ابو لهب لأصحابه : أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة ، فإنى أخاف على ابني دعوة محمد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم ، وأحدقوا بعتبة ، فجاء الأسد يتشمم وجوههم ، حتى ضرب عتبة فقلته . اخرجه ابو نعيم فى الدلائل ، وأخرجه البيهقى في الدلائل ، والطبرانى ، قال ابن كثير : ورواه ابن عساكر فى تاريخه .
وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لا يرفع الرحمن مصروعكم ... ولايوهن قوة الصـــارع
وكان فيه لكم عـــــبرة ... للسيد المتبوع والتـــابع
من يرجع العام إلى أهلــه ... فما أكيل السبع بالراجع
من عاد فالليث له عائــد ... أعظم به من خبر شـائع

– تفسير الكشاف والتعليق عليه –

آلهة المشركين الباطلة

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ﴾

﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ هي أصنام كانت لهم ، فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوي لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون . وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد علي أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج . والعزي بالتشديد سَمُرَة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ، وأصلها تانيث الأعز ، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه مني . وقرأ ابن كثير مناة وهي مفعلة من النوء فإنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركًا بها ، وقوله الثالثة الأخري صفتان للتأكيد كقوله تعالى ﴿ يطير بجناحيه ﴾(٧) أو الأخري من التاخر في الرتبة .

الآيات من ٢١ : ٢٦

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾

رد علي زعمهم أن الملائكة بنات الله

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴾ إنكار لقولهم الملائكة بنات الله ، وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته ، أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم .

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلي من الضيز وهو الجور ، لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعلي بالكسر لم تات وصفا . وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه إذا ظلمه علي أنه مصدر نعت به .

---

(٧) الأنعام : ٣٨ .

﴿ إنْ هِيَ إلاَّ أَسْمَاءٌ ﴾ الضمير للأصنام اي ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها لأنهم يقولون أنها آلهة وليس فيها شئ من معني الألوهية ، أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء ، أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف علي عبادتها ، والعزي لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق ان يتقرب إليها بالقرابين . ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ سميتم بها .

﴿ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ بهواكم . ﴿ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ برهان تتعلقون به . ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ ﴾ وقرئ بالتاء . ﴿ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ إلا توهم ان ما هم عليه حق تقليداً وتوهما باطلاً . ﴿ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾وما تشتهيه انفسهم . ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ الرسول او الكتاب فتركوه .

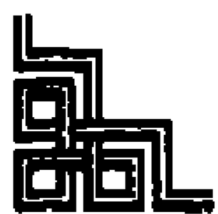
﴿ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ ام منقطعة ومعني الهمزة فيها الإنكار ، والمعني ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ﴿ولئن رجعت إلي ربي إن لي عنده للحسني ﴾ (٨) وقولهم . ﴿ لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم ﴾ (٩) ونحوهما .

﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لأحد ان يتحكم عليه من شئ منهما .

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع . ﴿ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾ في الشفاعة ﴿ لِمَن يَشَاءُ ﴾ من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له . ﴿ وَيَرْضَىٰ ﴾ ويراه أهلا لذلك فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم .

الآيات من ٢٧ : ٣١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) ﴾



(٨) فصلت : ٥٠ . (٩) الزخرف : ٣١ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ﴾ أي كل واحد منهم . ﴿تَسْمِيَةَ الأُنثَى﴾ بأن يسموه بنتاً .

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أى بما يقولون ، وقرئ بها أي بالملائكة أو بالتسمية . ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ فإن الحق الذي هو حقيقة الشئ لا يدرك إلا بالعلم ، والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية ، وإنما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة إليها .

جهل الكفار وضلالهم

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فإن من غفل عن الله واعرض عن ذكره . وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهي همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة إلا عنادا وإصرارا علي الباطل .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ اي أمر الدنيا او كونها شهية ﴿ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ تعليل للأمر بالإعراض اي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم إذ ما عليك إل البلاغ وقد بلغت .

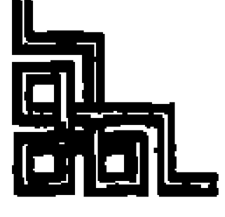
سعة علم الله ومغفرته

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقا وملكا .﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء ، وهو علة دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء ، أو ميز الضال عن المهتدي وحفظ أحوالهم لذلك . ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ بالمثوبة الحسني وهي الجنة ، أو بأحسن من اعمالهم أو بسبب الأعمال الحسني .

الآيات من ٣٢ : ٤٤

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) ﴾



﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ ﴾ ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه . وقيل ما اوجب الحد . وقرا حمزة والكسائي وخلف كبير الإثم علي إرادة الجنس أو الشرك . ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ ما فحش من الكبائر خصوصا . ﴿ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾ إلا ما قل وصغر فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر ، والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب علي الصفة أو المدح او الرفع علي انه خبر محذوف . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، أو له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها، ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب علي الله تعالي . ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ اعلم باحوالكم منكم . ﴿ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ علم احوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الأرحام . ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير ، او بالطهارة عن المعاصي والرذائل . ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ فإنه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام .

صورة من ضلال الوليد بن المغيرة

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه .

﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴾ وقطع العطاء من قولهم اكدي الحافر إذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر . والأكثر علي أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض المشركين وقال: تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال اخشي عذاب الله تعالي فضمن ان يحتمل عنه العقاب إن اعطاه بعض ماله فارتد واعطي بعض المشروط ثم بخل بالباقي (١٠) .

---

(١٠) ذكره القرطبى فى تفسيره ، وذكر رواية اخرى هى : كان الوليد قد مدح القرآن ثم امسك عن ذلك .

﴿ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴾ يعلم ان صاحبه يتحمل عنه .

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ وفر واتم ما التزمه وأمر به ، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله، وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر علي نار نمروذ حتي أتاه جبريل عليه السلام حين ألقي في النار فقال ألك حاجة ؟ فقال اما لك فلا ، وذبح الولد وأنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوي الصوم ، وتقديم موسي عليه الصلاة والسلام لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم .

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلاً مما في صحف موسي ، أو الرفع علي هو ان لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما ؟ فأجاب به ، والمعني انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالي ﴿ **كتبنا علي بني إسرائيل أنه من قتل نفس بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** ﴾ (١١) وقوله عليه الصلاة والسلام « **من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلي يوم القيامة** » (١٢) فإن ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره .

وروى الزمخشرى فى تفسيره أنها نزلت فى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : روى ان عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله فى الخير ، فقال له عبد الله بن سعد بن أبى سرح وهو أخوه من الرضاعة: يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان : إن لى ذنوباوخطايا وانا أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه ، فقال عبد الله : أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها ، فاعطاه واشهد عليه وأمسك عن العطاء ، فنزلت قال : ومعني تولى : ترك المركز يوم أحد ، فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك واجمل . وفي هذا الخبر نظر ، فإن الإجماع على أن السورة مكية وقوله ان تولي اى ترك الموقع يوم احد يوحى بأنها مدنية . ثم إن عثمان كان من صادقى الإيمان والسابقين إلى الإسلام وهو احد مهاجرى الحبشة ـ وقد نزلت هذه السورة وهو فى الحبشة لأن هناك من روى أن بعض مهاجري الحبشة عادوا بعد ان بلغهم ان المشركين وادعوا النبى ﷺ وسجدوا معه بعد ان تلا عليهم هذه السورة .

(١١) المائدة : ٣٢ .

(١٢) رواه الإمام احمد فى مسنده بلفظ « من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » من حديث أبى هريرة . ـ المسند جـ ٢ ص ٣٩٧ .

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ إلا سعيه اى كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله ، وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه (١٣) .

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ .

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾ اى يجزي العبد سعيه بالجزاء الأوفر فنصب بنزع الخافض ، ويجوز ان يكون مصدرا وان تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله.

الله الخالق القادر وإليه منتهي كل شئ

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم ، وقرئ بالكسر علي انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ لا يقدر علي الإماتة والإحياء غيره فإن القتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالي علي سبيل العادة .

(١٣) جاء فى تفسير القرطبي : روى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ فيحصل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ، ويشفع الله تعالى الآباء فى الأبناء والأبناء فى الآباء ، يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ﴾ .
واجاز الشافعى وغيره الحج التطوع عن الميت ، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن واعتقت عنه ، وروي ان سعد بن عبادة قال للنبى ﷺ : إن أمي توفيت أفاتصدق عنها ؟ قال : نعم . قال : فاى الصدقة افضل ؟ قال : سقى الماء.
وقيل : إن الله – عز وجل – قال : ﴿ وان ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء إلا ان الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له ، كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل .
وقال الربيع بن أنس : وأن ليس للإنسان إلا ما سعى – يعنى الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره .
قال القرطبي : وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول ، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره . . . تفسير القرطبي جـ ٩ ص ٦٢٨٤ ط دار الشعب .

الآيات من ٤٥ : ٥٨

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ
الأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا
الأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾
وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ
النُّذُرِ الأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ (١٤) .

---

(١٤) جاء فى التعليق على تفسير المنتخب ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :
المقصود بالآية الكريمة الدالة على قدرة الله تعالى بأنه خلق الذكوروالإناث جميعاً من الناس والحيوانات من نطفة يشترك فى إفرازها الذكروالأنثى ، وهي علي دقة محتوياتهاوصغر حجمها ينبوع الحياة ومصدر الأحياء ، وإن الإعجاز القرآنى كما يتضح فى الآية الكريمة إذ تذكر ان العالم لم يكن إلى عهد قريب ان في وسائل الذكر حيوانات منوية وأن فى وسائل الأنثى بويضات ، فإذا التقى حيوان منوي وبويضة واتحدا حدث الإخصاب والحمل ، وهذه حقيقة سبق القرآن الكريم إلى ذكرها قبل ان يكشف عنها العالم» .

* الإعجاز العلمى

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾

من كتاب خلق الإنسان تحت عنوان « الزوجية »

لا يخلو شيء في الوجود من نظام الزوجية ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ فى النبات والحيوان . . في الذرة وفى ا لمجرة . . وفي المتحرك والساكن . . فى كل شيء : الذرة تحتوى علي الإليكترون السالب يقابلها البروتون الموجب . . وفى الكهرباء سالب وموجب . . فى النبات بمختلف أنواعه وصنوفه : ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ [الرعد] ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ . . ثم فى الحيوان بمختلف درجاته من وحيد الخلية إلى متعدد الخلايا إلى الثدييات إلى الإنسان . . كلها تحمل الزوجية وتحمل شارة الذكورة والأنوث . . إما متصلةأو منفصلة . .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [النساء] .

﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ تدفق في الرحم أو تخلق ، أو يقدر منها الولد من مني إذا قدر .

* الإعجاز العلمي

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ [الأعراف] .

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ [الزمر] .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ [الروم] .

﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ﴾ [فاطر] .

تتحول النطفة إلى أزواج مذكر ومؤنث .

حتى الجسيمات الملونة داخل الخلايا تتجمع على هيئة أزواج : ثلاث وعشرين زوجاً .

إن الزوجية هي نظام هذا الكون . السالب يقابل الموجب . . الإليكترون يقابل البروتون . الصبغيات تتقابل على هيئة أزواج . . شارة الذكورة Y تقابل شارة الأنوثة X . . الحيوان المنوى المذكر يقابله الحيوان المنوى المؤنث . . في كل ثمرة وفي كل شجرة وفي كل ذرة وفي كل خلية ترى الزوجية منبثة في هذا الكون حتى في الكهارب . . حتى في الموجات .

أمام هذا كله نقف خاشعين متبتلين نتلو قول ربنا سبحانه وتعالي : ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [يس] .

سبحانه . . سبحانه ما أعلي شأنه وما أعظم إحسانه . . خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسنا ومما لا نعلم . . وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .

كلمات الله

﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [الكهف].

وكلمات الله منبثة في الكون كله تسبحه وتمجده .

وقد كشف العلم الحديث بعض هذه الأسرار . . التي ترينا كلمات الله التي لا تنفد ولا يحيط بهاشيء .

كل جسيم ملون (كروموسوم) مكون من ٤ قواعد أمينية ترتبط ببعضها على هيئة سلالم حلزونية ملتفة حول محورها . . وتشكل كل ثلاثةقواعد أو ثلاثة أحرف كلمة . . هذه الكلمة هى الناسلة أو الجين .

وهذه الناسلة تحمل صفة من صفات الوراثة كالطول أو القصر كلون الجلد والبشرة أو لون العينين . . كما أنها تحمل الأسرار التي تجعل هذه الخلية تفرزهذا الهرمون أو تلك المادة الهاضمة أو تجعلها تفرزالمادة الصلبة التي تكون العظام أو المادةالرخوة التى تكون إفرازات

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ الإحياء بعد الموت وفاء بوعده ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمدة وهو أيضا مصدر نشأ .

* الإعجاز العلمي

الجسم . . وهى تتحكم فيها لتكون مبصرة شفافة أومعتمة مظلمة (مثل القرنية والعدسة الشفافة أو ظلمة داخل العين أو داخل البطن) .

ليس ذلك فحسب ولكن هذه الناسلة تنقل الصفات والشيات والملامح من الآباء إلى الأبناء جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة . . ومع هذا فلا يتشابه اثنان تمام التشابه ولو كانا توأمين من بويضة واحدة ملقحة بحيوان منوى واحد . . معجزة الخلق والإبداع تتكرر في كل لحظة وفي كل ثانية وآونة . . وكلمات الله مكنونةفى أرجاء هذا الكون الواسع الفسيح . . فبها يخلق ويوجه ويرعي ويرزق ويقبض ويبسط ويعطى ويمنع .. ويغني ويفقر ويعز ويذل . . كلمات الله لا حصر لها . . ولا نهاية . البحار كلها تجف قبل أن تنفد كلمات ربى . . الأقلام كلها تتحطم قبل أن تحصى كلمات ربي . .

﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾ لقمان .

﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ الرحمن .

ومن كلمات الله المكنونة تلك الناسلات أو الجينات التى لا يحصى عددها إلا الله خالقها وبارئها وموجهها . . كل ناسلة مكونة من ثلاثة أحرف . . كل ناسلة كلمة تؤدى وظائف وتحمل أسرارًا لا يحيط بها ولا يدرك مداها إلا علام الغيوب . . وفي كل خلية من خلايا جسم الإنسان أكثر من ثمانية بلايين ناسلة وجسم الإنسان به ٦٠ مليون مليون خلية . . تري كم عدد الناسلات في جسمك ؟!

فى كل جسيم من هذه الجسيمات الملونة التى تقاس بالميكرون (واحد على مليون من المتر) وبالانجستروم (واحد على بليون من المتر) . . فى كل جسيم مجموعة هائلة من هذه الجينات (الناسلات) التي تحدد الصفات والملامح والشيات . . وتنقل إلينا من الآباء والأمهات أسرارهم وطباعهم وألوانهم وخصائصهم مع تفرد كل واحد منا عمن سبقه وعمن لحقه وعمن عاصره وعايشه .

إذا جمعت ناسلات البشرية كلها فإن حجمها لن يزيد عن رأس دبوس وفيها أسرار وأسرار وعلوم وعلوم وكلمات وكلمات . . لا يكاد يتصور واقعها عقل . . فكيف بالإحاطة بها ؟! لا يحيط بها إلا هو ، خالقها وبارئها منشؤها .

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء =

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ وأعطي القنية وهو ما يتأثل من الأموال ، وإفرادها لأنها أشف الأموال أو أرضي وتحقيقه جعل الرضا له قنية .

* الإعجاز العلمي

من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهوالعلى العظيم ﴾ .

عالم الذر :

إنه عالم عجيب عجيب رغم صغره المتناهي . . ومع هذا فقد أتاح الله للبشرية فى القرن العشرين أن تعلم شيئًا يسيرًا عن هذا العالم المثير . . عالم الذر . . عالم الرمز .. عالم الشيفرة . . عالم الكلمات . . كلمات الله التى لا يحدها حد ولا يبلغ تعدادها عد . . ولا يحيط بها تصور ولا يبلغها خيال .

والمثال أمامنا واضح فى عالم الناسلات والجينات . . كلمات من كلمات الله المبثوثة فى الكون علي اتساعه . . تتناغم حروف ثلاثة (ثلاثة قواعد أمينية) لتكون كلمة . . وتحت الكلمة أسرار وأسرار . . وصفات وصفات .. صفات جسدية وصفات نفسية وصفات سلوكية . . وتحت الكلمة معامل ومعامل لا تتسع لها معامل الأرض بأكلمها . . ثم تنتقل الصفات وتنتقل الكلمات عبر الحيوانات المنوية وعبرالبويضات من الآباء والأمهات إلى الأبناء والبنات جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة . . تحفظ الجنس الإنسانى على ظهر الأرض . . وتخرج من جاء أوان ظهوره إلى عالم الظهور وتخفي من أمرت بستره في عالم الكمون .. حتي يحين وقت ظهوره وأوان بروزه .

والإنسان هو الإنسان من آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ومع ذلك فالفرق بين الإنسان والإنسان لا يمكن حصره . . لا فى الصفات الجسمية ولا فى القدرات العقلية ولا فى المدارك الفكرية ولا فى السمات الخلقية . . إنه عالم فسيح فسيح . . ومع هذا فهو نابع من جرثومة واحدةوأصل واحد ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء ﴾ .

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ .

« الناس لآدم وآدم من تراب » .

ومع ذلك فشتان بين هابيل وقابيل أحدهما في الجنة وثانيهما فى النار وشتان بين الأنبياء والمرسلين وأتباعهم وبين أتباع الشياطين . . وشتان بين معادن الخير ومعادن الشر ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ .

« الناس معادن وخيارهم في الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » أخرجه البخارى .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴾(١٥) يعني العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء (١٦) ،

---

(١٥) المراد هنا الشعرى اليمانية ، وهي ألمع النجوم في كوكبة الكلب الأكبر ، وألمع ما يرى من نجوم السماء ، وتشاهد جنوبى الاستواء السماوى بمقدار ١٨ درجة ، وتسمى بالنجم الكلبى ، وكانت تعرف بهذا الاسم منذ نحو ثلاثة آلاف سنة ، وأشير إليها بكلب فى الآثار الفرعونية ، وقد اختصها الله تعالى بالذكر ، لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، وكان القدماء المصريون يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها من جهة الشرق حوالى منتصف شهر يوليو قبل شروق الشمس مع زمن الفيضان فى مصر الوسطى ، أى مع أهم حدث فى العالم ، وهذا الحدث قد يكون أول تحديد لطول السنة في العالم كله ، لأن ظهور الشعرى قبيل شروق الشمس لا يحدث إلا مرة واحدة فى العام ، فهذا ابتداء عام جديد .

ـ المنتخب من التفسير ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٧٨٤ .

(١٦) يقول الرواة : الشعرى الكوكب المضيء الذى يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، وهما شعريان : العبورالتى فى ا لجوزاء ، والشعري الغميصاء التى فى الذراع ، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل .

واختلف فيمن كان يعبده من العرب ، فقيل : كانت تعبده حمير وخزاعة ، وقيل : أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبى ﷺ من قبل أمهاته ، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبى ﷺ ابن أبى كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم ، وقالوا : ما لقينا من ابن أبى كبشة . وقال أبو سفيان : لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبى كبشة .

* الإعجاز العلمي

تختلف الصفات و السمات وتختلف الحركات والسكنات . . وتختلف قوى الفكر والخلق والبدن بين أخ وأخيه وابن وأبيه . . فأين نوح من ابنه وابن إبراهيم من أبيه . فكل شخص وما قدر له وكل نفس بما كسبت رهينة . . وكل ميسر لما خلق له . . وعوامل الوراثة الخفية . . وكلمات الله المكنونة فى عالم الغيب تعمل فى هذا وذاك مذ كانت فى عالم الذر . . حيث أخذ المولى قبضة باليمين وقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . . وقبض بالأخرى ، وقال هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » . وحيث يقول عز من قائل : ﴿ إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ [الأنبياء] .

والله نسأل أن يجعلنا من أهل اليمين . . من الذين سبقت لهم منه الحسني فللجنة هم وبعملها يعملون .

عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبيﷺ وخالف قريشا في عبادة الأوثان ، ولذلك كانوا يسمون الرسول ﷺ ابن ابي كبشة ، ولعل تخصيصها للإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفاتهم خالفه أيضا في عبادتها .

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ القدماء لانهم أولي الام هلاكا بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام . وقيل عاد الأولي قوم هود وعاد الآخري إرم . وقرئ عادا لولي بحذف الهمزة نقل ضمتها إلي لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو عاداً لولي بضم اللام بحركة الهمزة وبإدغام التنوين ، وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو .

﴿ وَثَمُودَ ﴾ عطف علي عادا لأن ما بعده لا يعمل فيه ، وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الألف والباقون بالتنوين ويقفون بالألف . ﴿ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾ الفريقين .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أيضا معطوف عليه . ﴿ مِّن قَبْلُ ﴾ من قبل عاد وثمود . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتي لا يكون به حراك .

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ ﴾ والقري التي ائتفكت بأهلها اى انقلبت وهي قري قوم لوط . ﴿ أَهْوَىٰ ﴾ بعد أن رفعها فقلبها .

﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ فيه تهويل وتعميم لما اصابهم .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ تتشكك والخطاب للرسول ﷺ ، او لكل احد والمعدودات وإن كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين ، والانتقام للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين .

محمد نذير بين يدى الساعة

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴾ اى هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة ، أ و هذ الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين .

وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها فى العالم .

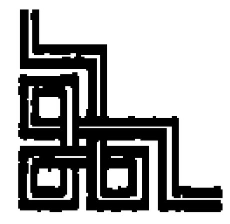
ومن خرافات العرب : أن سهيلا والشعرى كانا زوجين ، فانحدر سهيل فصار يمانيا ، فاتبعتها الشعرى العبور فعبرت المجرة، فسميت العبور،واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت غميصاء ، لانها اخفى من الأخرى – تفسير القرطبى– .

﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالي﴿ اقتربت الساعة ﴾ (١٧)

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ليس لها نفس قادرة علي كشفها إذا وقعت إلا الله لكنه لا يكشفها ، أو الآن بتأخيرها إلا الله ، أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله إذ لا يطلع عليه سواه ، أو ليس لها من غير الله كشف علي أنها مصدر كالعافية .

الآيات من ٥٩ : ٦٢

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ ﴾



﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ إنكارا .

﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ استهزاء . ﴿ وَلا تَبْكُونَ ﴾ تحزنا علي ما فرطتم .

﴿ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه ، أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ أي واعبدوه دون الآلهة .

فضل سورة النجم

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة » (١٨)

---

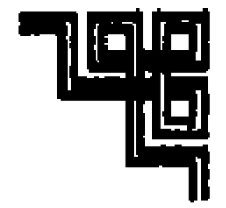
(١٧) القمر : ١

(١٨) ذكره الزمخشرى في الكشاف ، وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبى والواحدى وابن مردويه بأسانيدهم إلى ابى بن كعب رضى الله عنه .

(٥٤) سورة القمر مكية (١)

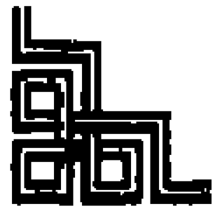
وآياتها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٦

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ⑥ ﴾.



من معجزات النبى ﷺ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ روى ان الكفار سالوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر (٢) . وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الأول أنه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ، وقوله :

﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾ عن تاملها والإيمان بها . ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتي قالوا ذلك ، أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر إذا احكمته فاستحكم ، أو مستبشع من استمر الشئ إذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى .

---

(١) فى تفسيرى القرطبى والكشاف : مكية إلا الآيات رقم ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فمدنية وقد نزلت بعد الطارق .

وجاء فى تفسير ابن كثير عن أبى واقد رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف واقتربتالساعة فى الأضحى والفطر ، وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٣ ص ١٦٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ورواه البخارى ، كتاب مناقب الأنصار – باب انشقاق القمر حـ ٥ ص ٩٢ ورواه مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب انشقاق القمر جـ ٨ ص ١٣٣ .

﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره ، وذكرهما بلفظ الماضى للإشعار بأنهما من عادتهم القديم . ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا ، وشقاوة ، أو سعادة فى الآخرة فإن الشىء إذا انتهى إلي غايته ثبت واستقر ، وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة أمر ، وكل معطوف على الساعة .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم ﴾ فى القرآن ﴿ مِّنَ الْأَنبَاءِ ﴾ انباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة . ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ازدجار من تعذيب او وعيد ، وتاء الافتعال تقلب دالا مع الذال والزاى للتناسب ، وقرئ مزجر بقلبها زايا وإدغامها .

﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف ، وقرئ بالنصب حالاً من ما فإنها موصولة أو مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها . ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ نفى أو استفهام إنكار ، اي فاي غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعني المنذر ، أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الإنذار .

حال الناس يوم القيامة

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ لعلمك بان الإنذار لا يغني فيهم . ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ إسرافيل ، ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله ﴿ كن فيكون ﴾ (٣) وإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أو بإضمار اذكر . ﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة ، وقرأ ابن كثيرنكر بالتخفيف ، وقرئ نكر بمعنى انكر .

الآيات من ٧ : ١٤

﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

---

(٣) البقرة : ١١٧ .

﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ ﴾ اي يخرجون من قبورهم خاشعًا ذليلاً أبصارهم من الهول ، وإفراده وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث، وقرئ خاشعة على الأصل ، قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعًا ، وإنما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لأنه ليس على صيغةتشبه الفعل ، وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالاً ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة .

﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ مسرعين مادى أعناقهم إليه أو ناظرين إليه . ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ صعب .

الاعتبار بمصير المكذبين بنوح

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ قبل قومك . ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ نوحًا عليه السلام وهو تفصيل بعد إجمال ، وقيل معناه كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب كلمًا خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب ، او كذبوه بعدما كذبوا الرسل . ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ ﴾ هو مجنون . ﴿ وَازْدُجِرَ ﴾ وزجر عن التبليغ بانواع الأذية وقيل إنه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي ﴾ بانى وقرئ بالكسر علي إرادة القول . ﴿ مَغْلُوبٌ ﴾ غلبنى قومى . ﴿ فَانتَصِرْ ﴾ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم . فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًا عليه فيفيق ويقول «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» .

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ منصب ، وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها ، وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب .

﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾ وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة ، واصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغ . ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ ماء السماء وماء الأرض ، وقرئ الماءان لاختلاف النوعين الماوان بقلب الهمزة واوا . ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ على حال قدرها الله تعالى فى الأزل من غير تفاوت ، او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل علي قدر ما اخرج ، او على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان .

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ﴾ ذات اخشاب عريضة . ﴿ وَدُسُرٍ ﴾ ومسامير جمع

دسار من الدسر ، وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث إنها كالشرح لها تؤدي مؤادها .

﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا . ﴿ جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ أي فعلنا ذلك جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته، ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير ، وقرئ لمن كفر أي للكافرين .

الآيات من ١٥ : ٢٥

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) ﴾

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا ﴾ أي السفينة أو الفعلة . ﴿ آيَةً ﴾ يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر . ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ معتبر ، وقرئ مذتكر على الأصل ، ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ استفهام تعظيم ووعيد ، والنذر يحتمل المصدر والجمع .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ ﴾ سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر إذا رحلها . ﴿ لِلذِّكْرِ ﴾ للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ . ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ متعظ .

وبمصير عاد قوم هود

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ وإنذاري أتى لهم بالعذاب قبل نزوله ، أو لمن بعدهم في تعذيبهم .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ بارداً أو شديد الصوت . ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ شؤم . ﴿ مُسْتَمِرٍّ ﴾ أى استمر شؤمه ، أو استمرعليهم حتى أهلكهم ، أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحداً ، أو اشتدت مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر .

﴿ تَنزِعُ النَّاسَ ﴾ تقلعهم ، روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى . ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض . وقيل شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رءوسهم وطرحت أجسادهم ، وتذكير منقعر للحمل على اللفظ ، والتأنيث فى قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ كرره للتهويل . وقيل الأول لما حاق بهم فى الدنيا ، والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضاً فى قصتهم ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ (٤) .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

وبصير ثمود قوم صالح

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ بالإنذارات والمواعظ ، أو الرسل .

﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا ﴾ من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا ، وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والأول أوجه للاستفهام . ﴿ وَاحِدًا ﴾ منفرداً لاتبع له أو من آحادهم دون أشرافهم . ﴿ نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه علي ترك اتباعهم له ، وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة .

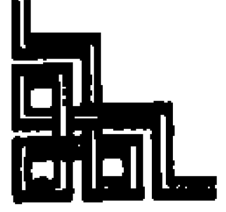
﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ ﴾ الكتاب او الوحى . ﴿ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا ﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك . ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه إياه .

الآيات من ٢٦ : ٣٧

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ

(٤) فصلت : ١٦ .

فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا
كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ
بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ
عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) ﴾



﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة .﴿ مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾ الذى حمله اشره على الاستكبار على الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام أم من كذبه ؟ وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الأشركقولهم حذر فى حذر والأشر اى الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير .

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ ﴾ مخرجوها وباعثوها . ﴿ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ امتحانًا لهم . ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون . ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾ على أذاهم .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم ، وبينهم لتغليب العقلاء . ﴿ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ يحضره صاحبه فى نوبته أو يحضره عنه غيره . ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ ﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود . ﴿ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء ، وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .

وبمصير قوم لوط

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ ريحًا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم . ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾ فى سحر وهو آخر الليل أو مسحرين .

﴿ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ إنعامٌ منا وهو علة لنجينا . ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة .

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾ لوط . ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب . ﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين .

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ ﴾ قصدوا الفجور بهم . ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ فمسحناها وسويناها بسائر الوجه. روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فاعماهم . ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال .

الآيات من ٣٨ : ٥٢

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) ﴾

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين . ﴿ عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ يستقر بهم حتى يسلمهم إلى النار .

﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ كرر ذلك فى كل قصة إشعارًا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ ، واستئنافًا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة ، وهكذا تكرير قوله : ﴿ فبأى آلاء

ربكما تكذبان ﴾ (٥) . ﴿ و يل يومئذ للمكذبين ﴾ (٦) ونحوهما .

مصير آل فرعون وقوم موسى

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم .

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعنى الآيات التسع . ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ ﴾ لا يغالب . ﴿ مُقْتَدِرٍ ﴾ لا يعجزه شئ .

﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ يا معشر العرب . ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة أو مكانة ودينًا عند الله تعالى ﴿ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ أم نزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى أمان من العذاب .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ ﴾ جماعة أمرنا . ﴿ مُّنتَصِرٌ ﴾ ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء لا نغلب ، أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع .

إنذار الكفار بهزيمة قريبة

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ اى الأدبار وإفراده لإراده الجنس ، أو لأن كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة ، وعن عمر رضى الله تعالى عنه «أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول : سيهزم الجمع ، فعلمته » (٧) .

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ موعد عذابهم الأصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه . ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ ﴾ أشد ، والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه . ﴿ وَأَمَرُّ ﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا .

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ ﴾ عن الحق فى الدنيا . ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ ونيران فى الآخرة .

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يجرون عليها . ﴿ ذُوقُوا مَسَّ

---

(٥) الرحمن : ١٣ .　　　(٦) المرسلات : ١٥ .

(٧) اخرجه البخارى مطولا فى كتاب التفسير – تفسير سورة اقتربت الساعة جـ ٦ ص ١٧٩ وذكره ابن كثير فى تفسيره وعزاه إلى ابن أبى حاتم في سنده إلى عكرمة .

سَقَرَ﴾ أى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فإن مسها سبب التألم بها ، وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ أى إنا خلقنا كل شئ مقدراً مرتباً على مقتضى الحكمة ، أو مقدراً مكتوباً فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده ، وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبراً لا نعتاً ليطابق المشهورة فى الدلالة على أن كل شئ مخلوق بقدر ، ولعل اختيار النصب ها هنا مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود .

أمر الساعة لفظة واحدة هي كن

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ ﴾ إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة ، أو إلا كلمة واحدة وهو قوله كن . ﴿ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ﴾ (٨) .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾ أشباهكم فى الكفر ممن قبلكم . ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ متعظ .

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ مكتوب فى كتب الحفظه .

الآيات من ٥٣ : ٥٥

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ .

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأعمال . ﴿ مُّسْتَطَرٌ ﴾ مسطور فى اللوح .

منزلة المتقين يوم القيامة

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ انهار واكتفى باسم الجنس ، أو سعة أو ضياء من النهار . وقرئ نهر وبضم الهاء جمع نهر كأسد وأسد .

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ فى مكان مرضي ، وقرئ مقاعد صدق . ﴿ عِندَ مَلِيكٍ

(٨) النحل : ٧٧ .

مُّقْتَدِرٍ ﴾ مقربين عندمن تعالى أمره فى الملك (٩) ، والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الأفهام .

فضل سورة القمر

عن النبى ﷺ «من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» (١٠) .

(٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص يبلغ به النبى ﷺ قال : « المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا » .

أخرجه مسلم في كتاب الإمارة – باب : فضيلة الإمام العادل جـ ٦ ص ٧ .

وأخرجه النسائى فى كتاب القضاة – باب : فضل الحاكم العادل فى حكمه جـ ٨٨ ص٢٢١ .

(١٠) ذكره الزمخشرى فى تفسيره وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبى والواحدي وابن مردويه بإسناد إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

(٥٥) سورة الرحمن مدنية (١)

وآياتها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ١٠

﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ⑩ ﴾

خلق الإنسان وتعليم الله إياه القرآن والبيان

﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ لما كانت السورة مقصورة علي تعداد النعم

---

(١) في تفسير الكشاف : السورة مدنية نزلت بعد الرعد .

وفي تفسير ابن كثير : السورة مكية .

وفي تفسير القرطبي : مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس : مكية إلا آية منها وهي قوله تعالي : ﴿ يسأله من في السموات والأرض ﴾ الآية .

وقال ابن مسعود ومقاتل : هي مدنية كلها . والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ ابن مسعود . وذلك أن الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال ابن مسعود : أنا فقالوا : إنا نخشى عليك ، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه ، فأبى ، ثم قام عند المقام فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ ثم تمادى رافعًا بها صوته ، وقريش في أنديتها فتأملوا وقالوا : ما يقول ابن أم عبد ؟ قالوا : هو يقول الذى يزعم محمد أنه أنزل عليه ، ثم ضربوه حتي أثروا في وجهه .

وصح أن النبي ﷺ قام يصلى الصبح بنخلة فقرأ سورة « الرحمن » ومر النفر من الجن فآمنوا به .

الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن ، وقدم ما هو أصل النعم الدينية وأجلها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه ، فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب ، إذ هو بإعجازه واشتماله علي خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ، ثم اتبعه قوله :

﴿ خَلَقَ الإنسَانَ ﴾ .

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان ، وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع ، وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها علي نهج التعديد .

كل شئ منقاد لله وخاضع له

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ، وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ، ويعلم السنون والحساب .

﴿ وَالنَّجْمُ ﴾ والنبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له . ﴿ وَالشَّجَرُ ﴾ الذي له ساق . ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ ينقادان لله تعالي فيما يريد بهما طبعة انقياد الساجد من المكلفين طوعا ، وكان حق النظم في الجملتين ان يقال : وجري الشمس والقمر ،

وفى الترمذى عن جابر قال : خرج النبى ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة « الرحمن » من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال : « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لابشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » وفى هذا دليل على أنها مكية .

وروى أن قيس بن عاصم المنقرى قال للنبى ﷺ : اتل على مما أنزل الله عليك فقرأ عليه سورة الرحمن . فقال : أعدها ، فأعادها ثلاثًا . فقال : والله إن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة وأسفله مغدق وأعلاه مثمر وما يقول هذا بشر ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

وروى عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن »

وأسجد النجم والشجر . أو الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان له ، ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن ، لكنهما جردتا عما يدل علي الاتصال إشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان ، وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة علي أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره .

العدل اساس استقرار الحياة واستقامتها

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ خلقها مرفوعة محلا ومرتبة ، فإنها من منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته ، وقرئ بالرفع علي الابتداء . ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ العدل بأن وفر علي كل مستعد مستحقه ، ووفي كل ذي حق حقه حتي انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام « **بالعدل قامت السموات والأرض** » أو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما ، كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث إنها مصدر القضايا والإقرار أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوي به الحقوق والمواجب .

﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ لئلا تطغوا فيه أى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف ، وقرئ لا تطغوا علي إرادة القول .

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ ولا تنقصوه فإن من حقه أن يسوي لأنه المقصود من وضعه ، وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث علي استعماله، وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها ، وتخسروا بفتحها علي أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجاروأوصل الفعل .

الآيات من ١٠ : ٢١

﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو
الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ
كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
(١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) ﴾

من نعم الله في الأرض

﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا ﴾ خفضها مدحوة . ﴿ لِلأَنَامِ ﴾ للخلق ، وقيل الانام كل ذي روح .

﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ ضروب مما يتفكه به . ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴾ اوعية التمر جمع كم ، او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفري فإنه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر .

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذي به ، والعصف ورق النبات اليابس كالتين . ﴿ وَالرَّيْحَانُ ﴾ يعني المشموم ، او الرزق من قولهم : خرجت اطلب ريحان الله ، وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او واخص ، ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف ، وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض ما عدا ذلك بالرفع ، وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف ، وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله ﴿ للأنام ﴾ وقوله ﴿ أيها الثقلان ﴾ .

خلق الإنسان والجان

﴿ خَلَقَ الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة، والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ، ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه .

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ الجن أو أبا الجن . ﴿ مِن مَّارِجٍ ﴾ من صاف من الدخان . ﴿ مِّن نَّارٍ ﴾ بيان لمارج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما افاض عليكما في أطوار خلقتكما حتي صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما (٢).

---

(٢) جاء فى تعليق المنتخب من التفسير حول هذه الآية :

قد يكون المراد هنا مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما ، ومن ثم تكون الإشارة إلى آية الليل

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصي ، كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلي غير ذلك .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها ، والمعني أرسل البحر الملح والبحر العذب . ﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ يتجاوران ويتماس سطوحهما ، أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه .

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالي او من الأرض . ﴿ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ لا يبغي أحدهما علي الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية ، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

وآية النهار . .

ويصح ان تكون الإشارة هنا إلى الشمس وحدها وهي عماد الحياة في هذا الكوكب الأرضي ، فيكون المقصود هو مشرق الشتاء ومغربه ، ومشرق الصيف ومغربه كما ذهب كثير من المفسرين .

وترجع هذه الظاهرة إلي ميل محور دوران الارض على مستوى مدارها حول الشمس بمقدار ٥٢٣,٥ درجة لذلك فإن النصف الشمالي من الكرة الأرضية مثلا يميل نحو الشمس في الصيف فيطول النهار ويقصر الليل حتي يبلغ ذلك اقصى مداه ، فتظهر الشمس مشرقة أو غاربة على أقصى بعد شمالي من المشرق والمغرب الصادقين ثم تقفل راجعة يوماً بعد يوم، حتي تبلغ المشرق والمغرب الصادقين عند الاعتدال الخريفى ثم يأخذ هذا النصف في الميل عن الشمس ، فيطول الليل ويقصر النهار ، وتستمر الشمس في تأخرها الظاهرى نحو الجنوب ، حتى تبلغ مدى بعدها إلى الجنوب فى قمة الشتاء ، ثم ترتد إلى الشمال يوماً بعد يوم ، حتي تبلغ المشرق والمغرب الصادقين في الاعتدال الربيعى ، وهكذا ، ويصدق عكس هذا جميعه في نصف الكرة الجنوبى ، كما أن هذه الظواهر تبدو بصورة متطرفة كلما اقتربنا من أقصى الشمال من مواسم الزرع والحصاد وكافة صور التباين الموسمى فى نشاط الإنسان والحيوان والنبات .

الآيات من ٢٢ : ٣١

﴿ يَخْرُجُ مِنهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ
الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ
(٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ
مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ (٣١) ﴾

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٣) كبار الدر وصغاره ، وقيل المرجان الخرز الأحمر ، وإن صح ان الدر يخرج من الملح فعلي الأول إنما قال منهما لأنه مخرج من مجتمع الملح والعذب ، أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما . وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج ، وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان .

---

(٣) جاء في تعليق المنتخب من التفسير عند قوله تعالى : ﴿ ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ﴾ [فاطر :١٢] .
وبديهي أن بعض الحلى تستخرج من البحر الملح وقد يستبعد بعض الناس ان تكون المياه العذبة مصدراً للحلى أيضاً ، ولكن العلم والواقع اثبتا غير ذلك ، أما اللؤلؤ فإنه كما يستخرج من أنواع معينة من البحر يستخرج أيضاً من أنواع معينة أخرى صدفيات الأنهار، فتوجد اللآلئ في المياه العذبة في انجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان . . الخ بالإضافة إلى مصايد اللؤلؤ البحرية المشهورة ، ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة كالماس الذي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة باليرقة، ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باندالاس في بورما العليا ، أما في سيام وفي سيلان فيوجد الياقوت غالبا في الرواسب النهرية ، ومن الاحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز .
ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ومنتشرة في البرازيل وفي روسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسيليكات الألمونيوم ويغلب ان يكون اصفر أو بنيا .
الزبركون حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية .
ـ المنتخب من التفسير ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٦٤٥ .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ ﴾ أى السفن جمع جارية ، وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله :

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانٌ وَأَرْبَعٌ فَكُلُّهَا ثَمَان .

﴿ الْمُنشَآتُ ﴾ المرفوعات الشُّرُع ، أو المصنوعات وقرا حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرع ، أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السير . ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلي اخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر باسباب لا يقدر علي خلقها وجمعها غيره .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ من علي الأرض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب ، أو من الثقلين . ﴿ فَانٍ ﴾ .

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله اي الوجه الذي يلي وجهته . ﴿ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ ذو الاستغناء المطلق والفضل العام .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اي مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وإبقاء ما لا يحصي مما هو علي صدد الفناء رحمة وفضلاً ، أو مما يترتب علي فناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم .

﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ، ويعن لهم المراد بالسؤال ما يدل علي الحاجة إلي تحصيل الشئ في ذواتهم وصفاتهم نطقا كان او غيره . ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ كل وقت يحدث أشخاصا ويجدد احوالاً على ما سبق به قضاؤه . وفي الحديث « **من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين** »(٤) وهو رد لقول اليهود إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا .

---

(٤) ذكره الزمخشرى فى الكشاف دون إسناد ، ولم يخرجه الحافظ ابن حجر فى تخريج احاديث الكشاف .

وحول هذه الآية روي الزمخشرى هذه القصة عن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل فقال له : اشكلت على ثلاث آيات ، دعوتك لتكشفها لى : قوله تعالي :

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا .

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴾اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة ، فإنه تعالي لا يفعل فيه غيره وقيل : تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك ، فإن المتجرد للشئ كان أقوي عليه وأجد فيه ، وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ إليكم اي سنقصد إليكم . والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما علي الأرض أو لرزانة رأيهما وقدرهما ، أو لأنهما مثقلان بالتكليف .

الآيات من ٣٢ : ٤٠

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) ﴾

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

نذير للجن والإنس

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾
إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه .

﴿ فاصبح من النادمين ﴾ وقد صح ان الندم توبة ، وقوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فى شان ﴾ وقد صح ان القلم قد جف بماهو كائن إلي يوم القيامة ، وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ فما بال الاضعاف ؟ فقال الحسين : يجوز ان لا يكون الندم توبة فى تلك الأمة ، ويكون توبة فى هذه الأمة ، لان الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم ، وقيل : إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله ، واما قوله ﴿ وان ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلا ، ولى أن أجزيه ألفا فضلاً . واما قوله ﴿ كل يوم هو فى شان ﴾ فإنها شئون يبديها لا شئون يبتديها ، فقام عبد الله وقبل رأسه وسوّغ خراجه .

﴿ فَانفُذُوا ﴾ فاخرجوا ﴿ لا تَنفُذُونَ ﴾ لا تقدرون علي النفوذ . ﴿ إلاَّ بِسُلْطَان ﴾ إلا بقوة وقهر وأني لكم ذلك ، أو إن قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والأرض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله تعالي فتعرجون عليها بأفكاركم .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة ، أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها إلي ما فوق السموات العلا .

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ ﴾ لهب . ﴿ مِّن نَّارٍ وَنُحَاس ﴾ ودخان قال :

تُضِيءُ كَضَوْءِ السِرَاجِ السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاساً (٥)

أو صفر مذاب يصب علي رءوسهم ، وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا علي نار ، ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوب في رواية ، وقرئ ونحس وهو جمع كلحف . ﴿ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ فلا تمتنعان (٦)

---

(٥) هذا البيت للنابغة الجعدى .

والشاهد فيه انه عبر عن الدخان بالنحاس .

وقد شبه محبوبته في جمال وجهها بضوء السراج الصافى الخالى من الدخان .

(٦) فى تعليق المنتخب من التفسير حول هذه الاية :

ثبت حتي الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق الجاذبية الأرضية ، وحيث اقتضى النجاح الجزئى فى زيارة الفضاء لمدة محدودة جداً بالنسبة لعظم الكون بذل الكثير من الجهود العلمية الضخمة فى شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية والجيولوجية فضلا عن التكاليف الخيالية المادية التي انفقت فى ذلك وما زالت تنفق ، ويدل ذلك دلالة قاطعة على ان النفاذ المطلق من اقطار السموات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل .

ولم يفسر المنتخب النحاس بالدخان ، بل قال :

النحاس فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمن ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جداً حوالى ١٠٨٣ درجة مئوية ، فإذا ما صب هذا السائل الملتهب على جسد مثل ذلك صنفاً من اقسى أنواع العذاب المًا واشدها اثراً .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء .

من مظاهر الروع يوم القيامة

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أى حمراء كوردة وقرئت بالرفع علي كان التامة فيكون من باب التجرد كقوله :

وَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ   تَحْوِى الغَنَائِم أَوْ تَمُوتَ كَرِيمُ (٧)

﴿ كَالدِّهَانِ ﴾ وهو اسم لما يدهن به كالحزام ، أوجمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اي مما يكون بعد ذلك .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم تنشق السماء . ﴿ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴾ لانهم يعرفوهم بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلي الموقف ذودا ذودا علي اختلاف مراتبهم ، وأما قوله تعالي ﴿ فوربك لنسألنهم ﴾ (٨) . ونحوه فحين يحاسبون في المجمع ، والهاء للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تاخر لفظا تقدم رتبة .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ اى مما أنعم الله علي عباده المؤمنين في هذا اليوم .

الآيات من ٤١ : ٥٤

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) ﴾

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن . ﴿ فَيُؤْخَذُ

---

(٧) هذا البيت لقتادة بن مسلم الحنفى ضمن ابيات .

وفي بعض الروايات : فلئن بقيت لأرجعن بغزوة : نحو الغنائم .

(٨) الحجر : ٩٢ .

بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾ مجموعا بينهما ، وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام اخري.

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ﴾ بين النار يحرقون بها . ﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ﴾ ماء حار ﴿آنٍ ﴾ بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم ، أو يسقون منه . وقيل إذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

ما أعده اللّه للمتقين

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب ، أو قيامه علي أحواله من قام عليه إذا راقبه ، أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف إلي الرب تفخيما وتهويلا ،أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله :

ذَكَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ (٩)

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ جنة للخائف الإنسي والأخري للخائف الجني ، فإن الخطاب للفريقين والمعني لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخري لعمله ، أو جنة لفعل الطاعات وأخري لترك المعاصي ،أو جنة يثاب بها وأخري يتفضل بها عليه ، أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثني بعد .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ أنواع من الأشجار والثمار جمع فن ، أو أغصان جمع فنن وهي الغصنة التي يتعشب من فرع الشجرة ، وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق

---

(٩) رواه الزمشخري هكذا :

ذعرت به القطا . . .

وهو للشماخ وقبله بيت هو :

وما قد وردت لأجل أروى عليه الطير كالورق اللجين

وأروى اسم محبوبته .

وذعرت القطا أى أخفتها فطارت ، وكذلك نفيت عن هذا المكان الذئب .

وتثمر وتمد الظل .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل . قيل إحداهما التسنيم والأخري السلسبيل . ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ صنفان غريب ومعروف ، أو رطب ويابس .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ، ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم ، لأن من خاف في معني الجمع ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع. وجني اسم بمعني مجني وقرئ بكسر الجيم .

الآيات من ٥٥ : ٧٢

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴾

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ فِيهِنَّ ﴾ في الجنان فإن جنتان تدل علي جنان هي للخائفين ، أو فيما فيهما من الأماكن والقصور ، أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة .

والفرش. ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ نساء قصرن أبصارهن علي أزواجهن .﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ لم يمس الإنسيات إنس ولا الجنيات جن ، وفيه دليل علي أن الجن يطمثون . وقرأ الكسائي بضم الميم . ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ أي حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ ﴾ في العمل . ﴿ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ في الثواب وهو الجنة .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ خضراوان تضربان إلي السواد من شدة الخضرة ، وفيه إشعار بأن الغالب علي هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة عي وجه الأرض ، وعلي الأولين الأشجار والفواكه دلالة علي ما بينهما من التفاوت .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ فوارتان بالماء هو أيضا أقل مما وصف به الأولين وكذا ما بعده .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ عطفهما علي الفاكهة بيانا لفضلهما ، فإن ثمرة النخل غذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء ، واحتج به أبو حنيفة رضي الله تعالي عنه علي أن من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا أورمانا لم يحنث . ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ ﴾ أي خيرات فخففت لأن خيرا الذي بمعني أخير لا يجمع ، وقد قرئ علي الأصل ﴿ حِسَانٌ ﴾ حسان الخَلق وَالخُلق .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قصرن في خدورهن ، يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أى مخدرة ، أو مقصورات الطرف علي أزواجهن .

الآيات من ٧٣ : ٧٨

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٧٨) ﴾

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ كحور الأولين وهم أصحاب الجنتين فإنهما يدلان عليهم .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ ﴾ وسائد أو نمارق جمع رفرفة . وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض . ﴿ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ العبقري منسوب إلي عبقر ، تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون إليه كل شيء عجيب ، والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا علي المعني .

﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ تعالي اسمه من حيث إنه مطلق علي ذاته فما ظنك بذاته، وقيل الاسم بمعني الصفة أو مقحم كما في قوله .

إلي الحول ثم اسم السلام عليكما . ﴿ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ وقرئ ابن عامر بالرفع صفة للاسم .

فضل سورة الرحمن

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة الرحمن أدي شكر ما أنعم الله تعالي عليه»(١٠) .

---

(١٠) رواه الزمخشرى في الكشاف ، وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبى بن كعب رضي الله عنه .

. . . .

تعليق على المناسبة بين افتتاح السورة وختامها

ذكر الإمام ابو عبد الله القرطبي فى كتابه « الجامع لاحكام القرآن »

جاء فى ختام السورة : تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ، كانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال : « الرحمن » فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الإنسان والجن وخلق السموات والأرض ، وانه كل يوم هو في شان ، ووصف تدبيره فيهم ، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها ، وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ، ثم قال في آخر السورة ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتيْ ، فمن رحمتى خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار ، فهذا كله لكم من اسم الرحمن ، فمدح اسمه ، ثم قال : ذي الجلال والإكرام ، جليل فى ذاته ، كريم فى أفعال .

وفى أهمية هذا الاسم « ذي الجلال والإكرام » جاء فى مسند أحمد جـ ٤ ص ١٧٧ من حديث ربيعة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الظوا بياذا الجلال والإكرام » .

ومعنى الإلظاظ : الإلحاح .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد يعنى بعد الصلاة إلا قدر ما يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » . رواه مسلم فى كتاب المساجد – باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته جـ ٢ ص ٩٤ .

(٥٦) سورة الواقعة مكية (١)

وآياتها ست وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ١٠

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ⑥ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑨ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ⑩﴾

حديث عن القيامة وأهوالها

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إذا حدثت القيامة ، سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب إذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت .

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ اى لا يكون حين تقع نفس تكذب علي الله تعالى ، أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن ، واللام مثلها في قوله تعالي : ﴿قدمت لحياتي﴾(٢) أو ليس لاحد في وقعتها كاذبة فإن من اخبر عنها صدق ، أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم : كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم ، إذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه .

---

(١) فى تفسير القرطبى هي سبع وتسعون آية – مع أن تعدادها في الجمع ست وتسعون آية .
وقال : هي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء ، وقال ابن عباس وقتادة : مكية إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالي : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ .
وقال الكلبي : مكية إلا اربع آيات ، منها آيتان : ﴿ افبهذا الحديث انتم مدهنون * وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ﴾ نزلتا فى سفره إلى مكة . وقوله تعالى : ﴿ ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين ﴾ نزلت فى سفره إلى المدينة .
وقال الزمخشرى فى الكشاف : نزلت بعد سورة طه . وهي مكية .

(٢) الفجر : ٢٤ .

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ تخفض قوما وترفع آخرين ، وهو تقرير لعظمتها فإن الوقائع العظام كذلك ، أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع اوليائه ، او إزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو ، وقرئتا بالنصب علي الحال .

﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴾ حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقه من بناء وجبل ، والظرف متعلق بخافضة أو بدل من إذا وقعت .

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ اى فتتت حتي صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لته ، أو سيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها .

﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً ﴾ غبارا . ﴿ مُّنبَثًّا ﴾ منتشرا .

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ﴾ اصنافا ﴿ ثَلاثَةً ﴾ وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج .

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾

﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾فاصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنيئة من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ، أو اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يأتونها بشمائلهم ، او اصحاب اليمن والشؤم فإن السعداء ميامن علي انفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم . والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين .

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ والذين سبقوا إلي الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان ، أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات ، أو الأنبياء فإنهم مقدمو أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم :

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي (٣)

أو الذين سبقوا إلي الجنة

---

(٣) هذا بيت من ارجوزة لابى النجم العجلى يقول فيها :

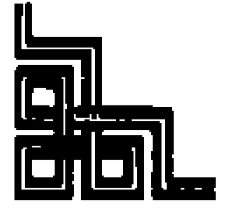
أنا ابو النجم وشعرى شعرى

لله در ما اجنَّ صدرى

تنام عينى وفؤادى يسرى

الآيات من ١١ : ٢٠

﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑪ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑫ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ⑭ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ⑮ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ⑯ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ⑱ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ⑲ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ⑳ ﴾



﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم .

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ اى هم كثير من الاولين يعني الأم السالفة من لدن آدم إلي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ يعنى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « أن أمتي يكثرون سائر الأمم »(٤) لجواز أن يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقي هذه الأمة ، وتابعو هذه اكثر من تابعيهم ، ولا يرده قوله في ﴿ أصحاب اليمين * ثلة من الأولين * ثلة من الآخرين ﴾(٥) لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية أحدهما ، وروي مرفوعا أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثل وهو القطع.

نعيم أهل الجنة

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف ، والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت ، أوالمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع .

﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ حالان من الضمير في علي سرر .

مع العفاريت بارض قفر

يريد : أنا المعروف بالبلاغة بين الناس كالعلم المشهور .

(٤) يكثرون سائر الأمم : اي يفوقونهم عدداً . روي مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال النبى ﷺ : « إني لأرجو ان تكونوا ربع أهل الجنة ، بل ثلث أهل الجنة ، بل نصف أهل الجنة ،وتقاسمونهم في النصف الثاني » ورواه ابو هريرة أيضاً . ــ تفسير القرطبي .

(٥) الواقعة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمة . ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ مبقون ابداً علي هيئة الولدان وطراوتهم .

﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ حال الشرب وغيره ، والكوب إناء بلا عروة ولا خرطوم له ، والإبريق إناء له ذلك . ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ من خمر .

﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا ﴾ بخمار . ﴿ وَلاَ يُنزِفُونَ ﴾ ولا تنزف عقولهم ، او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي لا يصدعون بمعني لا يتصدعون اي لا يتفرقون .

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ اى يختارون .

الآيات من ٢١ : ٣٦

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) ﴾

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يتمنون .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ عطف علي ولدان ، أو مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها أو ولهم حور ، وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطف علي جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور ، أو علي أكواب لأن معني يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب ، وقرئتا بالنصب علي ويؤتون حورا .

﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء .

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم .

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ باطلاً . ﴿ وَلا تَأْثِيمًا ﴾ ولا نسبة إلي الإثم أى لا يقال لهم أثمتم .

﴿ إِلاَّ قِيلاً ﴾ اي قولا . ﴿ سَلامًا سَلامًا ﴾ بدل من قيلا كقوله تعالي ﴿ لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ﴾ (٦) أو صفته أو مفعوله بمعني إلا أن يقولوا سلاما ، أو

(٦) مريم : ٦٢ .

مصدر والتكرير للدلالة علي فشو السلام بينهم . وقرئ سلام سلام علي الحكاية .

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ .

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ لا شوك فيه من خضد الشوك إذا قطعه ، او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب .

﴿ وَطَلْحٍ ﴾ وشجر موز ، او أم غيلان (٧) وله انوار كثيرة طيبة الرائحة ، وقرئ بالعين . ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ نضد حمله من أسفله إلي اعلاه .

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت .

﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ يسكب لهم اين شاءوا وكيف شاءوا بلا تعب ، او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلي ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه اهل البوادي إشعارا بالتفاوت بين الحالين .

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ كثيرة الاجناس .

﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ لا تنقطع في وقت ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه .

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ رفيعة القدر او منضدة مرتفعة . وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها علي الارائك ، ويدل عليه قوله :

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ اي ابتدأناهن ابتداء جديداً من غير ولادة إبداء او إعادة . وفي الحديث « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شُمْطًا رُمْصًا ، جعلهن الله بعد الكبر أترابا علي ميلاد واحد ، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكار ». (٨)

﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾

---

(٧) أم غيلان : نوع من الشجر له ازهار طيبة الريح والمنظر
وانوار جمع نَوْر – بفتح النون وسكون الواو – وهو الزهر الأبيض .

(٨) رواه الثعلبي في تفسير بتمامه ، وذكره القرطبي في تفسيره ، وابن كثير في تفسيره والزمخشري في تفسيره الكشاف ، وعزاه ابن كثير إلى الترمذى ، وراجعه في تحفة الأحوذى – كتاب التفسير – تفسير سورة الواقعة جـ ٩ ص ١٨٣ .
ومعنى شمطا : شيبا ذوات رءوس بيضاء من الكبر .
ورمصا : الرمص ما يكون في العين من وسخ .

الآيات من ٣٧ : ٥٤

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ
يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ
﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ
مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ عُرُبًا ﴾ متحببات إلي أزواجهن جمع عروب ، وسكن راءه حمزة وابو بكر وروي عن نافع وعاصم مثله ﴿ أَتْرَابًا ﴾ فإن كلهن بنات ثلا ث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن .

﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ متعلق بانشانا او جعلنا ، او صفة لابكاراً او خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله :

﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

﴿ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ وهي علي الوجوه الأول خبر محذوف

حال الكافرين

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾

﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ في حر نار ينفذ في المسام . ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وماء متناه في الحرارة .

﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ من دخان اسود يفعول من الحممة .

﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ كسائر الظل . ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ولا نافع ، نفي بذلك ما اوهم الظل من الاستروح .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ منهمكين في الشهوات .

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴾ الذنب العظيم يعني الشرك ، ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب ، وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث

إثا تأثم .

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ كررت الهمزة للدلالة علي إنكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله :

﴿ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ للدلالة علي ان ذلك اشد إنكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف علي المستكن في لمبعوثون ، وقرا نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله ، والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بأن والهمزة .

﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴾

﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ وقرئ لمجمعون ﴿ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ إلي ما وقت به الدنيا وحدث من يوم معين عند الله معلوم له .﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم .

﴿ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ من الأولي للابتداء والثانية للبيان .

﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ من شدة الجوع .

﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ لغلبة العطش ، وتانيث الضمير في منها وتذكيره في عليه علي معني الشجر ولفظه ، وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها .

الآيات من ٥٥ : ٦٨

﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء ، جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة .

فأصبحتُ كالهيماءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلا يَقْضِى عَلَيْهَا هيامُهَا (٩)

---

(٩) قاله ذو الرمة في حديثه عن محبوبته مي ، وقبل هذا البيت قوله :

وقيل الرمال علي أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع علي هيم كسحب ، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض ، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد ، وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين .

﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم ، فيه تهكم كما في قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (١٠) لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له ، وقرئ نزلهم بالتخفيف .

دلائل علي قدرة الله وتفرده بالخلق واستحقاقه للعبادة

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه ، أو بالبعث فإن من قدر علي الإبداء قدر علي الإعادة .

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ اي ما تقذفونه في الأرحام من النطف ، وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعني أمناها .

﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ تجعلونه بشرا سويا . ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ .

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين ، وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال . ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾لا يسبقنا احد فيهرب من الموت أو يغير وقته ، أو لا يغلبنا احد من سبقته علي كذا إذا غلبته عليه .

﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾علي الاول حال او علة لقدرنا وعلي بمعني اللام ، وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة ، والمعني علي أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم، أو نبدل صفاتكم علي ان امثالكم جمع مثل بمعني صفة . ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ في خلق أو صفات لا تعلمونها .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ان من قدر علي النشاة الأخري

وقد زَودت ميٌّ على النأى قبله علاقات حاجات طويل سقامها

وبعد هذه القبلة أصبح ذو الرمة كالناقة الهيماء التي أصابها الهيام وهو داء تغلى منه قلوب الإبل كالعطش الشديد ، فليس هناك ماء مبرد يبل صداها ، وليس المرض بقاض عليها .

(١٠) التوبة : ٣٤ .

فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال ، وفيه دليل علي صحة القياس .

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ تبذرون حبه .

﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ تنبتونه ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ المنبتون .

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ هشيما . ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تعجبون أو تندمون علي اجتهادكم فيه ، أو علي ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه ، والفاكهة التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث ، وقرئ فظللتم بالكسر وفظَلَلْتم علي الاصل .

﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا . أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام ، وقرأ ابو بكر أئنا لمغرمون علي الاستفهام .

﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مَحْرُومُونَ ﴾ حرمنا رزقنا ، أو محدودون لامجدودون .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ اي العذب الصالح للشرب

الآيات من ٦٩ : ٧٩

﴿ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ
﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ من السحاب واحده مُزْنَة ، وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب . ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعني العلم فمتعلقة بالاستفهام (١١) .

---

(١١) جاء في المنتخب من التفسير :

المزن : هي السحب الممطرة ، وعملية الإمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الإنسان أو يوفرها صناعيًا ، مثل هبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أو حالات عدم الاستقرار في الجو .

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ملحا أو من الأجيج فإنه يحرق الفم ، وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانها أو الاكتفاء بسبق ذكرها أو يختص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد .

﴿ فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾ أمثال هذه النعم الضرورية .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ تقدحون .

﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ يعني الشجرة التي منها الزناد .

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا ﴾ جعلنا نار الزناد . ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس (١٢) ، أو في الظلام أو تذكيراً وأنموذجاً لنار جهنم . ﴿ وَمَتَاعًا ﴾ ومنفعة . ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ الذين ينزلون القواء وهي القفر ، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام ، من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها .

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالي أو بذكره فإن إطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب ، وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالي عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته ، أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه ، أو للشكر علي ما عدها من النعم .

القسم علي عظمة القرآن

﴿ فَلا أُقْسِمُ ﴾ إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلي قسم ، أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في ﴿ لئلا يعلم ﴾ (١٣) أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ، ويدل عليه قراءة فلا أقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

وقد حاول الإنسان استمطر السحب العابرة صناعياً إلا أن هذه المحاولات لا تزال مجرد تجارب ، على أن الثابت عمليا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جداً ، مع وجوب توفر بعض الظروف الملائمة طبيعاً .

(١٢) سبق في سورة يس في الآية رقم ٨٠ بيان انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به ، وهي الزناد التي تورى بها الأعراض وأكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل بينهما غصنين مثل السواكين وهما خضروان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر ، على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله .

(١٣) الحديد : ٢٩ .

بمساقطها ، وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة علي وجود مؤثر لا يزول تأثيره ، أو بمنازلها ومجاريها . وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها ، وقرأ حمزة والكسائي بموقع .

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ لما في القسم به من الدلالة علي عظم القدرة

* الإعجاز العلمى

سر القسم بمواقع النجوم :

قال تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) ﴾

لقد أثبت علم الفلك أن القرآن هو أول كتاب في العالم أشار إلى أهمية النجوم كعلامات يهتدى بها السيارة في البر والبحر . . بل لقد أصبحت دراسة النجوم من أهم ما تعتني به معاهد الملاحة ، ومن أهم ما يقوم به المشتغلون بشئون السفر والرحلات .

ولأهمية مواقع النجوم أقسم الله بها لبيان مدى أهميتها ، لاسيما وأن المسافات بين النجوم تبلغ حدوداً لا يتصورها الخيال ، فمثلا نجد أن أقرب نجم إلينا في مجرتنا وهي الشمس تبعد عنا بمقدار عدد من السنين الضوئية .

ثم إن هناك مدلولا علمياً آخر عن مواقع النجوم ، مثل موقع الأرض الذي يعد موقعاً بالغ الدقة في وضعه لما يلى :

* لو كانت الأرض تبعد عن موقع الشمس ضعف بعدها الحالى ، لنقصت كمية الحرارة التي تصلنا إلى ربع كميتها الحالية ، ولقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول ، ولتضاعف ، تبعاً لذلك طول فصل الشتاء ، فتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض .

* لو اقتربت الأرض من الشمس إلى نصف المسافة التي تفصلهما الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض من الشمس أربعة أمثال ما نتلقاه منها الآن ، مما يحول دون وجود حياة ، ولتضاعفت سرعة الأرض حول الشمس ، وانعدمت الفصول ، واستحالت الحياة .

فدراسة مواقع النجوم دراسة ذات أغوار عميقة ، ما زال العلماء يقفون أمامها عاجزين لا يستطيعون أن يتابعوها . . وهذاهو العالم الفلكى « جيمس جنز » يقول : « إن دراسة مواقع النجوم ، ستمدنا بمفتاح لأجمل منظر رأته أو تراه عين الإنسان ، وستمكننا من أن ننظر إلى السماء العجيبة المترامية ، فنفهم من معانيها ما لم نكن نفهم».

نعم . . إن الوقت الذي يتمكن فيه العلماء من فحص النجوم ، وتحديد مواقعها ، ورسم خريطة لها سيكون يوماً حاسماً فى تاريخ البشرية . . ثم نتساءل : من الذي أخبر محمداً ﷺ بسر أبعاد النجوم وحقيقة مواقعها ؟ . . إنه وحي الخالق العليم .

وكمال الحكمة وفرط الرحمة ، ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدي ، وهو اعتراض في اعتراض فإنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ، ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة . (١٤)

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ كثير النفع لاشتماله علي اصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد ، أو حسن مرضي في جنسه .

﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ مصون وهو اللوح المحفوظ .

﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ لا يطلع علي اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة ، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعني النهي ، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر ، وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعني طهره والمطهرون اي انفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام .

الآيات من ٨٠ : ٩٤

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ

---

(١٤) فى المنتخب من التفسير : تبين هاتان الآيتان مدى اهمية هذا القسم العظيم فإن النجوم أجرام مضيئة بذاتها – وأقرب النجوم إلينا وهي الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا ، بينما النجم الذي يليها في القرب يبعد عنا بمقدار ٤ سنوات ضوئية تقريبا ، فالطاقة التى نستخدمها من الشمس هي المقومات الأساسية للحياة ، فلو كان بُعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآن فإن الحياة تصبح قاسية متعذرة كما أن احجام النجوم تختلف بعضها عن بعض ، فمنها النجوم العمالقة ، وهي من الاتساع بحيث تشمل الأرض والسماء على بعدهما .

هناك مجموعات من النجوم تسمى بالعناقيد سابحة في الفضاء تخترق المجرة اللبنية من حين لآخر ، فإذا صادفت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدامها فإن فى ذلك الهلاك والفناء المحقق ، حتي إذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فإن ذلك يؤدى أيضا إلى خلل في التوازن وإلى الهلاك والفناء .

لذلك فإن آيات العبرة والقدرة تظهر فى هذا الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى .

– المنتخب من التفسير – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – .

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا
إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) ﴾

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ صفة ثالثة او رابعة للقرآن ، وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أى نزل تنزيلا .

تكذيب الكفار بما ينزل من الآيات

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن . ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ متهاونون به كمن يدهن في الأمر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به .

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ اي شكر رزقكم . ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ اى بمانحه حيث تنسبونه إلي الأنواع ، وقرئ شكركم اي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم في القرآن انه سحر وشعر ، أو في المطر انه من الأنواء .

حال المحتضر عند الموت

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ اى النفس .

﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾حالكم ، والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ ﴾ اي ونحن اعلم . ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلي المحتضر . ﴿ مِنكُمْ ﴾ عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوي سبب الاطلاع . ﴿ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ لا تدركون كنه ما يجري عليه .

﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ اى مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه إذا اذله واستعبده ، وأصل التركيب للذل والانقياد .

﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ ترجعون النفس إلي مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولي والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط ، والمعني إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح إلي الابدان بعد بلوغها الحلقوم .

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ اي إن كان المتوفي من السابقين .

﴿ فَرَوْحٌ ﴾ فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة . ﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ ورزق طيب . ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ ذات تنعم .

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾

﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ ﴾ يا صاحب اليمين . ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ اى من إخوانك يسلمون عليك .

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴾ يعني اصحاب الشمال . وإنما وصفهم بافعالهم زجرا عنها وإشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به .

﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ .

﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها .

الآيتان ٩٥ ، ٩٦

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾

﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ اي الذي ذكر في السورة او في شأن الفرق . ﴿ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ اى حق الخبر اليقين .

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فنزهه بذكر اسمه وتعالى عما لا يليق بعظمة شأنه(١٥)

---

(١٥) حين نزل قوله تعالى: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال النبي ﷺ : « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ قال رسول الله ﷺ : « اجعلوها في سجودكم » مسند الإمام احمد جـ ٤ ص ١٥٥ من حديث عقبة بن عامر الجهني .

وللتسبيح فضل عظيم ورد فيه من حديث جابر قال ﷺ : « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة » رواه الترمذى فى ابواب الدعوات الحديث رقم ٣٥٣١ وقال ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه مسلم ـ في كتاب الذكر ـ باب : فضل التهليل والتسبيح من حديث ابى هريرة رضي الله عنه .

فضل سورة الواقعة

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » (١٦) .

(١٦) رواه السيوطى في الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٨٥ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال : رواه البيهقي في الشعب .

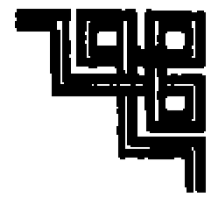
وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن مسعود ان ابن مسعود رضي الله عنه مرض مرضه الذي توفى فيه ، فعاده عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال له : ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قال : فما تشتهى ؟ قال: رحمة ربى . قال : الا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب امرضنى . قال : الا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك من بعدك ؟ قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني امرت بناتى يقرآن كل ليلة سورة الواقعة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » .

تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٨٧ .

(٥٧) سورة الحديد مدنية (١)

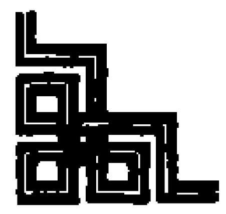
وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٤

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) ﴾ .



من أوصاف الله تعالى وقدرته

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ذكر ها هنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضي، وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع إشعاراً بأن من شان ما أسند إليه ان يسبح فى جميع أوقاته ، لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ، ومجئ المصدر مطلقاً فى بنى إسرائيل أبلغ من حيث انه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفي كل حال ، وإنما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته إشعاراً بأن إيقاع الفعل لاجل الله وخالصاً لوجهه . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح .

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فإنه الموجد لها والمتصرف فيها . ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ استئناف أو خبر لمحذوف .

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الإحياء والإماتة وغيرهما . ﴿ قَدِيرٌ ﴾ تام القدرة .

﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾ السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها ومحدثها . ﴿ وَالآخِرُ ﴾ الباقى بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها ، أو هو

---

(١) فى تفسيرى الحديد ، وابن كثير مدنية ، نزلت بعد الزلزلة .

الأول الذى تبتدى منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات ، أو الأول خارجًا والآخر ذهنًا . ﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول، أو الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الأولي والأخيرة للجمع بين الوصفين ، والمتوسطة للجمع بين المجموعين ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يستوى عنده الظاهر والخفى (٢) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾ كالبذور . ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ كالزروع . ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ كالامطار . ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ كالابخرة (٣) . ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه ، ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه .

الآيات من ٥ : ٩

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ⑤ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑨ ﴾ .

﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لانه

---

(٢) كان النبى ﷺ يدعو قائلا : « اللهم انت الأول فليس قبلك شىء وانت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين واغننا من الفقر » رواه مسلم في الدعاء من حديث ابى هريرة رضي الله عنه .

(٣) وكالاعمال الصالحة والأرواح الطيبة والملائكة والدعوات المقبولة . قال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ .

كالمقدمة لهما . ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بمكنوناتها .

الحث على الإيمان والإنفاق في سبيل الله

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى في الحقيقة له لا لكم ، أو التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها ، وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبر .

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك : مالك قائمًا . ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ حال من ضمير تؤمنون ، والمعني اى عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات . ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ اى وقد أخذ ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر ، والواو للحال من مفعول يدعوكم ، وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم . ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد عليه .

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم ﴾ اى الله او العبد . ﴿ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان . ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية .

الآيات من ١٠ : ١٣

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ﴾ .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا ﴾ وأى شئ لكم في ألا تنفقوا . ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيما يكون قربة إليه . ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لأحد مال ، وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقي وهو الثواب كان أولى . ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين ، وتحرى الحاجات حثا على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق (٤) ، وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه ، والفتح فتح مكة إذ عز الإسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق . ﴿ مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾ أى من بعد الفتح

---

(٤) قال القرطبي : هذه الآية نزلت في ابى بكر رضي الله عنه - فيما يقوله الكلبي - وهي تشير إلى تفضيله - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند النبى ﷺ ، وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال ، فنزل جبريل فقال : يا نبي الله مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال ؟ فقال : « قد أنفق على ماله قبل الفتح » قال : فإن الله يقول لك : أقرأ على ابى بكر السلام وقل له : أراض أنت فى فقرك هذا ام ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول : أراض أنت فى فقرك هذا ام ساخط ؟ » فقال ابو بكر : أاسخط على ربى ؟ إني عن ربى لراض ، إنى عن ربي لراض ، إنى عن ربى لراض . قال : فإن الله يقول لك : قد رضيت عنك كما انت عني راض . فبكى ابو بكر . فقال جبريل عليه السلام : « والذى بعثك يا محمد بالحق ، لقد تخلّلت حملة العرش بالعُبىّ منذ تخللَ صاحبك هذا بالعباءة .

قال القرطبي : ولهذا قدمته الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق .

وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه : سبق النبى ﷺ ، وصلىَّ أبو بكر ، وثلّث عمر ، فلا أوتى برجل فَضَّلنى على ابى بكر إلا جلدته حدَّ المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة.

﴿ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة . وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه .

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه ، والآية نزلت فى أبى بكر رضي الله تعالى عنه فإنه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك .

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ اى من الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه ، فإنه كمن يقرضه وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحرى أكرم المال وافضل الجهات له . ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ أي يعطى اجره اضعافًا ، ﴿ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ اى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم فى نفسه ينبغى أن يتوخى وإن لم يضاعف ، فكيف وقد يضاعف اضعافًا . وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال : أيقرض الله احد فيضاعفه له ، وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعًا وقرأ ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوباً .

بشرى للمؤمنين يوم القيامة

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم ﴾ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة . ﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين . ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ﴾ اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات . ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ ﴾ بدل من يوم ترى . ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا ﴾ انتظرونا فإنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف ، أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوها بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم . وقرأ حمزة أنظرونا على ان اتئادهم ليلحقوابهم إمهال لهم ﴿ نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ نصب منه . ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ إلى الدنيا . ﴿ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾ بتحصيل المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة، فإنه يتولد منها أو إلى الموقف فإنه من ثمة يقتبس ، أو إلى حيث شئتم فاطلبوا نوراً آخر فإنه لا سبيل لكم إلي هذا ، وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم ﴾ بين المؤمنين والمنافقين . ﴿ بِسُورٍ ﴾ بحائط ﴿ لَّهُ بَابٌ ﴾ يدخل منه المؤمنون . ﴿ بَاطِنُهُ ﴾ باطن السور أو الباب .﴿ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ لأنه يلي الجنة . ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾من جهته لأنه يلي النار .

الآيات من ١٤ : ١٨

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ يريدون موافقتهم فى الظاهر . ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالمؤمنين الدوائر . ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ وشككتم فى الدين . ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ كامتداد العمر . ﴿ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وهو الموت . ﴿ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ الشيطان أو الدنيا .

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ظاهرًا وباطنًا ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ هى أولى بكم كقول لبيد :

فَغَدَتْ كِلاَ الفرجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ   مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وأَمامها (٥)

وحقيقته مجراكم اى مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كقولك : هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم ، أو مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب ، أو

(٥) هذا البيت للبيد بن ربيعة من معلقته ، يصف بقرة وحشية حين أفزعها الصياد ، ويقصد بكلا الفرجين الأمام والخلف .

يقول : إنها حين رأت الصياد فزعت ورأت أن كلا من الأمام والخلف أولى بأن تخاف منه .

ناصركم على طريقة قوله : تحيةٌ بينهُم ضربٌ وجيعٌ . او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا . ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ النار .

وجوب الخشوع لذكر الله

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الم يات وقته يقال انى الامر يأتى أنيا وأنا وأنا إذا جاء إناه ، وقرئ الم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى اتى وألما يأن . روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت (٦) .

﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ اى القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر ، ويجوز أن يراد بالذكر ان يذكر الله ، وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف . وقرئ انزل . ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ ﴾ عطف على تخشع ، وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله : ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ اى فطال عليهم الأجل لطول اعمارهم وآمالهم ، أو ما بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم . وقرئ الأمد وهو الوقت الأطول . ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بالإحياء والأموات ترغيبًا فى الخشوع وزجرًا عن القساوة . ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ كى تكمل عقولكم .

---

(٦) ذكر ذلك الزمخشرى فى تفسيره ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول القرآن . وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية إلا اربع سنين – مسلم كتاب التفسير – تفسير آية ﴿ الم يأن ﴾ جـ ٨ ص ٢٤٣ .

وجاء فى ترجمة الفضيل بن عياض في كتب الطبقات ان هذه الآية كانت سببا في توبته . كان في اول أمره قاطع طريق ، فبينما هو فى طريقه إلى غانية كان يحبها ، سمع قارئًا يقرأ هذه الآية ، فكف عن عبثه وقال : قد آن يارب . . وانطلق من فوره تائبًا إلى الله ، طالبًا للعلم، مجاورًا بمكة حتى اصبح من كبار المحدثين الزاهدين الورعين . . راجع سيرته فى وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٧ – البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ١٩٩ – تاريخ الإسلام للذهبى جـ ٥ ص ٣٣٦ .

فضل المتصدقين والمتصدقات .

﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ ﴾ إن المتصدقين والمتصدقات ، وقد قرئ بهما . وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أى الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لأن معناه : الذين أصدقوا ، أو صدقوا وهو على الأول للدلالة على إن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص . ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ معناه والقراءة فى يضاعف كما مر غير أنه لم يجزم لأنه خبر إن وهو مسند إلى لهم أو إلى ضمير المصدر .

الآيات من ١٩ : ٢٣

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء ، أو هم المبالغون فى الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم ، أو على الأمم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر ، والمراد بالأنبياء من قوله : ﴿ فكيف إذ جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ (٧) أو الذين استشهدوا فى سبيل الله . ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾

(٧) النساء : ٤١ .

مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكنه من غير تضعيف ليحل التفاوت ، أو الأجر والنور الموعودان لهم . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فيه دليل علي أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاء .

تصوير الحياة الدنيا وغرورها

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل ، بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنه لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ، ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمواكب البهية والمنازل الرفيعة ، وتفاخر بالأنساب أو تكاثر بالعدد والعدد ، ثم قرر ذلك بقوله ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث ، أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلي قدرة صانعه فأعجب بها ، والكافر لا يتخطي فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجاباً ، ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاماً ، ثم عظم أمور الآخرة الأبدية بقوله : ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تنفيراً عن الانهماك في الدنيا وحثاً علي ما يوجب كرامة العقبى ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي لمن أقبل عليها ولم يطلب إلا الآخرة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة .

ما يستحب فيه التسابق

﴿سَابِقُوا﴾ سارعو مسارعة المسابقين في المضمار . ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى موجباتها . ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي عرضها كعرضهما وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول ، وقيل المراد به البسطة كقوله ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾(٨) ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيه دليل علي ان الجنة مخلوقه وان

---

(٨) فصلت : ٥١ .

الإيمان وحده كاف في استحقاقها . ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ذلك للوعود يتفضل به على من يشاء من غير إيجاب . ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ منه التفضيل بذلك وإن عظم قدره .

أعظم وصفة لعلاج الجزع على المفقود والاغترار بالموجود

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ﴾ كجدب وعاهة . ﴿ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ كمرض وآفة . ﴿ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾ إلا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالي . ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ نخلقها والضمير للمصيبة او الأرض أو للأنفس . ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ اي إثباته في كتاب . ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة . ﴿ لِّكَيْلا تَأْسَوْا ﴾ اى اثبت وكتب كى لا تحزنوا ﴿ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من نعم الدنيا ﴿ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ بما اعطاكم الله منها فإن من علم ان الكل مقدر هان عليه الأمر ، وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الإتيان ليعادل ما فاتكم ، وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها ، وأما حصولها وإبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد نفي الآسي المانع عن التسليم لأمر بالله والفرح الموجب للبطر والاختيال ، ولذلك عقبه بقوله : ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ إذ قل من يثبت نفسه في حالي الضراء والسراء .

الآيات من ٢٤ : ٢٦

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ بدل من كل مختال فإن المختال مختال بالمال يضن به غالبًا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ لان معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غنى عنه وعن إنفاقه

محمود فى ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب إليه بشكر من نعمه ، وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فإن الله الغنى .

بعث الرسل بالبينات والكتب والعدل

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾ اى الملائكة إلى الأنبياء او الأنبياء إلى الأمم . ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿ وَأَنـزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ليبين الحق ويميز صواب العمل . ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ وإنزاله إنزال اسبابه والأمر بإعداده ، وقيل أنزل الميزان إلى نوح عليه السلام ، ويجوز أن يراد به العدل . ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ لتقام به السياسة وتدفع به الأعداء كما قال : ﴿ وَأَنـزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه . ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها (٩) ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ

---

(٩) جاء في تعليق المنتخب من التفسير حول معني هذه الآية :

الحديد احد سبعة عناصر عرفها العلماء القدماء وهي : الذهب ، والفضة ، والزئبق ، والنحاس ، والرصاص ، و الحديد ، والقصدير ، وهو أكثر الفلزات انتشارا فى الطبيعة ، فيوجد أساسا فى الحالة المركبة على هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسليكات ، وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص في الشهب والنيازك الحديدية .

وقد أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس ، وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكه المتنوعة بخواص متعددة ، ومتفاوته الدرجات في مقاومة الحرارة والشد والصدأ والبلى ، وفى مرونة تقبل المغناطيسية وغيرها ، ولذلك كان انسب الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وادواتها ، واساساً لجميع الصناعات الثقيلة ، والخفيفة ودعامة للحضارات . وللحديد منافع جمة للكائنات الحية إذ تدخل مركبات الحديد في عمليات تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئى التي ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتو بلازم الحى ، وعن طريقه يدخل الحديد جسم الإنسان والحيوان . ويدخل الحديد في تركيب بروتينات النواة (المادة الكروماتينية) في الخلية الحية ، كما انه يوجد في سوائل الجسم مع غيره من العناصر ، وهي أحد مكونات الهيموجلوبين (المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء) ويقوم بدور هام في عمية الاحتراق الداخلى للانسجة والتمثيل الحيوي بها ، والحديد يوجد كذلك في الكبد والطحال والكلى والعضلات والنخاع الأحمر ، ويحتاج الجسم إلى كمية من الحديد يجب أن يزود بها من

وَرُسُلَهُ ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلاً ، أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله . ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من المستكن في ينصره . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ﴾ ، على إهلاكه من أراد إهلاكه . ﴿ عَزِيزٌ ﴾ لا يفتقر إلي نصرة وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب . وقيل المراد بالكتب الخط ﴿ فَمِنْهُم ﴾ فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم أرسلنا . ﴿ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن القابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال .

الآيات من ٢٧ : ٢٩

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ .

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أى أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهي إلى عيسى عليه السلام ، والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليه ، أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية ، فإن الرسل الملقي بهم من الذرية ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ﴾ وقرئ بفتح الهمزة وامره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمى . ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ وقرئ رآفة علي فعالة . ﴿ وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ أي وابتدعوا

مصادره المختلفة ، فإذا نقصت تعرض الإنسان لعدة أمراض اهمها فقر الدم .

ـ المنتخب من التفسير ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٨٠٨ ـ .

رهبانية ابتدعوها ، أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات ، وهى المبالغة في العبادة ، والرياضة والانقطاع عن الناس ، منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشي ، وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان . ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ما فرضناها عليهم . ﴿ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله . وقيل : متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله ، وهو يخالف قوله ابتدعوها إلا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا إليها ، أو ابتدعوها بمعني استحدثوها وأتوا بها ، أو لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم . ﴿ فَمَا رَعَوْهَا ﴾ أى فما رعوها جميعًا ﴿ حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها إليها . ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ اتوا بالإيمان الصحيح ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ وحافظوا حقوقها ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من المتسمين باتباعه . ﴿ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن حال الاتباع .

خطاب لأهل الكتاب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالرسل المتقدمة . ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام . ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ ﴾ نصيبين . ﴿ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ إيمانكم بمن قبله ، ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخًا ببركة الإسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره . ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾ يريد المذكور فى قوله ﴿ يسعى نورهم ﴾ (١٠) أو الهدى الذي يسلك به إلي جناب القدس . ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بإدغام النون فى الياء . ﴿ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ أن هى المخففة والمعنى : أنه لا ينالون شيئًا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به ، أو لا يقدرون على شئ من فضله فضلاً عن أن يتصرفوا

---

(١٠) الحديد : ١٢ .

في أعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله : ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ وقيل لا غير مزيدة ، والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه ، فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم ، وقرئ ليلا يعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وأدغمت النون فى اللام ثم أبدلت ياء . وقرئ ليلا على أن الأصل فى الحروف المفردة الفتح .

فضل سورة الحديد

عن النبى ﷺ «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله أجمعين»(١١) .

---

(١١) ذكره الزمخشرى فى الكشاف وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبى وابن مردويه والواحدى بأسانيدهم إلى أبى بن كعب رضى الله عنه .

وجاء في فضلها ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث العرباض بن سارية قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : إن فيهن آية أفضل من ألف آية – المسند جـ٤ ص ١٢٨ .

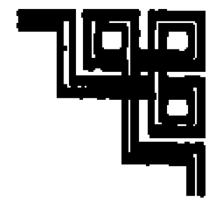
ورواه كذلك أبو داود والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى: حسن غريب .

وقال ابن كثير : الآية المشار إليها فى الحديث هي قوله تعالى والله أعلم: ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ الحديد : ٣ .

(٥٨) سورة المجادلة مدنية [١]

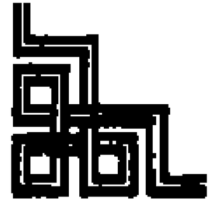
وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيتان ١ ، ٢

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② ﴾ .



من أحكام الأسرة الظهار

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقال : حرمت عليه ، فقالت : ما طلقني فقال : حرمت عليه [٢] فاغتمت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالي فنزلت هذه الآيات الأربع وقد تشعر بان الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها [٣] ، وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين . ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾

---

(١) قال القرطبي : مدنية في قول الجميع ، إلا رواية عن عطاء : إن العشرالأول منها مدنى وباقيها مكى . وقال الكلبى : نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ نزلت بمكة .
وقال الزمخشرى فى الكشاف : نزلت بعد المنافقون .

(٢) في رواية أنه قال ﷺ : « ما عندى في امرك شيء » . وقد اورد خبرها الإمام احمد فى مسنده جـ ٦ ص ٤٦ .والبخارى فى كتاب التوحيد جـ ٩ ص ١٤٤ . وابن ماجه فى مقدمة السنن – باب فيما أنكرت الجهمية الحديث ١٨٨ جـ١ ص ٦٧ . والطبرى في تفسيره : جـ ٢٨ ص ٥ ص ٦ .

(٣) خولة التي حكت السورة قصتها هي خولة بنت ثعلبة ، وقيل بنت حكيم وقيل : اسمها جميلة وخولة اصح .

تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب . ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال .

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي مشتق من الظهار ، وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء أنثي محرم ، وفى منكم تهجين، لعادتهم فيه فإنه كان من أيمان أهل الجاهلية ، وأصل يظاهرون يتظاهرون وقرأ ابن عامر وحمز ة والكسائى يظَّاهرون من ظَّاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر . ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ اى على الحقيقة . ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا تشبه بهن فى الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول ﷺ وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة بنى تميم ، وقرئ بأمهاتهم وهو أيضًا على لغة من ينصب . ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ إذ الشرع أنكره . ﴿وَزُورًا ﴾ منحرفًا عن الحق فإن الزوجة لا تشبه الأم ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ لما سلف منه مطلقًا ، أو إذا تيب عنه .

الآيات من ٣ :٥

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

وجاء من أخبارها أن عمر بن الخطاب مر بها على حمار في خلافته والناس معه ، فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت فى عظتها : يا عمر قد كنت تدعى عميرًا ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لك أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ، وهو واقف يسمع كلامها . فقيل له : يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ فقال : والله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟ – تفسير القرطبي – .

﴿ وَالَّذِيــنَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ اى إلى قولهم بالتدارك ومنه المثل : عاد الغيث على ما أفسد ، وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بإمساك المظاهر عنها في النكاح زمانًا يمكنه مفارقتها فيه ، إذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ما ينتقض به . وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة . وعند مالك بالعزم على الجماع ، وعند الحسن بالجماع . أو بالظهار في الإسلام على أن قوله يظاهرون بمعني يعتادون الظهار إذ كانوا يظاهرون في الجاهلية ، وهو قول الثورى أو بتكراره لفظًا وهو قول الظاهرية ، او معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او إلى المقول فيها بإمساكها ، أو استباحة استمتاعها أو وطئها . ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ اى فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة والفاء للسببية ، ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار ، والرقبة مقيدة بالإيمان عندنا قياسًا على كفارة القتل. ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ ان يستمتع كل من المظاهِر والمظاهَر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضي التشبيه ، أو ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير . ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ اى ذلكم الحكم بالكفارة . ﴿ تُوعَظُونَ به ﴾ لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾لا تخفى عليه خافية .

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ اى الرقبة والذي غاب ماله واجد . ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ فإن افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وإن افطر لعذر ففيه خلاف ، وإن جامع المظاهَر عنها ليلاً لم ينقطع التتابع عندنا خلافًا لأبى حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهما . ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ﴾ اى الصوم لهرم او مرض مزمن أو شبق مفرط فإنه ﷺ رخص للأعرابى المفطر ان يعدل لاجله . ﴿ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ ستين مدًا بمد رسول الله ﷺ ، وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة، وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعًا من غيره ، وإنما لم يذكر التَّماسَّ مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين ، او لجوازه في خلال الإطعام كما قال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه . ﴿ ذَلِكَ ﴾ اى ذلك البيان أو التعليم للأحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم . ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ لا يجوز تعديها . ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ اي الذين لا يقبلونها .

﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو نظير قوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (٤) .

حكم المخالفين لأوامر الله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ يعادونهما فإن كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر ، أو يضعون أو يختارون حدوداً غير حدودهما . ﴿ كُبِتُوا ﴾ أخزوا وأهلكوا وأصل الكبت الكب . ﴿ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعني كفار الأمم الماضية . ﴿ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ تدل على صدق الرسول وما جاء به . ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ يذهب عزهم وتكبرهم .

الآيات من ٦ : ٩

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ منصوب بمهين أو بإضمار اذكر . ﴿ جَمِيعًا ﴾ كلهم لا يدع أحداً غير مبعوث أو مجتمعين . ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي على رءوس الأشهاد تشهيراً لحالهم وتقريراً لعذابهم . ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ ﴾ أحاط به عدداً لم يغب منه شيء . ﴿ وَنَسُوهُ ﴾ لكثرته أو تعاونهم به . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ لا يغيب عنه شيء.

---

(٤) آل عمران : ٩٧ .

إحاطة علم الله

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ كليًا وجزئيًا . ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ ﴾ اى ما يقع من تناجى ثلاثة ، ويجوز ان يقدر مضاف أو يؤول نجوي بمتناجين وبجعل ثلاثة صفة لها ، واشتقاقها من النجوة ،وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه . ﴿ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلا الله يجعلهم اربعة من حيث إنه يشاركهم في الاطلاع عليها ، والاستثناء من أعم الاحوال . ﴿ وَلا خَمْسَةٍ ﴾ ولا نجوى خمسة . ﴿ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين ، او لأن الله تعالى وتر يحب الوتر ، والثلاثة أول الأوتار او لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما ، وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين . ﴿ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين . ﴿ وَلا أَكْثَرَ ﴾ كالستة وما فوقها . ﴿ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يعلم ما يجرى بينهم . وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفًا على محل من نجوى او محل لا أدنى بأن جعلت لا لنفى الجنس . ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ فإن علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتي يتفاوت باختلاف الأمكنة . ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ تفضيحًا لهم وتقريرًا لما يستحقونه من الجزاء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلي الكل على السواء.

صورة من خبث المنافقين

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله ﷺ ثم عادوا لمثل فعلهم .﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ اى بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ، وقرأ حمزة وينتجون وهو يفتعلون من النجوي وروي عن يعقوب مثله. ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ فيقولون السام عليك ، او انعم صباحا والله تعالى يقول. ﴿وسلام علي عباده الذين اصطفي ﴾(٥) ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ فيما بينهم ، ﴿ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾

---

(٥) النحل : ٥٩ .

هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا.﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ عذابا ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها.﴿ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ جهنم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا .﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول .﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه .

الآيات من ١٠ : ١٣

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ﴾.

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ ﴾ اي النجوي بالإثم والعدوان. ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ فإنه المزين لها والحامل عليها ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم . ﴿ وَلَيْسَ ﴾ أي الشيطان أو التناجي . ﴿ بِضَارِّهِمْ ﴾ بضار المؤمنين . ﴿ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلا بمشيئته .﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ولايبالوا بنجواهم .

من آداب المجالسة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم : أفسح عنى أى تنح. وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع، أو مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا

يتضامون به تنافسا علي القرب منه وحرصا علي استماع كلامه، ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا ﴾ انهضوا للتوسعة أو لما امرتم به كصلاة أو جهاد ، أو ارتفعوا عن المجلس ﴿ فَانشُزُوا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما .

فضل العلم وأهله

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا ، وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة . ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بماجمعوا من العلم والعمل ، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره . وفى الحديث « **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب** » . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديد لمن لم يتمثل الأمر او استكرهه .

مناجاة الرسول وآدابها

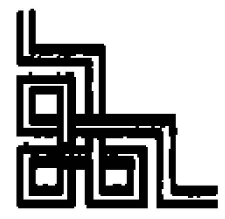
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان ، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول وإنفاع الفقراء والنهى عن الإفراط في السؤال ، والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا . واختلف في أنه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ وهو إن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً . وعن علي كرم الله وجهه : إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى ، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم . وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه ، إذ روى أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ اي ذلك التصدق . ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ اى لمن لم يجده حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب .

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع

المخاطبين، أو لكثرة التناجي . ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه ، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم، وإذ على بابها (٦) وقيل : بمعنى إذ أو إنْ . ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فلا تفرطوا في أدائهما . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في سائر الأوامر ، فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك . ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً .

الآيات من ١٤ : ٢٠

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) ﴾



النهي عن موالاة الكفار ومن على شاكلتهم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ والوا . ﴿ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ يعني اليهود . ﴿ مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ ﴾ لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك . ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ﴾ وهو ادعاء الإسلام . ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس ، وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم . وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال : « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان ، فدخل عد الله بن نبتل المنافق ، وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام له : علام تشتمني أنت وأصحابك ، فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت » (٧) .

---

(٦) على بابها أي من حكم دخولها على الماضي .

(٧) رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه الإمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٢٤٠ و ص ٢٩٧ و ص ٣٥٠ .

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ نوعًا من العذاب متفاقمًا . ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه .

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ أى التي حلفوا بها ، وقرئ بالكسر أى إيمانهم الذى أظهروه . ﴿ جُنَّةً ﴾ وقاية دون دمائهم وأموالهم . ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فصدوا الناس فى خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط . ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم . وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة .

﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قد سبق مثله .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾ أى لله تعالى على أنهم مسلمون . ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ فى الدنيا ويقولون إنهم لمنكم . ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ فى حلفهم الكاذب لأن تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل إليهم في الآخرة ان الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا . ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه .

الشيطان يسول لأوليائه الكفر والنفاق

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ استولى عليهم من حذت الإبل وأحذتها إذا استوليت عليها ، وهو مما جاء على الأصل . ﴿ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم . ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ جنوده واتباعه . ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ فى جملة من هو أذل خلق الله .

الآيات من ٢١ : ٢٢

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ فى اللوح . ﴿ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ اى بالحجة ، وقرا نافع وابن عامر رسلي بفتح الياء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ﴾ على نصر انبيائه . ﴿ عَزِيزٌ ﴾ لا يغلب عليه شىء فى مراده (٨) .

تأكيد النهي عن موالاة المنافقين

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ اى لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله ، والمراد انه لا ينبغى ان يوادوهم . ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ولو كان المحادون اقرب الناس إليهم . ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اى الذين لم يوادوهم . ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ اثبته فيها ، وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان ، فإن جزء الثابت فى القلب يكون ثابتًا فيه ، واعمال الجوارح لا تثبت فيه . ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن ، أو بالنصر على العدو . قيل الضمير للإيمان فإنه سبب لحياة القلب . ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بطاعتهم. ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بقضائه او بما وعدهم من الثواب . ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ جنده وانصار دينه (٩) . ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بخير

---

(٨) ذكر القرطبي فى اسباب نزول هذه الآية

قال مقاتل : قال المؤمنون : لئن فتح لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله على فارس والروم . فقال عبد الله بن ابى بن سلول : اتظنون الروم وفارس مثل القرى التى غلبتم عليها ؟ والله إنهم لأكثر عدداً واشد بطشًا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزلت .

(٩) ورد فى هذه الآية عدة اسباب للنزول

منها ما ذكره القرطبي قال : قال السدي : نزلت في عبد الله بن عبد الله بن ابى سلول ، جلس إلى النبى ﷺ ، فشرب النبى ﷺ ماء فقال له : بالله يا رسول الله ما ابقيت من شرابك فضلة أسقيها ابى ، لعل الله يطهر بها قلبه ؟ فافضل له ، فاتاه بها ، فقال له عبد

الدارين(١٠) .

فضل سورة المجادلة

عن النبي ﷺ : « من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة » (١١) .

الله : ما هذا ؟ فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها لعل الله يطهر قلبك بها . فقال له أبوه : فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها ــ فغضب وجاء إلى النبي ﷺ ، وقال : يارسول الله أما أذنت لي في قتل أبي ؟ فقال النبي ﷺ : « بل ترفقه وتحسن إليه » .

وذكر بن كثير قال : قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن عبد الله الجراح حين قتل أباه يوم بدر .

وقيل في قوله ﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾ نزلت في أبي عبيدة ، و ﴿ أو أبناءهم ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه هم بقتل ابنه عبد الرحمن يوم بدر ، و ﴿ أو إخوانهم ﴾ نزلت في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ، و ﴿ أو عشيرتهم ﴾ نزلت في عمر بن الخطاب قتل قريبا له يومئذ ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ . ــ تفسير ابن كثير ج٨ ص ٧٩ ــ .

(١٠) في الآثار التي وردت حول فلاح حزب الله ، قال داود عليه السلام : إلهي من حزبك وحول عرشك ؟ فأوحى الله إليه : يا داود الغاضة أبصارهم ، النقية قلوبهم ، السليمة أكفهم ، أولئك حزبي وحول عرشي . ذكره القرطبي .

وذكر ابن كثير : قال ﷺ : « إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يُدعَوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

(١١) ذكره الزمخشري في تفسيره ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٥٩) سورة الحشر مدنية [١]

وآياتها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ ، ٢

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) ﴾

سبب النزول

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ روي « انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير علي ان لا يكونوا له ولا عليه ، فلما ظهر يوم بدر قالوا : إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلي مكة وحالفوا ابا سفيان ، فامر رسول الله ﷺ اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة [١] ، ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتي صالحوا علي الجلاء فجلا أكثرهم إلي الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة » فانزل الله تعالي ﴿ سبح لله ﴾ إلي قوله ﴿ والله علي كل شئ قدير ﴾ .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد البينة .

وفي تفسير ابن كثير : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انزلت في بني النضير ، وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جُبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : قل سورة النضير – البخاري كتاب التفسير – سورة الحشر .

(٢) في سيرة ابن هشام : أن قتله كان بعد بدر وقيل غزوة أحد ، أما أخوه من الرضاعة فهو سلطان بن سلامة بن وحش وهو أبو نائلة .

راجع خبر قتل كعب بن الأشرف اليهودي في سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٥٧ .

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ اى في أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك ، او في أول حشرهم للقتال او الجلاء إلي الشام ، وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله تعالي عنه إياهم من خيبر إليه ، أو في أول حشر الناس إلي الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون إليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك ، أو ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم إلي المغرب . والحشر إخراج جمع من مكان إلي آخر .﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ﴾ لشدة باسهم ومنعتهم .﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ اى ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم ، وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلي ضميرهم للدلالة علي فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ، ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم . ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ﴾ اى عذابه وهو الرعب والاضطرار إلي الجلاء ، وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله ، وقرئ فآتاهم الله اى العذاب أو النصر . ﴿ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ لقوة وثوقهم . ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها . ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ضنا بها علي المسلمين وإخراجا لما استحسنوا من آلاتها . ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمجال القتال ، وعطفها علي ايديهم من حيث أن تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه ، والجملة حال أو تفسير للرعب . وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير ، وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم . ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا علي غير الله ، واستدل به علي ان القياس حجة من حيث أنه أمر بالمجاوزة من حال إلي حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له علي ما قررناه في الكتب الأصولية .

الآيات من ٣ : ٦

﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ الخروج من أوطانهم . ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة . ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ استئناف معناه أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الإشارة إلي ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم أو إلي الأخير .

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ أي شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع علي الوان ، وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان . ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴾ الضمير لما وتانيثه لأنه مفسر باللينة . ﴿ قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ﴾ وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن االواو أو علي انه كرهن . ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فبامره . ﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ علة لمحذوف اي وفعلتم أو واذن لكم في القطع ليجزيهم علي فسقهم بما غاظهم منه .

روي انه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا : قد كنت يا محمد تنهي عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت . واستدل به علي جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم .

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ وما اعاده عليه بمعني صيره له أورده عليه ، فإنه كان حقيقا بأن يكون له لأنه تعالي خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلي طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين . ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من بني النضير أو من الكفرة . . ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ فما اجريتم علي تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير . ﴿ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الراكب علي راكبه ، وذلك إن كان المراد فيء بني النضير ، فلأن قراهم كانت علي ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالا غير رسول الله ﷺ فإنه ركب جملا أو حمارا ، ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة كانت بهم حاجة ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ بقذف الرعب في قلوبهم . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها .

الآيات من ٧ : ١٠

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾

مصارف الفئ

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه . ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ اختلف في قسم الفئ ، فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد ، وقيل : يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلم إلي الإمام علي قول وإلي العساكر والثغور علي قول ، وإلي مصالح المسلمين علي قول . وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فإنه ﷺ كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الأربعة كما يشاء والآن علي الخلاف المذكور . ﴿ كَيْ لا يَكُونَ ﴾ أى الفئ الذي حقه ان يكون للفقراء . وقرأ هاشم في رواية بالتاء ﴿ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية ، وقرئ دولة بمعني كيلا يكون الفئ ذا تداول بينهم أو اخده غلبة تكون بينهم ، وقرأ هشام دولة بالرفع علي كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ ﴾ وما اعطاكم من الفئ أو من الامر . ﴿ فَخُذُوهُ ﴾ لانه حلال لكم ، او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة ﴿ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ عن اخذه منه ، او عن إتيانه . ﴿ فَانتَهُوا ﴾ عنه . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في مخالفة رسوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ لمن خالفه .

الثناء علي المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ بدل من لذي القربي وما عطف عليه فإن الرسول لا يسمي فقيرا ، ومن اعطي أغنياء ذوي القربي خصص الإبدال بما بعده ، والفئ بفئ بني النضير ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ فإن كفار مكة اخرجوهم وأخذوا أموالهم . ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ حال مقيدة لا خراجهم بما يوجب تفخيم شانهم . ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بانفسهم وامواله .﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ في إيمانهم .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾ عطف علي المهاجرين ، والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما ، وقيل المعني تبوءوا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام، أو تبوءوا الدار واخلصوا الإيمان كقوله : عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِداً . وقيل سمي المدينة بالإيمان لانها مظهره ومصيره . ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل هجرة المهاجرين . وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان . ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ ولا يثقل عليهم ﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ (٣) في انفسهم ﴿ حَاجَةً ﴾ ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ . ﴿ مِّمَّا أُوتُوا ﴾ مما أعطي المهاجرين من الفئ وغيره .

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ويقدمون المهاجرين علي انفسهم حتي إن كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم . ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ حاجة من

---

(٣) تشير هذه اللفظة إلى اثر سلامة الصدر وخلوه من الغل والحسد والحقد ، وقد روى في ذلك اثر عن النبى ﷺ قال : « يطلع عليكم الآن رجل من اهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه . قد تعلق نعليه بيده الشمال . . قال النبى ﷺ ذلك ثلاثة أيام فكان يطلع الرجل نفسه ، فذهب إليه عبد الله بن عمر واضاف نفسه عنده ثلاثة أيام يختبر عمله ، فلم يجده يقوم بكبير عمل من صلاة وقيام وتهجد . . فسأله في اليوم الثالث عما أوصله إلى المنزلة التي اخبر عنها النبى ﷺ . فقال الرجل : ما هو إلا ما رايت غير انى لا اجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ، ولا احسد احداً على خير أعطاه الله إياه » . رواه ابن كثير وعزاه إلى أحمد في مسنده جـ ٣ ص ١٦٦ .

خصاص البناء وهي فرجة . ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ حتي يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق . ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الأجل .

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ هم الذين هاجروا حين قوي الإسلام ، او التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلي يوم القيامة ولذلك قيل : إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين . ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ اي لإخواننا في الدين . ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ حقدا لهم (٥) ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فحقيق بان تجيب دعاءنا .

الآيات من ١٠ : ١٧

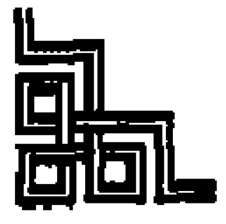
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ

(٤) قال النبي ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً » مسند احمد جـ ٣ ص ٣٤٢ من حديث القعقاع بن اللجلاج .

(٥) عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم انه جاءه رجل فقال له : يا بن بنت رسول الله ﷺ : ما تقول في عثمان ؟ فقال له : يا أخي انت من قوم قال الله فيهم ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ قال : لا . قال : فانت من قوم قال الله فيهم ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان ﴾ ؟ قال : لا . قال : فوالله لئن لم تكن من اهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ . ـ تفسير القرطبي ـ .

إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) ﴾



موقف المنافقين من اليهود

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة . ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من دياركم . ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ ﴾ في قتالكم أو خذلانكم . ﴿ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ اي من رسول ا لله ﷺ والمؤمنين . ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ لنعاوننكم . ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال:

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ ﴾ وكان كذلك فإن ابن أبيّ وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم ، وفيه دليل علي صحة النبوة وإعجاز القرآن . ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾ علي الفرض والتقدير . ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ﴾ انهزاما . ﴿ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴾ بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين ، أو نفاقهم إذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكو ن لليهود وان يكون للمنافقين .

﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول . ﴿ فِي صُدُورِهِم ﴾ فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين . ﴿مِّنَ اللَّهِ ﴾ علي ما يظهرونه نفاقا فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار مرهبة الله . ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يعلمون عظمة الله حتي يخشوه حق خشيته ويعلموا انه الحقيق بان يخشي .

من دلائل جبن اليهود

﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ اليهود والمنافقون . ﴿جَمِيعًا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ بالدروب والخنادق . ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لفرط رهبتهم ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وجدار وأمال أبو عمرو فتحة الدال . ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضا ، بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله . ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين متفقين . ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف

مقاصدهم . ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ ما فيه صلاحهم وإن تشتت القلوب يوهن قواهم .

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ اي مثل اليهود كمثل أهل بدر ، أو بني قينقاع إن صح انهم أخرجوا قبل النضير ، أو المهلكين من الامم الماضية . ﴿ قَرِيباً ﴾ في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوجود مثل . ﴿ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة .

تشبيه المنافقين بالشيطان

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ اى مثل المنافقين في إغراء اليهود علي القتال كمثل الشيطان . ﴿ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾ اغراه علي الكفر إغراء الآمر المأمور . ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال .

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ والمراد من الإنسان الجنس . . قيل أبو جهل قال له إبليس يوم بدر ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ الآية . وقيل : راهب حمله علي الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان علي انه خبر إن وفي النار لغو (٦) .

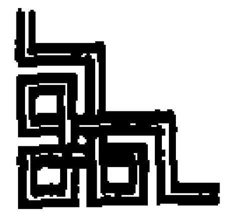
الآيات من ١٧ : ٢٣

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ

---

(٦) قصة الراهب الذي أغواه الشيطان ذكرها كل من القرطبي وابن كثير في تفسيرهما كما ذكرها الطبري والرازي وغيرهما .

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) ﴾



نصيحة للمؤمنين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة كغده ، وتنكيره للتعظيم ، وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك .
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ تكرير للتأكيد، أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي.
﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ نسوا حقه ﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ فجعلهم ناسين لها حتي لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها ، أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم . ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الكاملون في الفسوق .

فرق بين أصحاب النار وأصحاب الجنة

﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار ، واحتج به أصحابنا علي أن المسلم لا يقتل بالكافر . ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ بالنعيم المقيم .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ تمثيل وتخييل كما مر في قوله ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾ (٧) ولذلك عقبه بقوله : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإن الإشارة إليه وإلي أمثاله . والمراد توبيخ الإنسان علي عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره ، والتصدع التشقق . وقرئ مصدعا علي الإدغام .

---

(٧) عن النبي ﷺ قال : من قال حين يصبح ثلاث مرات : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتي يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة « مسند الإمام احمد جـ ٥ ص ٢٦ من حديث معقل بن يسار .

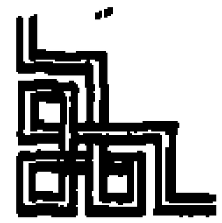
من أسماء الله الحسني

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها ، وما حضر له من الأجرام وأعراضها ، وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به ، أو المعدوم والموجود ، أو السر والعلانية . وقيل الدنيا والآخرة . ﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ البالغ في النزاهة عما يوجب نقصانا . وقرئ بالفتح وهو لغة فيه . ﴿ السَّلامُ ﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة ، مصدر وصف به للمبالغة . ﴿ الْمُؤْمِنُ ﴾ واهب الأمن ، وقرئ بالفتح بمعني المؤمن به علي حذف الجار . ﴿ الْمُهَيْمِنُ ﴾ الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء . ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾ الذي جبر خلقه علي ما أراده ، أو جبر حالهم بمعني أصلحه . ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا . ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إذ لا يشركه في شئ من ذلك .

الآية ٢٤

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾



﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ ﴾ المقدر لأشياء علي مقتضي حكمته . ﴿ الْبَارِئُ ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت . ﴿ الْمُصَوِّرُ ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد . (ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمي بمنتهي المني . ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ لأنها دالة علي محاسن المعاني . ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ لتنزهه عن النقائص كلها . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلي الكمال في القدرة والعلم .

فضل سورة الحشر

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»(٩) .

---

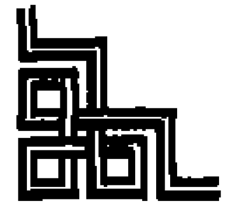
(٨) أخرجه الثعلبي من رواية يزيد بن أبان عن أنس بهذا .

ورواه القرطبي في تفسيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

قال : وعن أبي أمامة قال : قال النبي ﷺ : « من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فقبضه الله في تلك الليلة ، أو ذلك اليوم فقد أوجب الله له الجنة .

(٦٠) سورة الممتحنة مدنية
وآياتها ثلاث عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم
الآية ١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾



النهي عن موالاة الأعداء الكفار وسبب نزول السورة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ نزلت في حاطب بن ابى بلتعة ، فإنه لما علم ان رسول الله ﷺ يغزو اهل مكة كتب إليهم ان رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم ، وأرسل كتابه مع سارة مولاة بني المطلب ، فنزل جبريل عليه السلام فاعلم رسول الله ، فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال : انطلقوا حتي تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة ، فخذوه منها وخلوها فإن ابت فاضربوا عنقها ، فادركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع ، فَسَلَّ علي رضي الله تعالى عنه السيف فاخرجته من عقاصها ، فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبًا وقال : ما حملك عليه؟ فقال : يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقًا في قريش وليس لي فيهم

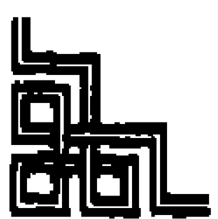
(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الاحزاب.

وجاء فى تفسير القرطبي : الممتحنة – بكسر الحاء – اي المختبرة اضيف الفعل إليها مجازًا ، كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ، ومن قال في هذه السورة : الممتحنة – بفتح الحاء – فإنه اضافها إلى المرأة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ، قال الله تعالى : ﴿ فامتحنوهن الله اعلم بإيمانهن ﴾ وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن .

من يحمي أهلي ، فأردت أن آخذ عندهم يداً وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً ، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره . ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ تفضون إليهم المودة بالمكاتبة ، والباء مزيدة ، أو إخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة ، والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له ، ولا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل . ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ حال من فاعل أحد الفعلين . ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أي من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه . ﴿ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان . ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ ﴾ عن أوطانكم . ﴿ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا . ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ بدل من تلقون أو استئناف معناه : أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة . ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ أي منكم . وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية . ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ ﴾ أي من يفعل الاتخاذ . ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أخطاه .

الآيات من ٢ : ٦

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾



﴿ إن يثقفوكم ﴾ يظفروا بكم . ﴿ يكونوا لكم أعداء ﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم . ﴿ ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴾ ما يسوؤكم كالقتل والشتم . ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ وتمنوا ارتد ادكم ، ومجئ ودوا وحده بلفظ الماضى للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء ، وأن ودادتهم حاصلة وإن لم يثقفوكم .

﴿ لن تنفعكم أرحامكم ﴾ قراباتكم . ﴿ ولا أولادكم ﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم . ﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾ يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غداً ، وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء ، وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم، وقرأ عاصم يفصل . ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم عليه .

الأسوة في موقف إبراهيم من قومه

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة ﴾ قدوة . اسم لما يؤتسى به . ﴿ في إبراهيم والذين معه ﴾ صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة لأنها وصفت . ﴿ إذ قالوا لقومهم ﴾ ظرف لخبر كان . ﴿ إنا برآء منكم ﴾ جمع برئ كظريف وظرفاء . ﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ اى بدينكم أو بمعبودكم ، أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم . ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة . ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ استثناء من قوله اسوة حسنة فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به ، فإنه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها إياه . ﴿ وما أملك لك من الله من شيء ﴾ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه . ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار .

﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله . ﴿ واغفر لنا ﴾ ما فرط منا . ﴿ ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يجير المتوكل ويجيب الداعى (٢) .

---

(٢) هناك فهم لبعض العلماء من هذه الآية ، وهو ربنا وفقنا لمكارم الأخلاق وعمل الصالحات

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ تكرير لمزيد الحث على التاسى بإبراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله : ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ من لكم فإنه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم ، وانّ تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة .

الآيات من ٧ : ١٠

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾

رجاء تحقق

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ لما نزل ﴿ لا تتخذوا ﴾ عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤوا منهم ، فوعدهم الله بذلك وانجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء . ﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ على ذلك . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقى في قلوبكم من ميل الرحم (٣) .

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾

حتى يرانا غيرنا فيقتدى بنا ، ونجنا من سوء الأخلاق وفساد الأعمال حتى لا يراها الكفار فيظنوا ان المسلمين فاسدون ولا يصلحون للاقتداء بهم ، وبذلك نصبح فتنة لهم .

(٣) اسلم قوم من الكفار كانوا من الد الأعداء للمسلمين كابى سفيان بن حرب ، والحارث ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل وكثير غيرهم .

أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ بدل من الذين . ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ وتفضوا إليهم بالقسط أى العدل . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ العادلين ، روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت أبى بكر بهدايا ، فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت (٤) .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين . ﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ بدل من الذين بدل الاشتمال . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها .

امتحان المهاجرات المؤمنات للتأكد من إيمانهن

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهم لسانهم في الإيمان . ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ فإنه المطلع على ما فى قلوبهم . ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات ، وإنما سماه علمًا إيذانًا بأنه كالعلم في وجوب العمل به . ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ اي إلى ازواجهن الكفرة لقوله : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة ، أو الأولى لحصول الفرقةوالثانية للمنع عن الاستئناف . ﴿ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ﴾ ما دفعوا إليهن من المهور ، وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن . إذ روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد الحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبًا لها فنزلت(٥) فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار .

---

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ، وعزاه إلى البخاري ومسلم ، رواه البخاري فى كتاب الهبة ـ باب الهدية للمشركين جـ ٣ ص ٢١٥ . ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب : فضل النفقة والصدقة على الأقربين جـ ٣ ص ٨١ .

(٥) وروي عن حسين بن أبى لبانة عن عبد الله بن أبى أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط في الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ

﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانًا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر . ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة ، والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات ، وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد . ﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ ﴾ من مهورنسائكم اللاحقات بالكفار . ﴿ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات . ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ﴾ يعني جميع ما ذكر في الآية . ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير ، أو جعل الحكم حاكمًا على المبالغة . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يشرع ما تقضيته حكمته .

الآيات من ١١ : ١٣

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) ﴾

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ ﴾ وإن سبقكم وانفلت منكم . ﴿ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ أحد من أزواجكم ، وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم ، ، أو شيء من مهورهن . ﴿ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ فجاءت عقبتكم اى توبتكم من أداء المهر ، شبه

فكلماه فيها أن يردها إليهما ، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، ومنعهن أن يرددن إلى المشركين ، وانزل الله آية الامتحان . تفسير ابن كثير جـ ٨ ص١١٨ .
وفي تفسير القرطبي : جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، هربت من زوجهاعمرو بن العاص ومعها أخواهاعمارة والوليد ، فرد رسول الله ﷺ أخويها وحبسها ،فقالوا للنبى ﷺ للشرط . فقال ﷺ : الشرط في الرجال لا في النساء .
قال : وقيل : إن التي جاءت اميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ، وقيل : إنها سبيعة زوجة صيفي بن الراهب مشرك من أهل مكة ، والأكثر من أهل العلم أنها أم كلثوم بنت عقبة .

الحكم باداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهورنساء هؤلاء اخري بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره . ﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر . روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت .

وقيل : معناه إن فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ فإن الإيمان به يقتضى التقوى منه .

نص المبايعة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ نزلت يوم الفتح فإنه ﷺ لما فرغ من بيعةا لرجال اخذ في بيعة النساء . ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ يريد وأد البنات . ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ فى حسنة تامرهن بها ، والتقييد بالمعروف مع ان الرسول ﷺ لا يأمر إلا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصيةالخالق .

﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾ إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء . ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

تأكيد لعدم مودة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعنى عامة الكفار أو اليهود . إذ روى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم . ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ لكفرهم بها او لعلمهم بانهم لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات . ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منها ، وعلي الأول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر آيسهم .

فضل سورة الممتحنة

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة »(٦) .

---

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدى وابن مردويه بأسانيدهم إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

(٦١) سورة الصف مدنية
وآياتها أربع عشرة (١)
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٤

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ④ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سبق تفسيره .

النهي عن القول دون الفعل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ روي ان المسلمين قالوا : لو عملنا احب الاعمال إلي الله تعالي لبذلنا فيه أموالنا وانفسنا فانزل الله ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ فَوَلّوا يوم احد فنزلت . ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر علي حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة علي المستفهم عنه . (٢)

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم ،

---

(١) فى تفسير القرطبي : مدنية في قول الجميع فيما ذكر الماوردي ، وقيل : إنها مكية ، ذكره النحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما .
وفي تفسير الكشاف : مدنية نزلت بعد التغابن وفي تفسير ابن كثير : قال الإمام احمد فى مسنده عن عبد الله بن سلام جـ ٥ ص ٤٥٢ قال: تذاكرنا ايكم ياتي رسول الله ﷺ فيساله :اي الأعمال احب إلى الله ؟ فلم يقدم أحد منا ، فارسل رسول الله ﷺ إلينا رجلا ، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني صورة الصف .
ورواه الترمذى أيضاً في تفسير سورة الصف ـ تحفة الأحوذي جـ ٩ ص ٢٠٦ .

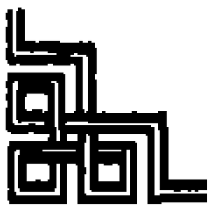
(٢) هى قاعده ذكرها علماء النحو في كتبهم : أن ما الاستفهامية إذا سبقها حرف جر حذفت الفها ، ومن امثلة ذلك : عَمَّ يتساءلون لم تقولون ما لا تفعلون ؟ فيم الخلاف ؟ وإذا كان حرف الجر مثل حتي وعلى وإلي كتبت باؤه الفا مثل : حتَّام ؟ وإلامَ ، وعلامَ؟

مبالغة في المنع عنه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ مصطفين مصدر وصف به . ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ في تراصهم من غير فرجة ، حال من المستكن في الحال الأولى . والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه .

الآيات من ٥ : ١٠

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) ﴾



موسى يعاتب قومه الذين يؤذونه

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ مقدراً باذكر او كان كذا . ﴿ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي ﴾ بالعصيان والرمي بالأدرة (٣) . ﴿ وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ بما جئتكم من المعجزات ، والجملة حال مقررة للإنكار فإنا لعلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه ، وقد لتحقيق العلم . ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا ﴾ عن الحق . ﴿ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ صرفها عن

(٣) الأُدْرَة : تضخم الخصية .

ومن أنواع الأذى التي لحقت به إلصاق التهم السيئة به ، كما فعل قارون معه من انه دس عليه امرأة تدعى عليه الفجور بها ، فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها .

ومن الأذى قولهم له : ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ وقولهم : ﴿ فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ واتهامهم إياه بأنه قتل اخاه هارون . ـ تفسير القرطبي ـ .

قبول الحق والميل إلى الصواب . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هداية موصلة إلى معرفة الحق أو إلى الجنة .

بشرى عيسى بمحمد ﷺ

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لأنه لا نسب له فيهم . ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا ﴾ فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيري برسول ياتي من بعدي . والعامل في الحالين ما في الرسول من معني الإرسال لا الجار لأنه لغو إذ هو صلة للرسول فلا يعلم . ﴿ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ يعنى محمداً عليه الصلاة والسلام ، والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه ، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبى الذي هو خاتم المرسلين . ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الإشارة إلى ما جاء به او إليه ، وتسميته سحر للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الإشارة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام .

محاولات فاشلة في مناوأة الإسلام

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ ﴾ اي لا احد أظلم ممن يدعى إلى الإسلام الظاهرحقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع إجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آيته سحراً فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا ﴾ اي يريدون أن يطفئوا ، واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها فى لا ابا لك ، او يريدون الافتراء ليطفئوا . ﴿ نُورَ اللَّهِ ﴾ يعنى دينه أو كتابه او حجته . ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بطعنهم فيه . ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ مبلغ غايته بنشره وإعلائه ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالإضافة . ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ إرغامًا لهم .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ بالقرآن أو المعجزة . ﴿ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ والملة الحنيفية . ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ليغلبه على جميع الأديان . ﴿ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴾ لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك .

أعظم التجارات الرابحة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد .

الآيات من ١١ : ١٤

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) ﴾

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والجهاد المؤدى إلى كمال عزهم ، والمراد به الأمر وإنما جئ بلفظ الخبر إيذانًا بأن ذلك مما لا يترك . ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعنى ما ذكر من الإيمان والجهاد . ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله (٤) .

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ، أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا ، أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ،

---

(٤) ذكر في أسباب نزول هذه الآية أنها نزلت في عثمان بن مظعون . قال ذلك مقاتل ، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ : لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام بليل أبدًا ولا أفطر بنهار أبدا . فقال رسول الله ﷺ : « إن من سنتي النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمتى الجهاد في سبيل الله ، وخصاء أمتى الصوم ، ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتى فليس مني » .
فقال عثمان : والله لوددت يا نبي الله أى التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها ؟ فنزلت . ـ تفسير القرطبي ـ .

ويبعد جعله جوابًا لهل أدلكم لأن مجرد دلالته لا توجب المغفرة . ﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الإشارة إلى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة .

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة نعمة أخري عاجلة محبوبة ، وفي تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل علي الآجل ، وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطيكم ، أو تحبون أو مبتدأ خبره : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ وهو علي الأول بدل أو بيان وعلى قول النصب خبر محذوف ، وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل ، أو الاختصاص أوا لمصدر . ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ عاجل . ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على محذوف مثل : قل يا أيها الذين آمنوا وبشر، أو على تؤمنون فإنه فى معنى الأمر كأنه قال : آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلاً وعاجلاً .

الدعوة إلى نصرة الحق

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام لأن المعني كونوا بعض أنصار الله . ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ اى من جندى موجهاً إلى نصرة الله ليطابق قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ والإضافة الأولى إضافة احد المشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص ، والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى إذ المراد قل لهم كما قال عيسى ابن مريم ، أو كونوا أنصاراً كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري إلى الله . والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلاً من الحور وهو البياض . ﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ﴾ اى بعيسى . ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ بالحجة وبالحرب وذلك بعد رفع عيسى . ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ فصاروا غالبين .

فضل سورة الصف

عن النبى ﷺ : « **من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه** »[٥] .

(٥) ذكره الزمشخري في الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٦٢) سورة الجمعة مدنية(١)

وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٤

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) ﴾

رسالة محمد ﷺ لأمته

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح .

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ ﴾ أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون . ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ من جملتهم أميًا مثلهم . ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ من كونه أميًا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ من خبائث العقائد والأعمال . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ القرآن والشريعة ، أو معالم الدين من المنقول والمعقول

---

(١) في الكشاف : نزلت بعد الصف .

وجاء في تفسير ابن كثير : عن ابن عباس وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . – رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجمعة – باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة.

وتحدث القرطبي في مقدمة تفسير هذه السورة عن فضل يوم الجمعة فقال :

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة ، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق . فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له – قال – يوم الجمعة ، كاليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى .

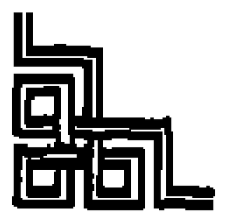
، ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه . ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية ، وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم ، وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم ، وإن هي المخففة واللام تدل عليها .

﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ عطف على الأميين ، أو المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة إلى يوم الدين ، فإن دعوته وتعليمه يعم الجميع (٢) . ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في تمكينه من هذا الأمر الخارق للعادة . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في اختياره وتعليمه .

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه فضله . ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ تفضلاً وعطية . ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا، أو نعيم الآخرة أو نعيمهما .

الآيات من ٥ : ٨

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾



مثل لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾ علموها وكلفوا العمل بها . ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ لم

---

(٢) جاء في صحيح مسلم والبخاري من حديث أبي هريرة : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ـ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال رجل : من هؤلاء يارسول الله ؟ فلم يراجعه النبي ﷺ مرة أو مرتين أو ثلاثا . قال : وفينا سلمان الفارسي . قال : فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء » وفي رواية : « لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس » أو قال : « من أبناء فارس » .أخرجه البخاري في تفسير سورة الجمعة جـ ٦ ص ١٨٨ وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة ـ باب فضل فارس جـ ٧ ص ١٩١ .

يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها . ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ كتبًا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ، ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة إذ ليس المراد من الحمار معينًا . ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد ﷺ ، ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفًا . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

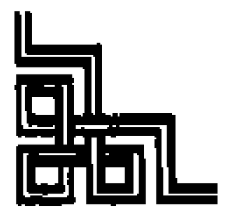
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ تهودوا . ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه . ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ﴾ فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى محل الكرامة . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في زعمكم .

﴿ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فيجازيهم على أعمالهم (٣) .

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ ﴾ وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم . ﴿ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ لا حق بكم لا تفوتونه ، والفاء لتضمن الاسم معني الشرط باعتبار الوصف ، وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم . وقد قرئ بغير فاء ويجوز أن يكون الموصول خبرًا والفاء عاطفة . ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بأن يجازيكم عليه .

الآيات من ٩ : ١١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾



من آداب صلاة الجمعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ ﴾ اى إذا أذن لها . ﴿ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ بيان لإذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة ، وكانت العرب تسميه العروبة .

---

(٣) راجع في ذلك ما جاء في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ الآيتان ٩٤، ٩٥

وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه ، وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ أنه لما قدم المدينة نزل قباء فأقام بها إلى الجمعة ، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى واد لبنى سالم بن عوف . ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فامضوا إليه مسرعين قصداً فإن السعى دون العدو ، والذكر الخطبة ، وقيل الصلاة والأمر بالسعي إليها يدل على وجوبها . ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ واتركوا المعاملة . ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ اى السعي إلى ذكر الله . ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقى . ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الخير والشر الحقيقين ، أو إن كنتم من أهل العلم .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ اديت وفرغ منها . ﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ إطلاق لما حظر عليهم ، واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة . وفي الحديث « ابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وإنما هو عيادة مريض وحضورجنازة وزيارة أخ في الله » . ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بخير الدارين .

مناسبة الآية

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام ، فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر رجلاً فنزلت . وإفراد التجارة برد الكناية (٤) لانها المقصودة ، فإن المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير ، والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على ان الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك . وقيل : تقديره إذ رأوا تجارة انفضلوا إليها وإذا رأوا لهواً انفضلوا إليه . ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ اى على المنبر . ﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ ﴾ من الثواب. ﴿ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما . ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ فتوكلوا عيه واطلبو الرزق منه .

فضل سورة الجمعة

عن النبى ﷺ : « **من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجرعشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين** » (٥) .

---

(٤) يقصد الضمير في قوله « إليها » ولم يقل : إليهما .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر : رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في مسنده إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

(٦٣) سورة المنافقون مدنية [١]
وآياتها إحدى عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٤

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾

كذب المنافقين في شهادتهم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ الشهادة إخبار عن علم .. من الشهود وهوا لحضور والاطلاع ، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ لانهم لم يعتقدوا ذلك.

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه، فإنها تجرى مجرى الحلف في التوكيد ، وقرئ إيمانهم ﴿ جُنَّةً ﴾ وقاية من القتل والسبى . ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ صداً او صدوداً . ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من نفاقهم وصدهم .

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم ، أو إلى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان . ﴿ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾ بسبب انهم آمنوا ظاهراً . ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ سراً ، أو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة . ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ حتي تمرنوا علي الكفر فاستحكموا فيه . ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته .

---

(١) فى تفسير الكشاف نزلت بعد الحج .

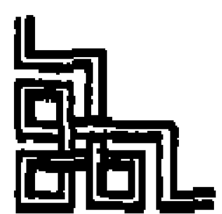
منظرهم حسن ومخبرهم سئ

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ لضخامتها وصباحتها . ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم ، وكان ابن أبيّ جسيما فصيحًا يحضر مجلس رسول الله ﷺ في جمع مثله ، فيعجب بهيكلهم ويصغى إلى كلامهم . ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ حال من الضمير المجرور في ﴿ قولهم ﴾ أي تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحًا خالية عن العلم والنظر ، وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جَوْفُهَا ، شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر ، وقرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف ، أو على أنه كبدن في جمع بدنة .

﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم ، فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ، ويجوز أن يكون صلته والمفعول : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر إلى الخبر لكن ترتب قوله : ﴿ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ عليه يدل على أن الضمير للمنافقين . ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم ، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك . ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يصرفون عن الحق .

الآيات من ٥ : ٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾



استكبارهم عن استغفار الرسول لهم

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ عطفوها

إعراضاواستكباراً عن ذلك ، وقرأ نافع بتخفيف الواو . ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ يعرضون عن الاستغفار ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن الاعتذار.

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ لرسوخهم في الكفر . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق .

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ أى للأنصار . ﴿ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ يعنون فقراء المهاجرين . ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ بيده الأرزاق والقسم . ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ ذلك لجهلهم بالله .

تهديدهم بإخراج الرسول وصحبه من المدينة

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾روى ان اعرابيانازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء ، فضرب الأعرابى رأسه بخشبة ، فشكا إلى ابن أبى فقال : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا، وإذا رجعنا إلي المدينة فليخرجن الأعز منها الأذل ، عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ (٢) . وقرئ

---

(٢) روى الترمذى هذه القصة عن زيد بن أرقم قال :
غزونا مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبدر الماء ، وكان الأعراب يسبقوننا إليه ، فيسبق الأعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النِّطَعَ – بسطا من جلد – عليه حتي تجئ أصحابه . قال : فاتي رجل من الأنصار أعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ، فانتزع حجرا فغاص الماء ، فرفع الأعرابى خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجه ، فاتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فأخبره – وكان من أصحابه – فغضب عبد الله بن أبىّ ثم قال : لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتي ينفضوا من حوله – يعنى الأعراب – وكانوا يحضرون رسول الله عند الطعام . فقال عبد الله : إذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : لئن رجعتم إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال زيد : وأنا رِدْفُ عمي فسمعت عبد الله بن أبى ، فأخبرت عمى ، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد . قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى . قال : فجاء عمى إلىّ فقال : ما أردت إلى ان مقتك رسول الله ﷺ وكذبك . قال : فوقع على من جراتهم ما لم يقع على أحد . قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر ، قد خفقت برأسى من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ – فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرنى ان لي بها الخلد في الدنيا – ثم إن أبا بكر لحقنى فقال : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت : ما قال شيئًا إلا انه

ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ، ونصب الأعز والأذل على هذه القراءات مصدر أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج أو مثل . ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين (٣) .

﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم .

عرك أذني وضحك في وجهي . فقال أبشر ، ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبى بكر ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين .

قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح – تحفة الأحوذي – كتاب التفسير جـ ٩ ص ٢١٥ .

وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به ،وهم اليوم شر منهم علي عهد رسول الله ﷺ ، لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وروى الشيخان حديث أبى هريرة : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان » تفسير القرطبي – سورة المنافقين .

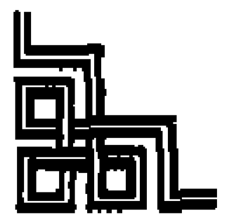
(٣) ذكر ابن هشام في سيرته : أن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى ، فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٩٢ .

وذكر ابن كثير في تفسيره قال : إن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبى على باب المدينة ،واستل سيفة ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه : وراءك . فقال : ما لك ؟ ويلك فقال : والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقةً – يعنى أنه كان يسير خلف أصحابه تواضعا – فشكا إليه عبد الله بن أبى ابنه . فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ﷺ . فقال : أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن .

وفي رواية أن عبد الله بن عبد الله قال لأبيه : والله لا تدخل المدينة حتى تقول : رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل . – تفسير ابن كثير جـ ٨ ص ١٥٩ .

الآيات من ٩ : ١١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾



توجيه للمؤمنين بذكر الله والإنفاق في سبيل الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره الصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود ، والمراد نهيهم عن اللهوا بها . وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذا قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ اى اللهو بها وهو الشغل ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى .

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ بعض اموالكم إدخاراً للآخرة . ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ اي يرى دلائله . ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي ﴾ هلا امهلتنى . ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أمد غير بعيد . ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ فاتصدق . ﴿ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ بالتدارك ، وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده ، وقرأ أبو عمرو وأكون منصوباً عطفاً على فاصدق ، وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح .

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا ﴾ ولن يمهلها . ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ آخرعمرها . ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فمجاز عليه ، وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة .

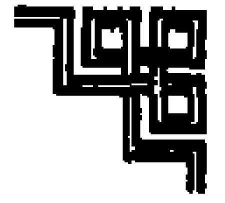
فضل السورة

عن النبي ﷺ : « من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق » (٤) .

---

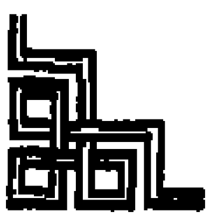
(٤) ذكره الزمخشرى في الكشاف ، وقال الحافظ بن حجر : اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى ابي بن كعب رضي الله عنه .

(٦٤) سورة التغابن مدنية (١)
وآياتها ثماني عشرة
الآيات من ١ : ٤



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) ﴾



لله الملك وله الحمد

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ بدلالتها على كماله واستغنائه . ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة . ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ ﴾ مقدر كفره موجه إليه مايحمله عليه . ﴿ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ مقدر إيمانه موفق لما يدعوه إليه . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم (٢) .

---

(١) قال القرطبي : مدنية في قول الاكثرين ، وقال الضحاك : مكية ، وقال الكلبي : هي مكية ومدينة

وعن ابن عباس أن سورة التغابن نزلت بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعى ، شكا إلى رسول الله ﷺ جفاء اهله وولده ، فانزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادك عدوا لكم فاحذروهم ﴾ إلى آخر السورة .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا وفي تشابيك راسه مكتوب خمس آيات من فاتحة التغابن » .

وفى تفسير الكشاف : نزلت هذه السورة بعد التحريم .

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطبنا النبى ﷺ عشية فذكر شيئًا مما يكون

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغة . ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ فصوركم من جملة ما خلق فيها بأحسن صورة ، حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات ، وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات ، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات . ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم ﴾ .

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كليًا كان أو جزئيًا ، لأن نسبة المقتضى لعلمه إلى الكل واحدة ، وتقديم تقرير القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء .

الآيات من ٥ : ١٣

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ
﴿١٢﴾ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

فقال : « يولد الناس على طبقات شتي ، يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا ، ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرًا ويموت كافرًا ، ويولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنًا ويموت كافرًا ، ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرًا ويموت مؤمنًا .

وعن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « إن احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » أخرجه البخاري والترمذى .ـ تفسير القرطبي ـ

الاعتبار بمصير الكافرين من قبل

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ أيها الكفار . ﴿ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام . ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ ضرر كفرهم في الدنيا ، واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة ، والوابل المطر الثقيل القطار . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فى الآخرة .

﴿ ذَلِكَ ﴾ اى المذكور من الوبال والعذاب . ﴿ بِأَنَّهُ ﴾ بسبب أن الشأن . ﴿ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات . ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ انكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشراً والبشريطلق للواحد والجمع . ﴿ فَكَفَرُوا ﴾ بالرسل ﴿ وَتَوَلَّوا ﴾ عن التدبر في البينات . ﴿ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ عن كل شيء فضلا عن طاعتهم . ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن عبادتهم وغيرها . ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يدل على حمده كل مخلوق .

زعم الكافرين عدم البعث

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ﴾ الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى إلى مفعولين و قد قام مقامهما ان بما فى حيزه . ﴿ قُلْ بَلَىٰ ﴾ اى بلى تبعثون . ﴿ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ قسم اكد به الجواب (٣) . ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ بالمحاسبة والمجازاة . ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة .

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ يعني القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فمجاز عليه .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ﴾ ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر ، وقرا يعقوب نجمعكم . ﴿ لِيَوْمِ

---

(٣) هناك ثلاث آيات في القرآن امر الله تعالى رسوله ان يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده .

الأولى : في سورة يونس ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ يونس : ٥٣ .

والثانية : في سبأ : ﴿ وقال الذين كفروا لا تاتينا لساعة قل بلى وربى لتاتينكم ﴾ سبأ : ٥٣ .

والثالثة : هذه .

﴿ الْجَمْعِ ﴾لأجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين . ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس ،مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي وهو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها . ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ أي عملاً صالحًا . ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما . ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الإشارة إلى مجموع الأمرين ، ولذلك جعله الفوز العظيم لأنه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له .

الإيمان يهدى القلوب

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلا بتقديره وإرادته . ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها ، وقرئ يهد قلبه بالرفع على إقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ، ويهدأ بالهمزة اي يسكن . ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ حتي القلوب وأحوالها (٤) .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ اي فإن توليتم فلا بأس عليه إذ وظيفته التبليغ وقد بلغ .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ لأن إيمانهم بأن الكل منه يقتضى ذلك .

---

(٤) لعل هذه الآية فيها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فأولئك هم المهتدون ﴾ البقرة : ١٥٦، ١٥٧ فالاسترجاع فيه هداية ورحمة .

روى الشيخان « عجبا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وإن اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» . رواه مسلم في كتاب الزهد ـ باب : المؤمن أمره كله خير جـ ٨ ص ٢٢٧ . ورواه أحمد في مسنده جـ ٤ ص ٣٣٢ من حديث صهيب رضي الله عنه .

الآيات من ١٤ : ١٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

فتنة الزوجة والمال والولد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا . ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ولا تامنوا غوائلهم . ﴿ وَإِن تَعْفُوا ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة . ﴿ وَتَصْفَحُوا ﴾ بالإعراض وترك التثريب عليها . ﴿ وَتَغْفِرُوا ﴾ بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (٥) .

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ اختبار لكم . ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى لهم .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم . ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾

---

(٥) قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي ، شكا إلى النبى ﷺ جفاء اهله وولده فنزلت . ذكر ذلك النحاس ، وحكاه الطبري عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها في مكة إلا هؤلاء الآيات ﴿ يأيها الذين آمنوا إن من ازواجكم واولادكم عدو لكم ... ﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي . كان ذا اهل وولد ، وكان إذا اراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا : إلى من تدعنا ؟ فيرق ويقيم . فنزلت .

وروى الترمذى عن ابن عباس سببًا آخر قال : هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان يأتوا النبى ﷺ في المدينة ، فابى أزواجهم واولادهم ان يدعوهم ان يأتوا النبي ﷺ . فلما اتوا النبى ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم ، فانزل الله الآية . وقال الترمذى : حسن صحيح . تحفة الأحوذى – كتاب التفسير – تفسير سورة التغابن جـ ٩ ص ٢٢٢ .

مواعظه . ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ اوامره . ﴿ وَأَنفِقُوا ﴾ فى وجوه الخير خالصًا لوجهه . ﴿ خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ اى افعلوا ما هو خير لها ، وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر ، ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره : انفاقًا خيرًا أو خبرًا لكان مقدرًا جوابًا للأوامر (٦) ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سبق تفسيره .

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ ﴾ تصرفوا المال فيما امره . ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ مقرونًا بإخلاص وطيب قلب . ﴿ يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾ يجعل لكم بالواحد عشرًا إلى سبعمائة وأكثر ، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم . ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ببركة الإنفاق . ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴾ يعطي الجزيل بالقليل . ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعاجل بالعقوبة .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ لا يخفى عليه شيء . ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ تام القدرة والعلم .

فضل سورة التغابن

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة » (٧) والله اعلم .

وفي الرقة للولد قال النبى ﷺ : « الولد ثمرة القلوب ، وإنهم مجبنة مبخلة محزنة » ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى البزار .

(٦) قال ابن ابى حاتم في سند إلى سعيد بن جبير قال : لمانزلت آية ﴿ اتقوا لله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون ﴾ آل عمران : ١٠٢ اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فانزل الله تخفيفا على المسلمين : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فنخست الآية الأولى – تفسير ابن كثير – .

وقال القرطبي : ليس الآية الثانية ناسخة للاولي ، ولكن معنى الآية الثانية : اتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيماجعل فتنة لكم من اموالكم واولادكم حتى لا تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة . – تفسير القرطبي – .

(٧) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى ابى بن كعب رضي الله عنه .

ونقول : إن هذه السورة هي آخر المسبحات والمسبحات هي : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن . وقد سبق إيراد الحديث الذي رواه الترمذي وابو داود وأحمد وغيرهم ، وهو ان النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات ، ويقول : « فيها آية خير من الف آية » وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ، وذكره القرطبي فى كتابه « الأذكار » بتحقيقنا عن العرباض بن سارية رضى الله عنه .

(٦٥) سورة الطلاق مدنية (١)

وآياتها اثنتاعشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيتان من ١ : ٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) ﴾

من أحكام التشريع في الطلاق

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ خص النداء وعم الخطاب بالحكم لأنه امام أمته فنداؤه كندائهم (٢) ، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم . والمعنى إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه . ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ اى في وقتها وهو الطهر ، فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتاقيت ، ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات ، وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر ، وانه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء

---

(١) فى تفسير الكشاف : نزلت بعد سورة الإنسان .

وتردد المؤلف في تعداد الآيات يقطعه إيراد آيات السورة في تفسيره اثنتى عشرة آية . وهي كذلك في مختلف التفاسير والمصاحف .

(٢) عن قتادة عن انس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة ، فأتت أهلها فانزل الله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من ازواجك ونسائك في الجنة – ذكره ابن كثير في تفسيره ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم وإلى الطبرى في تفسيره جـ ٢٨ ص ٨٥ .

يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه ، إذا النهي لا يستلزم الفساد ، كيف وقد صح أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضاً أمره النبي ﷺ بالرجعة وهو سبب نزوله (٣) . ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ في تطويل العدة والإضرار بهن . ﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ ﴾ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن . ﴿ وَلا يَخْرُجْنَ ﴾باستبدادهن . أما لو اتفقا على الانتقال جاز إذ الحق لا يعدوهما ، وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله : ﴿ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ مستثنى من الأول ، والمعنى إلا أن تبذو (٤) على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاطها حقها ، أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ، أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة . ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ الإشارة إلى الأحكام المذكورة . ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ بأن عرضها للعقاب . ﴿ لا تَدْرِي ﴾ أي النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق . ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ شارفن آخر عدتهن . ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ فراجعوهن . ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بحسن عشرة وإنفاق مناسب . ﴿ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها . ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ على الرجعة أو الفرقة تبريًا عن الريبة وقطعًا للتنازع ، وهو ندب كقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ (٥) وعن الشافعي وجوبه في الرجعة . ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ أيها الشهود عند الحاجة . ﴿ لِلَّهِ ﴾ خالصًا لوجهه . ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ ﴾

---

(٣) طلاق ابن عمر زوجته أورده البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – تفسير سورة الطلاق جـ ٦ ص ١٩٣ – وفي كتاب الطلاق – أول الكتاب .

ورواه مسلم في كتاب الطلاق – باب : تحريم طلاق الحائض بغير رضاها جـ ٤ ص ١٨٠ .

(٤) تبذو : تشتم وتُقبّح من البذاء وهو الفحش والقبح .

(٥) البقرة : ٢٨٢ .

يريد الحث على الإشهاد والإقامة ، أو علي جميع ما في الاية . ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فإنه المنتفع به والمقصود بذكره .

بركة التقوى

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾

الآيات من ٣ : ٥

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)﴾

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحًا أو ضمنًا من الطلاق فى ا لحيض ، والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن ، وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل علي إقامتها بأن يجعل الله له مخرجًا مما في شأن الأزواج من المضايق والغموم ، ويرزقه فرجًا وخلفًا من وجه لم يخطر بباله . أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضارالدارين و الفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون . أو كلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين . وعنه ﷺ : «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم . ﴿ومن يتق الله﴾ فما زال يقرؤها ويعيدها»(٦) .

وروى « أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعى أسره العدو ، فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال له : « اتق الله ﷺ وأكثر قول : لا حول ولا قوةإلا بالله . ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستقاها » (٧) ، وفي رواية « رجع ومعه غنيمات ومتاع » .

---

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ، وابن ماجه وابن حيان والحاكم من حديث أبى ذر مرفوعًا وهو في مسند أحمد مطولا جـ ٥ ص ١٧٨ .

(٧) تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٨٩ ، وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى ابن جرير الطبري في تفسيره .

أثر التوكل على الله

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ كافيه . ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ، وقرأ حفص بالإضافة ، وقرئ بالغ أمره أى نافذا وبالغًا على أنه حال والخبر ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ تقديرًا أو مقدارًا ، أو آجلا لا يتاتى تغييره ، وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها، وتمهيد لما سياتى من مقاديرها (٨) .

عدة المطلقات

﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾ لكبرهن . ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ شككتم في عدتهن اي جهلتم . ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ روى انه لما نزل ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثةقروء ﴾ (٩) قيل فما عدة اللاتى لم يحضن فنزلت . ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ اي واللائى لم يحضن بعد كذلك . ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ ﴾ منتهى عدتهن . ﴿ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهم أزواجهن ، والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾ (١٠) لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم أزواجًا بالعرض ، والحكم معلل ها هنابخلافه ثمة ، ولأنه صح ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « قد حللت فتزوجي » ، ولأنه متأخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق عليه . ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ فى أحكامه فيراعى حقوقها. ﴿ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾يسهل عليه أمره ويوفقه لخير .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة مالك الأشجعي جـ ٥ ص ٤١ .

(٨) في حديث ابن عباس المشهور كفاية لمن أراد معرفة قيمة التوكل على الله وعظيم اثره :
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ركبت خلف النبى ﷺ يوما فقال لى : « يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سالت فاسال الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعوا ان ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا علي أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٢٩٣ .

(٩) البقر : ٢٢٨ . (١٠) البقرة : ٢٣٤ .

﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام . ﴿أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ فى أحكامه فيراعى حقوقها .﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات . ﴿ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ بالمضاعفة .

الآيات من ٦ : ٩

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) ﴾

سكن المطلقة ونفقتها

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم ﴾ اي مكان من مكان سكناكم . ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ من وسعكم اي مما تطيقونه ، أو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم . ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ ﴾ فى السكنى . ﴿ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ فتلجئوهن إلى الخروج . ﴿ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ فيخرجن من العدة ، وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث تؤيده . ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ بعد انقطاع علقة النكاح . ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ على الإرضاع . ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الإرضاع والأجر . ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ ﴾ تضايقتم . ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ امرأة اخرى ، وفيه معاتبة للأم على المعاسرة .

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ اى فلينفق كل من الموسروالمعسر ما بلغه وسع . ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ فإنه تعالى لا يكلف نفسًا إلاوسعها ، وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال :

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ اى عاجلاً وآجلاً .

انذار المخالفين عن أمر الله

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ اهل قرية . ﴿ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ اعرضت عنه إعراض العاتى المعاند . ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ بالاستقصاء والمناقشة . ﴿ وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ منكرا والمراد حساب الآخرة ، وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق .

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها . ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ لا ربح فيه اصلاً .

الآيات من ١٠ : ١٢

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها فى صحف الحفظة ، وبالعذاب ما اصيبوابه عاجلا . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾

﴿ رَسُولًا ﴾ يعنى بالذكرجبريل عليه السلام لكثرة ذكره ، او لنزوله بالذكر وهو القرآن ، أو لأنه مذكور في السموات أو ذا ذكر اى شرف ، او محمداً ﷺ لمواظبته على تلاوة القرآن ، أو تبليغه وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً ، أو لأنه مسبب عن إنزال الوحى إليه ، وابدل منه رسولاً للبيان او اراد به القرآن ، ورسولاً . منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكراً مصدر ورسولاً مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة . ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ

آيَات اللَّه مُبَيِّنَات ﴾ حال من اسم الله أو صفة رسولاً ، والمراد بالذين آمنوا في قوله : ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الذين آمنوا بعد إنزاله أى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من الضلالة إلى الهدى . ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون . ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ مبتدأ وخبر . ﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ اي وخلق مثلهن في العدد من الأرض (١١) وقرئ بالرفع على الابتداءوالخبر : ﴿ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ اي يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن . ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ علة لخلق أو ليتنزل ، أو مضمر يعمهما فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه .

فضل سورة الطلاق

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ » (١٢) .

---

(١١) هذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي تشير إلى ان الأرضين سبع ، وهناك حديث شريف يشير إلى ان الأرضين سبع هو « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » البخارى ــ كتاب المظالم ، باب : إثم من ظلم شيئًا من الأرض . وفي رواية : « خسف به إلى سبع أرضين » .

ومرد هذه الأرضين إلى علم الله تعالى .

(١٢) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ، وقال ابن حجر رحمه الله : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه باسانيدهم إلى أبى بن كعب رضي الله عنه .

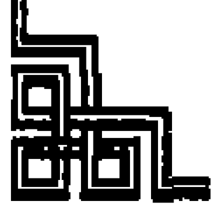
(٦٦) سورة التحريم مدنية (١)
وآياتها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) ﴾



سبب نزول السورة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في نوبة عائشة رضى الله تعالى عنها أو حفصة ، فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت .

وقيل : شرب عسلاً عند حفصة ، فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له : إنا نشمُّ منك ريح المغافير (٢) فحرم العسل فنزلت . ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف لبيان الداعي إليه . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ لك هذه الزلة فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله . ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك .

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة ، أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم : حلل في يمينه إذا استثنى فيها ، واحتج بها من رأي التحريم مطلقًا او تحريم المراة يمينًا ، وهو ضعيف إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينًا مع احتمال أنه عليه الصلاة وال سلام اتي بلفظ اليمين

---

(١) هذه السورة تسمى سورة النبى ﷺ ، نزلت بعد الحجرات .

(٢) المغافير : بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة ، واحدها : مغفور .

كما قيل . ﴿وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾ متولى أمركم . ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم . ﴿الْحَكِيمُ﴾ المتقن في افعاله وأحكامه .

التحذير من إفشاء السر

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ يعنى حفصة . ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم مارية أو العسل ، أو أن الخلافة بعده لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما . ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أى فلما أخبرت حفصة عائشة رضي الله تعالى عنهما بالحديث . ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ واطلع النبى عليه الصلاة والسلام على الحديث أى على إفشائه . ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ عرف الرسول ﷺ حفصة بعض ما فعلت . ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ عن إعلام بعض تكرمًا أو جازاها على بعض بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض ، ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فإنه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ، ويؤيد الأول قوله : ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ فإنه اوفق للإسلام .

الآيات من ٤ : ٧

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة . ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة ، وهو ميل قلوبكما (٣) عن الواجب من مخالصة رسول الله ﷺ بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه . ﴿وَإِن

---

(٣) معنى صغت في اللغة : مالت .

وقوله : صغت قلوبكما بالجمع ، ولم يقل قلباكما لانه من شان العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما . ذكر ذلك القرطبي في تفسيره .

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ وان تتظاهرا عليه بما يسوءه ، وقرأ الكوفيون بالتخفيف . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فلن يعدم من يظاهره الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ، ومن صلح من المؤمنين أتباعه واعوانه . ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ متظاهرون ، وتخصيص جبريل عليه السلام لتعظيمه ، والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالإضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله تعالى به (٤) .

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ على التغليب ، أو تعميم الخطاب ، وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن لأن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه ، وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتخفيف . ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ ﴾ مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات . ﴿ قَانِتَاتٍ ﴾ مصليات أومواظبات على الطاعات . ﴿ تَائِبَاتٍ ﴾ عن الذنوب . ﴿ عَابِدَاتٍ ﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام . ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسبح بالنهار بلا زاد ، أو مهاجرات . ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار .

أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم النار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات . ﴿ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ بالنصح والتأديب ، وقرئ واهلوكم عطف على واوقوا ، فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين . ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ناراً تتقد بهما اتقاد غيرها

---

(٤) هذه الآية مما وافقه فيه قول عمر رضي الله عنه القرآن ، وكان عمر رضي الله عنه قد قال للنبي ﷺ في أثناء غضبه على زوجاته واعتزاله لهن : يا رسول الله إن كنت قد طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وأبو بكر والمؤمنون معك . فنزلت الآية تصديقا لما قال عمر .

روى مسلم الحديث بتمامه في صحيحه في كتاب الطلاق – باب فى الإيلاء جـ ٤ ص١٨٨ .

وذكره ابن كثير في تفسيره نقلا عنه .

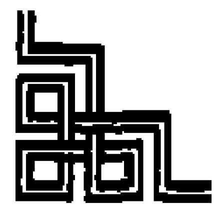
بالحطب . ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ ﴾ تلى أمرها وهم الزبانية . ﴿ غِلاظٌ شِدادٌ ﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال ، أوغلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة . ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ فيما مضى . ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فيما يستقبل ، أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به .

لا عذر للكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار ، والنهى عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم .

الآيات من ٨ : ١٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾



التوبة النصوح

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة ، وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة في النصاحة ، وهي الخياطة كأنها تنصح ماخرق الذنب . وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور ، أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح

نصوحًا ، أو توبوا نصوحًا لانفسكم .

وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال : يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم ، والعزم على أن لا تعود ، وأن تربى نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية (٥) .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك ، وإشعاراً بأنه تفضل والتوبة غيرموجبة وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء .﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ ظرف ليدخلكم – ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ عطف على النبى ﷺ احماداً لهم وتعريضاً لمن ناواهم ، وقيل مبتداخبره ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ اى على الصراط. ﴿ يَقُولُونَ ﴾ إذا طفئ نور المنافقين . ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقيل : تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً .

---

(٥) مما ذكره العلماء فى معنى التوبة النصوح :

التوبة النصوح التي لا يحتاج معها إلى توبة .

وقيل : التوبة النصوح هي الندم بالقلب ، و الاستغفار باللسان ، والإقلاع عن الذنب ، والاطمئنان على ان لا يعود .

وقال سعيد بن جبير : هي التوبة المقبولة ، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط : خوف الا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعات .

وقال القرطبي : التوبة النصوح يجمعها أربعة اشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيىء الخلق .

وقال سفيان الثوري : علامة التوبة النصوح اربعة : القلة والعلة والذلة والغربة – نقول : كانه يعنى قلة الكلام ، والشعور بالمرض ، والشعور بانه ذليل امام ربه ، وبانه غريب بين قوم مقيمين .

وقال الفضيل بن عياض في معناها : ان يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كانه ينظر إليه نحوه.

وقال ابو بكرالدقاق المصري : التوبة النصوح هي رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدوام الطاعات . – راجع تفسير القرطبي –.

من أمثلة الكافرين

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ بالسيف ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ بالحجة . ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرفق مداه . ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ جهنم أو مأواهم .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ مثل الله تعالى حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما . ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾ يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام . ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بالنفاق . ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيئًا إغناء ما . ﴿ وَقِيلَ ﴾ اي لهما عند موتهما أو يوم القيامة . ﴿ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام .

من أمثلة المؤمنين

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسيا رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت اعدى اعداء الله . ﴿ إِذْ قَالَتْ ﴾ ظرف للمثل المحذوف . ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ قريبًا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين . ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيء . ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ من القبط التابعين له في الظلم .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل . ﴿ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ من الرجال . ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾ في فرجها (٧) وقرئ فيها اي في مريم أو في الجمة . ﴿ مِن رُّوحِنَا ﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصل . ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ بصحفه المنزلة أوبما أوحى إلى أنبيائه . ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ وما كتب في اللوح المحفوظ . أو

---

(٧) المقصود بالفرج الجيب ، وكل خرق في الثوب يسمى جيبًا ، ومنه قوله تعالى في سورة (ق) ومالها من فروج اى خروق .

جنس الكتب المنزلة وتدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع ، وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى عليه السلام والإنجيل . ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ من عداد المواظبين على الطاعة ، والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم ، أو من نسلهم فتكون من ابتدائية . عن النبي ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بن خويلد ، وفاطمة بنت محمد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (٨) .

فضل سورة التحريم

وعنه عليه الصلاة والسلام « من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحًا » (٩) .

(٨) رواه السيوطي في الجامع الصغير جـ ٢ ط ١٠ وقال : رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري ، ورمز له السيوطي بالصحة والحسن .

(٩) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسنادهما إلى أبي بن كعب .

(٦٧) الملك مكية (١)

وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٣

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ﴾

الحكمة من خلق الموت و الحياة

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها . ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ على كل ما يشاء قدير .

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ قدرهما او أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره ، وقدم الموت لقوله ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾ ولأنه أدعى إلى حسن العمل. ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون . ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ اصوبه واخلصه ، وجاء مرفوعًا : احسن عقلاً وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع في طاعته ، جملة واقعة موقع المفعول ثانيًا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم ، وليس هذا من

---

(١) جاء فى تفسير القرطبي : تسمى الواقية والمنجية ، وروي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : ضرب رجل من اصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة « الملك » حتى ختمها ، فاتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وانا لا احسب انه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرا سورة الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ : « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » قال الترمذى : حديث حسن غريب .

والحديث في تحفة الأحوذي – أبواب فضائل القرآن – باب : ما جاء في سورة الملك جـ٨ ص ٢٠٠ برقم ٣٠٥٣.

باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً لما لا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل . ﴿ الْغَفُورُ ﴾ لمن تاب منهم .

من مظاهر قدرة الله أيضاً

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ مطابقة بعضها فوق بعض ، مصدر طابقت النعل إذا خلطتها طبقًا على طبق وصف به ، أو طوبقت طباقًا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال ، أو طبقة كرحبة ورحاب . ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد ، وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر ، والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للدلالة على التعظيم ، والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً ، وأن في إبداعها نعماً جليلة لا تحصى ، والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله : ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ متعلق به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخري متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها ، والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه .

الآيات من ٤ : ١٠

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ اى رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ، ولذلك اجاب الأمر بقوله : ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ بعيدا عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار . ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة .

الكواكب وأهميتها

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ﴾ أقرب السموات إلى الأرض . ﴿ بِمَصَابِيحَ ﴾ بالكواكب المضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ، والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها فيها . ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ وجعلنا لها فائدة أخري وهي رجم أعدائكم . والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها . وقيل معناه وجعلناها رجومًا وظنونًا لشياطين الإنس وهم المنجمون . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا .

جهنم للكافرين وندمهم على كفرهم

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ من الشياطين وغيرهم . ﴿ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير .

﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ صوتًا كصوت الحمير . ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ تغلى بهم غليان المرجل بما فيه .

الآيات من ٨ : ١٨

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ
﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ
فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن
رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ تتفرق غيظًا عليهم ، وهو تمثيل لشدة اشتعالهم بهم ، ويجوز أن يراد غيظ الزبانية . ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ جماعة من الكفرة . ﴿ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت .

﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ اي فكذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب حتي نفينا الإنزال والإرسال رأسًا ، وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال ، فالنذير إما بمعني الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف اي أهل إنذار ، أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولأمثاله علي التغليب ، أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل ، أو على ان المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضللناهم ، ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا ، أو عقابه الذي يكونون فيه .

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات . ﴿ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين . ﴿ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ في عدادهم ومن جملتهم .

﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ حين لا ينفعهم ، والاعتراف إقرار عن معرفة ، والذنب لم يجمع لانه في الأصل مصدر ، أو المراد به الكفر . ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فاسحقهم الله سحقا أبعدهم من رحمته ، والتغيب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرا الكسائي بالتثقيل .

الجنة للمتقين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ يخافون عذابه غائبًا عنهم لم يعاينوه بعد ، أو غائبين عنه أو عن أعين الناس ، أو بالمخفي منهم وهو قلوبهم . ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم . ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ تصغر دونه لذائذ الدنيا .

علم الله المحيط بكل شيء

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرًا أو جهرًا .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ الا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته . ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ، أو الا

يعلم الله من خلقه ، وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى أن يكون من مفعولا ليعلم . روى : أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء ، فيخبر الله بها رسوله فيقولون : أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنبه الله على جهلهم .

السعي في سبيل الرزق

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ لينة يسهل لكم السلوك فيها . ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ فى جوانبها أو جبالها ، وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له ، فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل . ﴿ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ والتمسوا من نعم الله . ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم .

لا أمان من غضب الله على المكذبين

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم ، أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره أو قضاؤه ، أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه تعالى فى السماء ، وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الأولى واوا لانضمام ما قبلها ، وآمنتم بقلب الثانية ألفا ، وهو قراءة نافع وأبي عمرو ورويس . ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال . ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ تضطرب ، والمور التردد في المجيء والذهاب .

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ اي يمطر عليكم حصباء . ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ كيف إنذارى إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ .

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكارى عليهم بإنزال العذاب ، وهو تسلية للرسول ﷺ وتهديد لقومه المشركين .

الآيات من ١٩ : ٢٦

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ

إلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)
أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ
الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ
الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
(٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) ﴾

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها، فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها . ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطارئ عليه . ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ في الجو على خلاف الطبع . ﴿ إِلاَّ الرَّحْمَنُ ﴾ الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هياتهن للجرى في الهواء . ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب .

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ عديل لقوله أو لم يروا علي معنى أو لم تنظروا في أمثال هذه الصنائع ، فلم تعلموا قدرتنا علي تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب ، ام لكم جند ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه فهو كقوله ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾[٢] إلا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعاراً بأنهم اعتقدوا هذا القسم ، ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه . ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴾ لا معتمد لهم .

ولا رازق إلا الله

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ﴾ ام من يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم . ﴿ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ بإمساك المطر وسائر الأسباب المحلصة والموصلة له إليكم . ﴿ بَل لَّجُّوا ﴾ تمادوا . ﴿ فِي عُتُوٍّ ﴾ عناد . ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه .

---

(٢) الأنبياء : ٤٣ .

مثل للمستقيم والمنحرف عن الطريق المستقيم

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ ﴾ يقال كببته فأكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع ، والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع ، وليس مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ، ومعنى مكبًا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ، ولذلك قابله بقوله :﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ قائمًا سالمًا من العثار . ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾مستوى الأجزاء والجهة ، والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدِّينَيْن بالمسلَكَين، ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقًا ، كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو . وقيل المراد بالمكب الأعمى فإنه يتعسف فينكب وبالسوى البصير ، وقيل من يمشى مكبًا هو الذى يحشر علي وجهه إلى النار ومن يمشى سويًا الذى يحشر على قدميه إلى الجنة (٣) .

منّة الله على عباده

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ ﴾ لتسمعوا المواعظ . ﴿ وَالْأَبْصَارَ ﴾ لتنظروا صنائعه . ﴿ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ لتتفكروا وتعتبروا . ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجلها .

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ للجزاء.

استبعاد المكذبين للبعث

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ أى الحشر أو ما وعدوا به من الخسف والحاصب . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعنون النبى ﷺ والمؤمنين.

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ ﴾ اى علم وقته . ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾ لا يطلع عليه غيره . ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ والإنذار يكفى فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه .

---

(٣) قال العلماء : هذا مثل ضربه الله للضالين والمتقين .

قال ابن عباس والكلبي : عنى بالمكب علي وجهه ابا جهل وبالذى يمشى سويا رسول الله ﷺ ، وقيل : ابو بكر ، وقيل : حمزة ، وقيل : عمار بن ياسر .

وقيل : هذا قول عام في كل كافر ومؤمن ، اي ان الكافر لا يدري أعلي حق هو أم على باطل ؟ – تفسير القرطبي –

الآيات من ٢٧ : ٣٠

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ اى الوعد فإنه بمعنى الموعود . ﴿ زُلْفَةً ﴾ ذا زلفة اى قرب منهم . ﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب . ﴿ وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء ، أو تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى .

تمنى الكفار موت الرسول والرد عليهم

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ ﴾ اماتنى . ﴿ وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين . ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ بتاخير آجالنا . ﴿ فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا أو بقينا ، وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون .

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ الذي ادعوكم إليه مولى النعم كلها . ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ للعلم بذلك ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ للوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع ، وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به . ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ منا ومنكم ، وقرأ الكسائى بالياء .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائرًا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به . ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ جار أو ظاهر سهل المأخذ .

فضل سورة الملك

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر » (٤) .

---

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبى بن كعب رضي الله عنه .

وورد في فضلها غير هذا آثار أخري منها ما ذكرنا في التعليق رقم (١) ، ومنها قوله ﷺ

. . . .

فيما روي عن ابن عباس : « وددت أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن » – ذكره الثعلبي – .

وعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « إن سورة في كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك .

رواه الترمذى في ثواب القرآن – باب : ما جاء في فضل سورة الملك وقال : حديث حسن وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا وضع الميت في قبره ، فيؤتي من قبل رجليه فيقال : ليس لكم عليه سبيل ، فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ، ثم يؤتي من قبل راسه فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل فإنه كان يقرأ سورة الملك ، ثم قال : هي المانعة من عذاب الله . – كتاب التذكار في افضل الأذكار للقرطبي بتحقيقنا .

وفي التوراة : سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب – رواه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٤٩٨ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، وابن الضريس والبيهقى .

وروي أنه من قرأها في كل ليلة لم يضره الفتّان – التذكار للقرطبي –

وروى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتي يقرأ ﴿ الم تنزيل ﴾ و ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ وقال ليث عن طاووس : يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة – تفسير ابن كثير ، وهو في تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٢٠١ .

(٦٨) سورة القلم مكية (١)
وآياتها ثنتان وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم
الايات من ١ : ٩

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) ﴾

قسم وجوابه

﴿ نٓ ﴾ من أسماء الحروف ، وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من النِّقْس(٢) يكتب به ، ويؤيد الأول سكونه وكتبه بصورة الحرف . ﴿ القَلَم ﴾ وهو الذي خط اللوح (٣) ، أو الذي يخط به أقسم به تعالي لكثرة فوائده ، وأخفي ابن

(١) في الكشاف : نزلت بعد العلق .

وفي تفسير القرطبي : هي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة: من أولها إلى قوله تعالى ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ الآية رقم ١٦ مكي ، ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿ أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ الآية رقم ٣٣ مدني ، ومن بعد ذلك إلى قوله ﴿ يكتبون ﴾ الآية رقم ٤٧ مكي ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى ﴿ من الصالحين ﴾ الآية ٥٠ مدنى ، وما بقي مكي . قاله الماوردي .

(٢) النِّقس – بكسر النون وسكون القاف – المداد – لسان العرب – .

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما خلق الله القلم . قال : اكتب . قال : وما اكتب ؟ قال : اكتب القدر ، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة ، وفي رواية عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما خلق الله القلم ، ثم خلق النون وهي الدواة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ن والقلم ﴾ ثم قال له : اكتب قال : وما أكتب ؟ قال : ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر ، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، ثم خلق العقل ، فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب إلى منك ، وعزتي

عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجري المتصل ، فإن النون الساكنة تخفي مع حروف الفم إذا اتصلت بها . وقد روي ذلك عن نافع وعاصم ، وقرئت بالفتح وبالكسر كص . ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وما يكتبون والضمير للقلم بالمعني الأول علي التعظيم ، أو بالمعني الثاني علي إرادة الجنس وإسناد الفعل إلي الآلة وإجراؤه مجري أولي العلم لإقامته مقامهم ، أو لأصحابه أو للحفظة وما مصدرية أو موصولة .

﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ جواب القسم والمعني ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي ، والعامل في الحال معني النفي وقيل : بمجنون الباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة ، وفيه نظر من حيث المعني .

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا ﴾ علي الاحتمال والإبلاغ . ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالي يعطيك بلا توسط .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ إذ تتحمل من قومك ما لا يتحمل أمثالك ، «وسئلت عائشة رضي الله تعالي عنها عن خلقه صلي الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن ، ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون » (٤)

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾

﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة ، أو بأيكم الجنون علي أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود ، أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين ، اي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم ؟

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ وهم المجانين علي الحقيقة . ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الفائزين بكمال العقل .

وجلالي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن أبغضت » قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « أكمل الناس عقلاً أطوعهم لله وأعملهم بطاعته » .

(٤) أخرجه مسلم من رواية زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عنه .

وهو في صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً جـ ٧ ص ٧٣ .

ورواه البخاري في كتاب المناقب جـ٤ ص ٢٣٠ ، وهو في مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٠٧ و ص ٢٠٠ .

النهي عن طاعة المكذبين والكذابين

﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ تهيج للتصميم علي معاصاتهم .

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ ﴾ تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك ، او توافقهم فيه أحيانا . ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ فيلا ينونك بترك الطعن والموافقة ، والفاء للعطف أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتي تدهن ، أو للسببية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ ، او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا علي أنه جواب التمني . (٥)

الآيات من ١٠ : ٢٠

﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾

﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل . ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة .

﴿ هَمَّازٍ ﴾ عياب ﴿ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ نقال للحديث علي وجه السعاية . ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإيقان والعمل الصالح . ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ متجاوز في الظلم . ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الآثام .

﴿ عُتُلٍّ ﴾ جاف غليظ من عَتَلَه إذا قاده بعنف وغلظة . ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ بعدما عد من مثالبه . ﴿ زَنِيمٍ ﴾ دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها ، وقيل : هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده . وقيل : الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زُهْرَه .

---

(٥) قال القرطبي : نزلت في مشركى قريش حين دعوه إلى دين آبائه ، وهو في تفسير القرطبي حـ ٢٩ ص ١٤ منسوبا إلى مجاهد .

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ قال ذلك حينئذ لأنه كان متمولاً مستظهراً بالبنين من فرط غروره ، لكن العامل مدلول قال لانفسه ، لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ، ويجوز أن يكون علة للاتطع اى لا تطع من هذه مثاله لأن كان ذا مال. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ان كان علي الاستفهام ، غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أى الآن كان ذا مال كذب ، أو أتطيعه لأن كان ذا مال . وقرئ ان كان بالكسر علي أن شرط الغني في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد ، أو ان شرطه للمخاطب اى لا تطعه شارطا يساره لأنه إذا أطاع للغني فكأنه شرطه في الطاعة .

﴿ سَنَسِمُهُ ﴾ بالكي ﴿ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ علي الانف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره ، وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقوله : جدع أنفه، رغم أنفه ، لأن السمة علي الوجه سيما علي الأنف شين ظاهر أو نُسَوِّدُ وجهه يوم القيامة (٦) .

قصة أصحاب الجنة

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ بلونا أهل مكة شرفها الله تعالي بالقحط . ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين ، وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصِّرام (٧) ويترك لهم ما أخطأه المنجل والقته الريح ، أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير ، فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق علينا الأمر ، فحلفوا ليصرمنها وقت الصبح خفية عن المساكين كما قال : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ ليقطعنها داخلين في الصباح ﴿ وَلَا

(٦) من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقابا ثم أحقابا ، ثم يموت والله عليه راض ، ومن مات همازا لمازا ملقيا للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله علي الخرطوم من كلا الشفتين » ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى ابن أبي حاتم . ورواه السيوطي في الدر المنثور جـ ٦ ص ٢٨٠ وفيه : « من كلا الشدقين » .

(٧) الصِّرام : قطع الثمار .

يَسْتَثْنُونَ ﴾ ولا يقولون إن شاء الله ، وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه ، او لان معني لأخرج إن شاء الله ولا أخرج إلي ان يشاء الله واحد ، او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ علي الجنة . ﴿ طَائِفٌ ﴾ بلاء طائف ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ مبتدأ منه . ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ كالبستان الذي صُرِمَ ثماره بحيث لم يبق فيه شئ . فعيل بمعني مفعول ، او كالليل باحتراقها واسودادها ، أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمل .

الآيات من ٢١ : ٣٠

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) ﴾

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ .

﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ ان اخرجوا او بان اخرجوا إليه غدوة، وتعدية الفعل بعلي إما لتضمنه معني الإقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعني الاستيلاء . ﴿ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ قاطعين له .

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعني الكتم ، ومنه الخفدود للخفاش .

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ ان مفسرة وقرئ بطرحها علي إضمار القول ، والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم: لا أرينك ها هنا .

﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ وغدوا قادرين علي نكد لا غير ، من حاردت السنة إذ لم يكن فيها مطر ، وحاردت الإبل إذا منعت دَرَّها . والمعني انهم عزموا ان يتنكدوا

علي المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون إلا علي النكد ، أو غدوا حاصلين علي النكد والحرمان مكان كونهم قادرين علي الانتفاع . وقيل الحرد بمعني الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا إلا علي حنق لبعض كقوله ﴿ يتلاومون ﴾ وقيل : الحرد : والقصد والسرعة قال :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ   يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةِ (٨)

﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ اى غدوا قاصدين إلي جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم علي صرامها . وقيل علم للجنة .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ اول ما راوها .﴿ قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ طريق جنتنا وما هي بها .

﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ أى بعد ما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن ﴿ مَحْرُومُونَ ﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا علي أنفسنا .

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ رأيا ، أو سنًا . ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم ، وقد قاله حينما عزموا علي ذلك ويدل علي هذا المعني .

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ اي لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم ، أو لأنه تنزيه علي أن يجري في ملكه ما لا يريده .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾ يلوم بعضهم بعضا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ، ومنهم من سكت راضيا ، ومنهم من أنكره .

الآيات من ٣١ : ٤١

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

---

(٨) ذكره الكشاف دون إسناد إلى قائل وكذلك لم ينسبه المرزوقي في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف .

والشاعر يصف سيلا بالكثرة ولذلك قال من عند الله – ويقرأ لفظ الجلالة بالقصر للوزن .

وحرد في البيت بمعنى قصد وأسرع ، اي يسرع إسراع الجنة – وهي البستان – المغلة أي كثيرة الخير والثمر .

عندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) ﴾

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ متجاوزين حدود الله تعالى .

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة . وقد روي أنهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف . ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ راجون العفو طالبون الخير وإلي لانتهاء الرغبة ، أو لتضمنها معني الرجوع .

في هذه القصة عبرة لمن يعتبر

﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا . ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أعظم منه . ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم إلي العذاب .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ اى في الآخرة ، او في جوار القدس . ﴿ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص .

مزاعم باطلة للكفار

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ إنكار لقول الكفرة ، فإنهم كانوا يقولون : إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا .

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له ، وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي .

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ ﴾ من السماء ﴿ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ تقرءون .

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ إن لكم ما تختارونه وتشتهونه ، وأصله ان لكم بالفتح لأنه المدروس فلما جئ باللام كسرت ، ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخير الشئ واختاره أخذ خيره .

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا ﴾ عهود مؤكدة بالإيمان . ﴿ بَالِغَةٌ ﴾ متناهية في التوكيد ،

وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين . ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ متعلق بالمقدر في لكم اى ثابتة لكم علينا إلي يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتي نحكمكم في ذلك اليوم ، او ببالغة اى أيمان تبلغ ذلك اليوم . ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ جواب القسم لأن معني أم لكم ايمان علينا أم اقسمنا لكم .

﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ يشاركونهم في هذا القول . ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في دعواهم إذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالي في هذه الآيات علي نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه الاستحقاق او وعد او محض تقليد ، علي الترتيب تنبيها علي مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له . وقيل : المعني أم لهم شركا ءيعني الأصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفي ان تكون التسوية من الله تعالي نفي بهذا ان تكون مما يشاركون الله به .

الآيات من ٤٢ : ٤٨

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) ﴾

حال الكفار يوم القيامة

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك ، وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم .

أخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّهَا ... وإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا(٩)

---

(٩) هذا البيت لجرير بن عطية الشاعر الإسلامى الأموى ، وعض الحرب له وعضه لها كناية عن شدة الحرب وشدة صمودها فيها وقوة بأسه على أعدائه .

وتشمير الحرب عن ساقها تعبير مجازي أيضاً عن قوة الحرب وشدتها .

أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان ، وتنكيره للتهويل أو للتعظيم . وقرئ تكشف وتكشف بالتاء علي بناء الفاعل أو المفعول والفعل للساعة أو الحال . ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ توبيخا علي تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة ، أو يدعون إلي الصلوات لأوقاتها إن كان وقت النزع ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه .

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ تلحقهم ذلة . ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ في الدنيا أو زمان الصحة . ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ متمكنون منه مزاحو العلل فيه .

تهديد للكفار

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ كله إليّ فإني اكفيكه . ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ سندنيهم من العذاب درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة . ﴿ مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم حسبوه تفضيلا لهم علي المؤمنين .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ وامهلهم . ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ لايدفع بشئ وإنما سمي إنعامه استدراجا بالكيد لأنه في صورته .

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾ علي الإرشاد . ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ من غرامة ﴿ مُّثْقَلُونَ ﴾ بحملها فيعرضون عنك .

﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ اللوح أو المغيبات . ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك .

حث للنبي ﷺ علي الصبر

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم . ﴿ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يونس عليه الصلاة والسلام . ﴿ إِذْ نَادَى ﴾ في بطن الحوت . ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ مملوء غيظا من الضجرة فتبتلي ببلائه .

الآيات من ٤٩ : ٥٢

﴿ لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل ، وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه علي حكاية الحال الماضية بمعني لولا ان كان يقال فيه تتداركه . ﴿ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ ﴾ بالأرض الخالية عن الأشجار . ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ .

﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ بان رد الوحي إليه ، أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ من الكاملين في الصلاح بان عصمه من أن يفعل ما تركه أولي ، وفيه دليل علي خلق الأفعال والآية نزلت حين هم رسول الله ﷺ أن يدعو علي ثقيف ، وقيل بأحد حين حل به ما حل فاراد أن يدعو علي المنهزمين .

حسد الكفار للنبي علي نزول القرآن عليه

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ إن هي المخففة واللام دليلها والمعني : إنهم لشدة عدواتهم ينظرون إليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ، أو يهلكونك من قولهم نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني ، أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله ، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين . إذ روي أنه كان في بني أسد عيَّانون ، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ فنزلت . وفي الحديث «**إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر**» (١٠) ولعله يكون من خصائص بعض النفوس . وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق

---

(١٠) رواه ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى البزار من حديث جابر رضى الله عنه – وفى التوقى من الحسد ذكر ابن كثير الحديث الآتي :

« عن على رضي الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فوافقه مغتما ، فقال : يا محمد : ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين اصابتهما عين » قال : صدّق بالعين فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « ما هن يا جبريل ؟ » قال : اللهم ذا السلطان العظيم ، ذا المن القديم ، ذا الوجه الكريم ، وليّ الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس ، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي ﷺ « عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم

كحزنته فحزن ، وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك . ﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم .﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ حيرة فى امره وتنفيرا عنه .

﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ لما جننوه لأجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلا وأميزهم رأيا .

فضل سورة القلم

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم**»(١١)

بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » – تفسير ابن كثير جـ ٨ ص ٥٣٣ وعزاه إلى ابن عساكر في تاريخه.

(١١) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في سند إلى أبى بن كعب رضي الله عنه .

(٦٩) سورة الحاقة مكية (١)

وآياتها ثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٨

﴿ الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ⑧ ﴾

من أسماء يوم القيامة الحاقة والقارعة

﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها ، أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف حقيقتها ، أو تقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء علي الإسناد المجازي ، وهي مبتدأ خبرها .

﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ وأصله ما هي؟ أي : اى شئ هي ؟ علي التعظيم لشانها والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ وأي شئ أعلمك ما هي ، اي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد ، وما مبتدأ وأدراك خبره .

هلاك المكذبين بالقيامة

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ بالحالة التي تقرع فيها الناس بالإفزاع والإجرام بالانفطار والانتشار ، وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها .

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة ، أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة ، أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره علي أنها مصدر

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الملك .

وفى تفسير القرطبي : مكية في قول الجميع وهي إحدى وخمسون آية .

كالعاقبة وهو لا يطابق قوله :

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر. ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ شديدة العصف كأنها عتت علي خزانها فلم يستطيعوا ضبطها ، أو علي عاد فلم يقدروا علي ردها .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ سلطها عليهم بقدرته ، وهو استئناف أو صفة جئ به لنفي ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية ، إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ متتابعات جمع حاسم من حَسَمْت الدابة إذا تابعتَ ، بين كَيِّها ، اونحسات حَسَمَتْ كلَّ خير واستأصلته ، أو قاطعات قطعت دابرهم ، ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا علي العلة بمعني قطعا ، أو المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ، ويؤيده القراءة بالفتح ، وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلي غروب الأربعاء الآخر ، وإنما سميت عجوزا لأنها عَجُز (٢) الشتاء، أو لأن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها (٣) .﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ ﴾ إن كنت حاضرهم ﴿ فِيهَا ﴾ في مهابها او في الليالي والأيام . ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ موتي جمع صريع . ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ ﴾ أصول نخل . ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ متاكلة الأجواف (٤) .

﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ من بقية او نفس باقية ، او بقاء .

الآيات من ٩ : ١٦

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا

---

(٢) عَجز : آخر الشتاء . قال القرطبي : سميت أيام العجوز لأنها وقعت في عجز الشتاء وهي في آذار من اشهر السريانيين ، ولها أسامٍ مشهورة وهي أيام ذات برد وريح شديدة .

(٣) قال ابن كثير في تفسيره : حكاه البغوى .

(٤) قال ابن عباس : خاوية : خربة ، وقال غيره : بالية

أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على ام رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان .

أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ ﴾ ومن تقدمه ، وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ، ويدل عليه أنه قرئ ومن معه ، ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾ قري قوم لوط والمراد اهلها ، ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ بالخطأ او بالفعلة، او الافعال ذات الخطأ .

﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ اى فعصت كل امة رسولها، ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح .

نجاة المؤمنين من قوم نوح بالسفينة

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴾ جاوز حده المعتاد، أو طغي علي خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله. ﴿ حَمَلْنَاكُمْ ﴾ اي آباءكم وأنتم في أصلابهم .﴿ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام .

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ ﴾ لنجعل الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين، ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ عبرة ودلالة علي قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته ﴿ وَتَعِيَهَا ﴾ وتحفظها ، وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيهاً بكتف ، والوعى أن تحفظ الشئ في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غيرك ، ﴿ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه ، والتنكير للدلالة علي قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لإنجاء الجم الغفير وإدامة نسلهم، وقرأ نافع أذن بالتخفيف (٥)

---

(٥) روي القرطبي في تفسيره : عن مكحول الدمشقى ان النبى ﷺ قال عند نزول « وتعيها اذن واعية » : « سالت ربي ان يجعلها اذن علي » قال مكحول : فكان علي رضي الله عنه يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا فنسيته – إلا وحفظته – .

وفي رواية للثعلبي : لما نزلت ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ قال النبى ﷺ ﴿سالت ربى أن يجعلها اذنك يا علي ﴾ قال على : فوالله ما نسيت شيئًا بعد ، وما كان لي ان أنسى .

وقال أبو برزة الأسلمي : قال النبى ﷺ : « يا على إن الله امرني ان أدنيك ولا أقصيك ، وان أعلمك وأن تعى ، وحق على الله أن تعى » .

من أهوال القيامة

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها علي مكانها عاد إلي شرحها وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل ، وقرئ نفخة بالنصب علي إسناد الفعل إلي الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولي التي عندها خراب العالم .

﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة، أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة . ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء، أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا عوج فيها ولا أمتا لأن الدك سبب للتسوية، ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لاسنام لها، وأرض دكاء للمتسعة المستوية.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ فحينئذ ﴿ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة .

﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ لنزول الملائكة .﴿ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ ضعيفة مسترخية .

الآيات من ١٧ : ٣٠

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ﴾ .

﴿ وَالْمَلَكُ ﴾ والجنس المتعارف بالملك. ﴿ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ جوانبها جمع رَجَا بالقصر ، ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافه وحواليها ، وإن كان علي ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك . ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴾ فوق الملائكة الذين هم علي الأرجاء، أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم . ﴿ يَوْمَئِذٍ

ثَمَانِيَةٌ ﴾ أملاك ، لما روي مرفوعا «**أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين**» (٦) وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم إلا الله (٧) ولعله أيضاً تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم علي الناس للقضاء العام وعلي هذا قال :

﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ** ﴾ تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم ، وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفاً للكل .﴿ **لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ سريرة علي الله تعالي حتي يكون العرض للاطلاع عليها، وإنما المراد منه إفشاء الحال والمبالغة في العدل، أو على الناس كما قال الله تعالي ﴿ **يوم تبلي السرائر** ﴾(٨) وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل.

أهل اليمين

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** ﴾ تفصيل للعرض. ﴿ **فَيَقُولُ** ﴾ تبجحا . ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ هاء اسم لخذ (٩) وفيه لغات أجودها هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو يا امرأتان، وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة، ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرءوا لأنه أقرب العاملين، ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرءوا إذ الأولى إضمار حيث أمكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبيت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الإمام ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل .

---

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره ، وعزاه إلى الثعلبي ، وخرجه الماوردي عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٧) روى ذلك عن الشعبي والضحاك وابن جريج ، ورواه السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٨) الطارق : ٩ .

(٩) هاؤم : اسم فعل أمر بمعنى خذوا ، وقيل : بمعنى تعالوا ، وقال مقاتل : معناه هَلُمَّ .
والذي يؤيد أنه بمعنى خذوا حديث الربا « الا هاء وهاء » اي يقول كل واحد لصاحبه : خُذ :

﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي علمت ، ولعله عبر عنه بالظن ، إشعارا بأنه لايقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لاتنفك عنها العلوم النظرية غالباً .

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ ذات رضا علي النسبة بالصيغة . او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم .

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ مرتفعة المكان لأنها في السماء ، او الدرجات او الأبنية والأشجار .

﴿ قُطُوفُهَا ﴾ جمع قطف وهو ما يجتني بسرعة والقطف بالفتح المصدر، ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ يتناولها القاعد .

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ بإضمار القول وجمع الضمير للمعني . ﴿ هَنِيئًا ﴾ أكلا وشربا هنيئاً او هنئتم هنيئاً . ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ﴾ بما قدمتم من الاعمال الصالحة . ﴿ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ الماضية من أيام الدنيا .

أهل الشمال

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ ﴾ لما يري من قبح العمل وسوء العاقبة . ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ .

﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾

﴿ يَا لَيْتَهَا ﴾ ياليت الموتة التي متها . ﴿ كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، أو ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها، أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حياً .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف، أو استفهام إنكار مفعول لأغني .

﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ ملكي وتسلطي علي الناس ، أو حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا ، وقرأ حمزة عني مالي عني سلطاني بحذف الهاءين في الوصل والباقون بإثباتها في الحالين .

﴿ خُذُوهُ ﴾ يقوله الله تعالي لخزنة النار . ﴿ فَغُلُّوهُ ﴾ .

الآيات من ٣١ : ٤١

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١)﴾

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم ، وهي النار العظمي لانه كان يتعظم علي الناس .

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ اي طويلة . ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ فادخلوه فيها بأن تلفوها علي جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر علي الحركة ، وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم ، للدلالة علي التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به ، وثم لتفاوت ما بينها في الشدة .

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ تعليل علي طريقة الاستئناف للمبالغة ، وذكر العظيم للإشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك .

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا يحث علي بذل طعامه أو علي إطعامه فضلا عن أن يبذل من ماله ، ويجوز ان يكون ذكر الحض للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل . وفيه دليل علي تكليف الكفار بالفروع ، ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله تعالي واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب .

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب يحميه .

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ غسالة اهل النار وصديدهم ، فعلين من الغسل .

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ اصحاب الخطايا من خطئ الرجل إذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب ، وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها .

قسم علي نزول القرآن من عند الله وليس شعرا أو كهانة

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم ، أو فاقسم ولا مزيدة أو

فلا رد لإنكارهم البعث واقسم مستانف . ﴿ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴾ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها .

﴿ إِنَّهُ ﴾ إن القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ يبلغه عن الله تعالي فإن الرسول لا يقول عن نفسه . ﴿ كَرِيمٍ ﴾ علي الله تعالي وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام .

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ كما تزعمون تارة . ﴿ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم .

الآيات من ٤٢ : ٥٢

﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾

﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ كما تدعون اخري . ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ تذكرون تذكرا قليلا ، فلذلك يلتبس الأمر عليكم وذكر الإيمان مع نفي الشاعرية وللتذكر مع نفي الكاهنية ، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة ، فإنها تتوقف علي تذكر أحوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم . وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما .

﴿ تَنزِيلٌ ﴾ هو تنزيل . ﴿ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ نزله علي لسان جبريل عليه السلام.

عقوبة المتقول علي الله

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾ سمي الافتراء تقولا لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالأضاحيك .

﴿ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ بيمينه (١٠) .

---

(١٠) في تفسير القرطبي : باليمين أي بالقوة والقدرة ومنه قول الشماخ في عرابة الأوسي الأنصاري :

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

أي تلقاها بالقوة.

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ أي نياط قلبه بضرب عنقه ، وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه ، وهو أن يأخذ المقتول بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده ، وقيل اليمين بمعني القوة .

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ ﴾ عن القتل أو المقتول ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ دافعين وصف لأحد فإنه عام والخطاب للناس . ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وإن القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ لأنهم المنتفعون به .

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ فنجازيهم علي تكذيبهم .

﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين به .

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ لليقين الذي لا ريب فيه

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا علي ما أوحي إليك

فضل سورة الحاقة

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالي حسابا يسيرا » (١١)

---

(١١) ذكره الزمخشري في تفسيره ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدى وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

وذكر القرطبي في تفسيره قال :

روى أبو الزاهرية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ إحدى عشر آية من سورة الحاقة أجير من فتنة الدجال ، ومن قرأها كانت له نورا يوم القيامة من فوق رأسه إلى قدمه .

(٧٠) سورة المعارج مكية (١)

وآياتها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٩

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) ﴾

أحد المشركين يسأل نزول العذاب

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ اي دعا داع به بمعني استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل هو النضر بن الحارث فإنه قال إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية او ابو جهل فإنه قال « **فأسقط علينا كسفا من السماء** » (٢) سأله استهزاء أو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو إما من السؤال علي لغة قريش قال :

سَالَتْ هذيلٌ رسول الله فاحشةً ضلت هذيل بما سَالَتْ ولم تصب (٣)

أو من السيلان ويؤيده أنه قرئ سال سيل علي ان السيل مصدر بمعني السائل ، كالغور والمعني سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه إما في الدنيا وهو قتل بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الحاقة .

(٢) الشعراء : ١٨٧ .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره دون ان ينسبه لقائل ، واستشهد به علي جواز تسهيل الهمزة في سأل ، وهي لغة حكاها ابن منظور في لسان العرب عن سيبويه ، وأوردها في مادة سيل ، وقال ثعلب : سلت أسال سوالا - بضم السين وكسرها ، كجُوار وجوار - بضم الجيم وكسرها - فهذا يدل على انها واو في الأصل على هذه اللغة وليس على بدل الهمز - لسان العرب .

﴿ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ صفة أخري لعذاب أو صلة لواقع وإن صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء علي هذا لتضمن سال معني اهتم ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ يرده

﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ من جهته لتعلق إرادته ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب العمل الصالح أو يترقي فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو مراتب الملائكة أو في السموات فإن الملائكة يعرجون فيها.

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها علي التمثيل والتخيل ، والمعني أنها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا وقيل : معناه تعرج الملائكة والروح إلي عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسان فيها لو فرض، لا أن ما بين أسفل العالم وأعلي شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء الدنيا علي ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره ألف سنة يريد زمان عروجهم من الأرض إلي محدب السماء الدنيا وقيل : في يوم متعلق بواقع أو سال إذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته إما لشدته علي الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات أو لأنه علي الحقيقة كذلك والروح جبريل عليه السلام وإفراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة(٤) .

---

(٤) قال القرطبي : تفسير اليوم بأنه يوم القيامة احسن ما قيل في الآية إن شاء الله ، بدليل ما رواه قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » فقلت : ما أطول هذا اليوم ! فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتي يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا » .

واستدل النحاس على صحة هذا القول بما رواه سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من رجل لم يؤد زكاة ماله إلا جعل شجاعا من نار تكوي به جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتي يقضي الله بين الناس » ـ تفسير القرطبي ..

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره أو عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لأن المعني قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام .

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ﴾ الضمير للعذاب أو يوم القيامة ﴿ بَعِيدًا ﴾ من الإمكان .

﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ منه او من الوقوع .

الهول والفزع يوم القيامة

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع أو بدل من في يوم إن علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات أو دردي الزيت .

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ كالصوف المصبوغ الوانا لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا بُسَّتْ (٥) وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

الآيات من ١٠ : ١٨

﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ⑩ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ⑪ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑫ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ⑬ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ⑭ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ⑮ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ⑯ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ⑰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱ ﴾

﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل علي بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله .

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ استئناف او حال تدل على ان المانع من هذا السؤال هو التشاغل دون الخفاء أو ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ .

﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ .

﴿ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴾ حال من أحد الضميرين أو استئناف يدل علي أن اشتغال كل

---

(٥) بُسَّت : فُتِّتَتْ .

مجرم بنفسه بحيث يتمني أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يؤمئذ به لأنه بمعني تعذيب .

﴿ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم ﴿ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ تضمه قي النسب أو عند الشدائد .

﴿ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلين أو الخلائق ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ عطف علي يفتدي أي ثم ينجيه الافتداء ثم للاستبعاد .

شدة النار في جهنم

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة علي ان الافتداء لا ينجيه ﴿ إِنَّهَا ﴾ الضمير للنار أو مبهم يفسره ﴿ لَظَى ﴾ وهو خبر أو بدل أو للقصة ولظي مبتدأ خبره .

﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ وهو اللهب الخاص ، وقيل : علم النار منقول من اللظي بمعني اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب علي الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المتنقلة علي أن لظي بمعني متلظية والسوي الأطراف أو جمع شواة ،هي جلدة الرأس .

﴿ تَدْعُو ﴾ تجذب وتحضر كقول ذي الرمة * تدعو أنفه الريب * مجاز عن جذبها وإحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله إذا اهلكه ﴿ مَنْ أَدْبَرَ ﴾ عن الحق ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الطاعة .

﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا .

الآيات من ١٩ : ٣٥

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم

بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) ﴾

طبيعة الإنسان

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ شديد الحرص قليل الصبر

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الضر ﴿ جَزُوعًا ﴾ يكثر الجزع

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ ﴾ السعة ﴿ مَنُوعًا ﴾ يبالغ بالإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدةاو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها ، وإذا الاولى ظرف لجزوعا والأخرى لمنوعًا .

الإيمان يحسن الطبائع ويبدل الصفات وينجى صاحبه من العذاب

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل ، لمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة علي الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصورالنظر عليها .

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾لا يشغلهم عنها شاغل .

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾كالزكوات والصدقات الموظفة .

﴿ لِلسَّائِلِ ﴾ الذي يسال ﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ الذي لا يسال فيحسب نفسه غنيًا فيحرم .

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ تصديقًا بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعًا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين .

﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون على انفسهم .

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن عذاب الله وإن بالغ في طاعته .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ سبق تفسيره في سورة المؤمنين.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ حافظون وقرأ ابن كثير لأمانتهم يعنى لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد.

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الأنواع.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرًا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى .

﴿ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ بثواب الله تعالى .

الآيات من ٣٦ : ٤٤

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾

إنكار على الكفار

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ ﴾ حولك ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين.

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ فرقا شتى جمع عزة ، وأصلها عزوة من العزو ، وكاء كلّ فرقة تعتزى إلى غير من تعتزي إليه الأخرى ، وكان المشركون يحتفون حول رسول الله ﷺ حلقًا ويستهزئون بكلامه .

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ بلا إيمان وهو إنكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها أفضل حظًا منهم كما في الدنيا .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ تعليل له والمعنى أنهم مخلقون من نطفه مذرة لا تناسب عالم القدس فيمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة

ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد لدخولها أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ فى منازل الكاملين أو الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضاً مستحيلاً عندهم بعد ردعهم عنه .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾(٦) .

﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ اى نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم أو نعطى محمداً بدلكم من هو خير منكم وهم الأنصار ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ بمغلوبين إن أردنا ذلك.

---

(٦) جاء فى تعليق المنتخب من التفسير :

قد يكون المراد بالمشارق والمغارب أقطار ملك الله علي سعته التي لا تحد ، وقد يكون المراد أيضاً مشارق الشمس والقمروكافة النجوم والكواكب ومغاربها جميعا للدلالة أيضا على ملك الله كله .

وترجع ظاهرة شروق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة في قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرقي وغاربة من الأفق الغربي ، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبي – في نصف الكرة الشمالى مثلا – وإذا كان البعد القطبي للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب ، بل يرسم دائرة صغيرة وهمية حول القطب الشمالي ، وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض ، هي نعمة كبرى من نعم الله على أحياء هذا الكوكب ، فلولا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة ، وحرم من الضوء تماما النصف الآخر ، وهذا ما لا تستقيم معه الحياة كما نعهدها .

وإذا اقتصرنا عند ذكر المشارق والمغارب على تدبير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب ، كانت هذه إشارة إلى التعدد اللانهائى لمشارق الأرض ومغاربها يوما بعد يوم في كل موضع على سطح الأرض . أو حتى في لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية ، فالشمس في كل لحظة غاربة عند نقطة ، ومشرقة في نقطة أخرى تقابلها وهذا من محكم تدبير الله وإعجاز قدرته .

المنتخب من التفسير – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٨٥٤ .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ مر في آخر سورة الطور .

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ مسرعين جمع سريع ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾ منصوب للعبادة أو علم ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص إلى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع .

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ مر تفسيره ﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا .

فضل سورة المعارج

عن النبي ﷺ : « **من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » (٧) .

---

(٧) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٧١) سورة نوح مكية (١)

وآياتها ثمان وعشرون

الآيات من ١ : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ① قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ② أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ④ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ⑤ ﴾

قصة نوح وإنذاره قومه وعدم استجابتهم له

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ ﴾ اي بان انذر اى بالإنذار ، او بأن قلنا له انذر، ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول ، وقرئ بغير ان على إرادة القول . ﴿ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ عذاب الآخرة أوالطوفان .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ مر في الشعراء نظيره ، وفي ان يحتمل الوجهان (٢) .

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة (٣) . ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هو اقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة . ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ إن الأجل الذي قدره . ﴿ إِذَا جَاءَ ﴾

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد النحل .

(٢) الوجهان : اي بتقدير حرف الجر قبل ان ، او اعتبار ان مفسره .

(٣) فى تفسير القرطبي : ﴿ من ذنوبكم ﴾ من : صلة زائدة ، ومعنى الكلام : يغفر لكم ذنوبكم قاله السُّدّى .

وقيل : لا يصح أن تكون زائدة لأن من لا تزاد في الواجب ، وإنما هنا للتبعيض أي بعض ذنوبكم ، وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين .

على الوجه المقدر به آجلا وقيل إذا جاء الأجل الأطول . ﴿ لا يُؤَخَّرُ ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير . ﴿ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ، وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ﴾ اى دائمًا .

الآيات من ٦ : ١٢

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً (١٢) ﴾

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً ﴾ عن الإيمان والطاعة ، وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله ﴿ فزادتهم إيمانا ﴾ (٤) .

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى الإيمان . ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ بسببه . ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة . ﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر إلى من فرط كراهة دعوتى ، أو لئلا أعرفهم فادعوهم ، والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة . ﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ وأكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصرالحمارعلى العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها. ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن اتباعى . ﴿ اسْتِكْبَاراً ﴾ عظيمًا .

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ﴾(٥) .

﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴾ اى دعوتهم مرة بعد اخري وكرة بعد أولى على اي وجه امكنني ، وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار اغلظ من الإسرار ، والجمع بينهما اغلظ من الإفراد او لتراخي بعضها عن بعض ، وجهاراً نصب على المصدر

---

(٤) التوبة : ١٢٤ .

(٥) جهارا : أي مظهرا لهم الدعوة ، وجهارا صا مصدر في موضع الحال أي مجاهراً .

لأنه أحد نوعي الدعاء ، أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهاراً اى مجاهراً به أو الحال فيكون بمعنى مجاهراً .

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ بالتوبة عن الكفر . ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا : إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا علي باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه ، فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم . وقيل : لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة ، وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله :

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴾(٦) .

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب ، والمدرار كثير الدرور ويستوى في هذا البناء المذكر والمؤنث ، والمراد بالجنات البساتين .

الآيات من ١٣ : ٢٥

﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً (٢١) وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً (٢٥) ﴾

---

(٦) مدراراً : مطرا ذا غيث كثير .

لفت نظرهم إلي مظاهر القدرة

﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ لا تاملون له توقيراً اى تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونوا علي حال تاملون فيها تعظيمها إياكم ، ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار ، أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه ، وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة .

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء فإنه خلقهم أطواراً أي تارات ، إذ خلقهم أولا عناصر ، ثم مركبات تغذى بها الإنسان ، ثم أخلاطًا ، ثم نطفًا ، ثم علقًا ، ثم مضغًا ، ثم عظامًا ولحومًا، ثم انشاهم خلقًا آخر ، فإنه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخري فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ، ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ .

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ اى في السموات وهو في السماء الدنيا ، وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة .﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله .

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ انشاكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الأرض ، وأصله انبتكم من الأرض إنباتًا فنبتم نباتًا ، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية .

تحذيرهم البعث

﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ مقبورين . ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ بالحشر ، وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالإبداء ، وأنها تكون لا محالة .

تذكيرهم النعم

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ تتقلبون عليها .

﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ .

يأس نوح من قومه وشكواه منهم إلى الله

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ فيما امرتهم به . ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ

﴿وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببًا لزيادة خسارهم في الآخرة ، وفيه انهم إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالأموال والأولاد وادت بهم إلى الخسار ، وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن والحزن اوجمع كالأسد .

﴿ وَمَكَرُوا ﴾ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى. ﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ كبيرًا في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو من كبير ، وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح .

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ اى عبادتها . ﴿ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ولا تذرن هؤلاء خصوصا ، قيل : هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صُوِّرُوا تبركًا بهم (٧) ، فلما طال الزمان عُبدوا . وقد انتقلت إلى العرب فكان وَدٌّ لكلب ، وسُواع لهمدان ، ويغوث لمذحج ، ويعوق لمراد ، ونَسْر لحمير (٨) . وقرأ نافعَ ودًا بالضم وقرئ يغوثًا ويعوقًا للتناسب ، ومنع صرفهما للعلمية والعجمة .

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ الضمير للرؤساء او للأصنام كقوله ﴿إنهن أضللن

(٧) قيل : إن هذه أسماء أبناء آدم – القرطبي – .

(٨) اختلف في أسماء القبائل التي كانت تعبد هذه الآلهة .

فقيل : إن سواع كان لهذيل بساحل البحر ، ويغوث كان لغطيف من مراد بالجوف من سبا.

وتنازعت القبائل يغوث ، فكان اولاً لاعلى وانعم من طيئ واهل جرش من مذحج وقد عبدوه زمانا ، ثم انتزعه بنو ناجية ففروا به ، قال أبو عثمان النهدى : رأيت يغوث وكان من رصاص ، وكانوا يحملونه علي جمل أحرد ويسيرون معه ولا يهيجونه حتي يكون هو الذي يبرك ، فإذا برك نزلوا وقالوا : قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله.

ويعوق كان لهمدان ، وقيل : لكهلان .

وكان ود على صورة رجل وسواع علي صورة امراة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق علي صورة فرس ، ونسر علي صورة نسر من الطير .

– تفسير القرطبي ملخصا – .

كثيراً ﴾(٩) ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾ عطف على رب إنهم عصوني ، ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم ، أو الضياع والهلاك كقوله ﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴾ .

العقاب الذي حل بهم

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ من أجل خطيئاتهم ، وما مزيدة للتأكيد والتفخيم ، وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم . ﴿ أُغْرِقُوا ﴾ بالطوفان . ﴿ فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة ، والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال ، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع ، وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران . ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم .

الآيات من ٢٦ : ٢٨

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨) ﴾

دعاء نوح على قومه

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ اى احداً وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار ، أو الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيدالأفعال وإلا لكان دواراً (١٠) .

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم الف سنة إلا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (١١) .

---

(٩) إبراهيم : ٣٦ .

(١٠) دعا عليهم حين يئس من هدايتهم وبعد أن أوحى الله إليه بانه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ـ فاجاب الله دعوته .

(١١) قيل في سبب دعائه أن رجلاً من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال : « احذر هذا فإنه يضلك » فقال : يا أبت أنزلني ، فأنزله فرماه فشجه ، فحينئذ غضب ودعا عليهم .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ لملك[١٢] بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين. ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ ﴾ منزلي أو مسجدى أو سفينتى . ﴿ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى يوم القيامة . ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ هلاكًا .

فضل سورة نوح

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح »[١٣].

(١٢) في تفسير القرطبي : لمك ، وفي تعليق المحقق : في حاشية الجمل : « لمك » بفتحتين أو بفتح فسكون ، و « متوشلخ » بضم الميم وفتح التاء وسكون الشين وكسر اللام ، و« شمخي » بوزن سكرى .

(١٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٧٢) سورة الجن مكية [١]
وآياتها ثمان وعشرون
الآيات من ١ : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤ ﴾

الأمر للنبي بأن يخبر قومه باستماع القرآن

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ وقرئ أُحيَ واصله وحي من وحي إليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الأصل وفاعله ﴿ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة، والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية . وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها ، وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله .

مؤمنو الجن يخبرون بإيمانهم

﴿ فَقَالُوا ﴾ لما رجعوا إلي قومهم . ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا ﴾كتابًا . ﴿ عَجَبًا ﴾ بديعًا مباينًا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه ، وهو مصدر وصف به للمبالغة .

﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ إلي الحق والصواب . ﴿فَآمَنَّا بِهِ ﴾ بالقرآن . ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ علي ما نطقت به الدلائل القاطعة علي التوحيد .

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول ، وكذا ما بعده إلا قوله ﴿ وأن لو استقاموا ﴾ [٢] ﴿ وأن المساجد ﴾ [٣] ،

---

(١) فى تفسير الكشاف : نزلت بعد الأعراف .

(٢) الجن : ١٦ .

(٣) الجن : ١٨ .

﴿وأنه لما قام﴾ (٤) فإنها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وأبو بكر (٥) إلا في قوله ﴿وأنه لما قام﴾ علي أنه استئناف أو مقول ، وفتح الباقون الكل إلا ما صُدِّرَ بالفاء علي أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل : صدقنا أنه تعالى جد ربنا أى عَظَمَتُه ، من جَدَّ فلانٌ في عيني إذا عَظُم ، أو سلطانه أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت ، والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله : ﴿ مااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾ بيان لذلك ، وقرئ جدا على التمييز وجِد ربنا بالكسر أى صِدق ربوبيته ، كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم علي خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (٦) .

تسفيه الجن للكذابين منهم

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ إبليس أو مردة الجن . ﴿ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد ، أو هو شطط لفرط ما أشط فيه ، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله .

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان أحداً لا يكذب على الله ، وكذبًا نصب على المصدر لانه نوع من القول أو الوصف المحذوف ، اي قولاً مكذوبًا فيه ، ومن قرأ إن لن تقول كيعقوب جعله مصدراً لأن التقول لا يكون إلا كذبًا .

الآيات من ٦ : ١٦

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا

---

(٤) الجن : ١٩ .

(٥) أبو بكر : شعبة بن عياش بن سالم الأسدي ، كان من أئمة القراء وقيل : اسمه محمد ، ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي ١٩٣ هـ وهو تلميذ عاصم .

(٦) راجع في ذلك ما جاء في تفسير الكشاف .

مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾

تعوذ الإنس بالجن

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ فإن الرجل كان إذا امسى بقفر قال بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه (٧) . ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم . ﴿ رَهَقًا ﴾ كبرًا وعتوًا ، أو فزاد الجن والإنس غيًا بان أصلوهم حتى استعاذوا بهم ، والرهق في الأصل غشيان الشيء .

﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ وان الإنس ﴿ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ ﴾ أيها الجن أو بالعكس ،والآيتان من كلام الجن بعضهم أو استئناف كلام من الله تعالى ، ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحي به . ﴿ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ ساد مسد مفعولى ظنوا .

حراسة السماء بالشهب من استراق الجن للسمع

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ﴾ طلبنا بلوغ السماء أو خبرها ، واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه . ﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا ﴾ حراسًا اسم جمع كالخدم . ﴿ شَدِيدًا ﴾ قويًا وهم الملائكة الذين يمنعونهم

---

(٧) قال مقاتل : كان أول من تعوذ من الإنس بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك في العرب ، كان الرجل منهم إذا نزل بواد يقول : اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فيبيت في جواره حتى يصبح .

قال كروم بن ابى السائب : خرجت مع ابى إلى المدينة اول ما ذكر النبى ﷺ ، فآوانا المبيت إلى راعي غنم ، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حَملاً من الغنم ، فقال الراعى : يا عامر الوادي انا جارك . فنادى مناد : يا سرحان ارسله ، فاتى الحمل يشتد . ولما جاء الإسلام ابطل ذلك ، فاستعاذ الناس بالله وتركوا الجن .

عنها . ﴿ وَشُهُبًا ﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار .

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب ، أوصالحة للترصد والاستماع ، وللسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد . ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾اى شهابًا راصدًا له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم ، أو ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد ، وقد مر بيان ذلك في الصافات .

﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ بحراسة السماء . ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ خيرًا .

الجن منهم صالح وفاسد

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ المؤمنون الابرار . ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون . ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ ﴾ ذوي طرائق اى مذاهب ، او مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق ﴿ قِدَدًا ﴾ متفرقة مختلفة جمع قدة من قد إذا قطع .

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ علمنا . ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ ﴾ كائنين في الأرض أينما كنا فيها . ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ هاربين منها إلى السماء ، أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا ولن نعجزه هربًا إلى طلبنا .

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ﴾ اي القرآن . ﴿ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ ﴾ فهو لا يخاف ، وقرئ فلا يخف والأول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم . ﴿ بَخْسًا وَلا رَهَقًا ﴾ نقصًا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة ، أو جزاء بخس لانه لم يبخس لأحد حقًا ولم يرهق ظلمًا ، لأن من حق المؤمن بالقرآن ان يجتنب ذلك .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ الجائرون عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة . ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ توخوا رشدًا عظيمًا يبلغهم إلى دار الثواب .

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الإنس.

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا ﴾ اي ان الشأن لو استقام الجن او الإنس أو كلاهما . ﴿ عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أي على الطريقة المثلى . ﴿ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ لوسعنا عليهم الرزق ،

وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب .

الآيات من ١٧ : ٢٢

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ⑰ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ⑱ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ⑲ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ⑳ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ㉑ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ㉒ ﴾

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه ، وقيل معناه أن لو استقام الجن علي طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم . ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾ عن عبادته أو موعظته أووحيه ﴿ يَسْلُكْهُ ﴾ يدخله وقرا غير الكوفيين بالنون . ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدروصف به .

المساجد بيوت الله في الأرض

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ مختصة به ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره ،ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهي الغي فائدة الفاء ، وقيل المراد بالمساجد الأرض كلها لأنها جعلت للنبي عليه الصلاة والسلام مسجدا . وقيل المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومواضع السجود علي أن المراد النهي عن السجود لغير الله

إيذاء الكفار للنبي صلي الله عليه وسلم

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ اي النبي عليه الصلاة والسلام ، وإنما ذكر بلفظ العبد للتواضع فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه ، والإشعار بما هو المقتضي لقيامه ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ يعبده ﴿ كَادُوا ﴾ كاد الجن ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته ، أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين لإبطال امره ، وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه علي بعض كلبدة الأسد ، وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة . وقرئ لبدا كسجدا جمع لا بد ولبدا كصبر جمع لبود .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او إطباقكم علي مقتي ، وقرأ عاصم وحمزة قل علي الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده .

﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ ولا نفعا او غيا ، عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعارا بالمعنيين .

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ إن اراد بي سوءا . ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ منحرفا او ملتجأ واصله المدخل من اللحد .

الآيات من ٢٣ : ٢٨

﴿ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ استثناء من قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد وإنفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة ، أو من ملتحدا أو معناه ان لا أبلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ﴿ وَرِسَالاتِهِ ﴾ عطف علي بلاغا ومن الله صفته فإن صلته عن كقوله ﷺ « بلغوا عني ولو آية » ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه . ﴿ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾وقرئ فإن علي فجزاؤه ان ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ جمعه للمعني .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا كوقعة بدر ، او في الآخرة والغاية لقوله ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ بالمعني الثاني ، او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار وعصيانهم له . ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ هو ام هم .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي ﴾ ما ادري ﴿ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ غاية

تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتي إذا رأوا ما يوعدون قالوا متي يكون إنكارا ، فقيل إنه كائن لا محالة ولكن لا ادري ما وقته .

الله عالم الغيب والشهادة

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ هو عالم الغيب . ﴿ فَلا يُظْهِرُ ﴾ فلا يطلع ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ اي علي الغيب المخصوص به علمه (٨) .

﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ لعلم بعضه حتي يكون له معجزة .

---

(٨) لعله جاء في ختام سورة الجن هذه الآية للإشارة إلى ان مدعى الاتصال بالجن يستطيعون الإخبار بالغيب ، ومعرفة الخفي من الأمور التي يطلعهم الجن عليها .

وهذا امر غير صحيح . فالغيب لا يعلمه إلا الله ، ولا يُطْلع من غيبه احدا إلا من ارتضي من رسول كما جاء في الآية الكريمة .

أما الذين يستعينون بالمنجمين والكهان ومدعى العرافة فهم في ضلال مبين – حين هتفت امرأة في عمورية بالمعتصم لينجدها ممن أساء إليها وقالت : وامعتصماه ، وبلغه الخبر جرّد جيشا كثيفا ، ومضى إلى عمورية ، فقال له المنجمون : إنك لن تستطيع ان تفتحها في هذه الأيام لأن استطلاع النجم يقول هذا . فضرب بكلامهم عرض الحائط وتقدم ففتحها، وسجل أبو تمام ذلك قائلا :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما اراد لقاء الخوارج : اتلقاهم والقمر في العقرب ؟ فقال رضي الله عنه : فأين قمرهم ؟ وكان ذلك في آخر الشهر . فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد عليهم وعلى من يقول بالتنجيم والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم .

وقال له مسافر بن عوف : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار ، فقال له على : ولم ؟ قال : إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت . فقال على رضي الله عنه : ما كان لمحمد ﷺ منجم ، ولا لنا من بعده . – تفسير القرطبي – .

﴿ من رسول ﴾ بيان لمن ، واستدل به علي إبطال الكرامات ، وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسط ، وكرامات الأولياء علي المغيبات إنما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا علي أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء . ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ﴾ من بين يدي المرتضي .

﴿ ومن خلفه رصدا ﴾ حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم .

﴿ ليعلم أن قد أبلغوا ﴾ أي ليعلم النبي الموحي إلي إله ان قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي ، أو ليعلم الله تعالي ان قد أبلغ الأنبياء بمعني ليتعلق علمه به موجودا ﴿ رسالات ربهم ﴾ كما هي محروسة من التغيير . ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ بما عند الرسل . ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾ حتي القطر والرمل . (٩) .

فضل سورة الجن

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا أو كذب به عتق رقبة** » (١٠)

---

(٩) خاتمة في بيان أصل الجنة

جاء في تفسير القرطبي : اختلف أهل العلم في أصل الجنة فروى عن الحسن البصرى أن الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون ، وهم شركاء فى الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وروي عن ابن عباس أن الجن هم ولد الجان وليسوا بشياطين ، وهم يؤمنون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر .

والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس .

واختلفوا في دخول مؤمنى الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم .

فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال : يدخلون الجنة بإيمانهم .

ومن قال : إنهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان :

أحدهما – وهو قول الحسن – يدخلونها .

والثاني – وهو رواية مجاهد – لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار .

(١٠) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٧٣) سورة المزمل مكية (١)

وآياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٨

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ
وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً
(٨) ﴾

أمر للنبي ﷺ وأمته بقيام الليل

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ أصله المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاي وقد قرئ به ، وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره ، أو زمل نفسه ، سمي به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه فإنه كان نائما ، او مرتعدا مما

---

(١) في تفسير القرطبي مكية ما عدا آيتين منها وهما ﴿ واصبر على ما يقولون ﴾ والتي بعدها فهما مدنيتان .

وجاء في القرطبي : قال الثعلبي : قوله تعالى : ﴿إن ربك يعلم انك تقوم ادنى ﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة .

وفي الكشاف : نزلت هذه السورة بعد القلم.

وآيات ١٠ ، ١١ ، ٢٠ مدنية .

وجاء في تفسير ابن كثير سبب نزول هذه السورة قال :

عن البزار من حديث جابر رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسما تصدر الناس عنه . فقالوا : كاهن ـ قالوا : ليس بكاهن ، قالوا : مجنون ، قالوا : ليس بمجنون ، قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبى ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿ يايها المزمل ، يايها المدثر ﴾ وذكره السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول.

دهشه من بدء الوحي متزملا في قطيفة أو تحسينا له . إذ روي : أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففا بمرط مفروش علي عائشة (٢) رضي الله تعالي عنها فنزلت ،. أو تشبيها في تثاقله بالمتزمل لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل ، أو من تزمل المزمل إذا تحمل الحمل اي الذي تحمل أعباء النبوة .

﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ اي قم إلي الصلاة ، أو داوم عليها فيه ، وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع أو التخفيف . ﴿ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ .

﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾

﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة إلي الكل ، والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث ، أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للأقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع ، والأكثر منه كالنصف أو للنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه علي البت وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر ، أو الاستثناء من إعداد الليل فإنه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه . ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ اقراه علي تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قوله ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجا(٣)

---

(٢) قوله : بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزلت . فيه نظر ، لأن السورة مكية والنبي ﷺ لم يتزوج بعائشة إلا بعد الهجرة .
إلا إذا كانت هذه الآية مدنية في قول من روى الحديث وهو النخعي قال : كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله أربعة عشر ذراعًا ، قالت عائشة : نصفه على وأنا نائمة ونصفه على النبي ﷺ وهو يصلى ، والله ما كان خزًا ولا قزًا ولا مر عزاء ولا إبر يسما ولا صوفا ، كان سداه شعرا ولحمته وبرًا . ذكره الثعلبي . – راجع تفسير القرطبي – .

(٣) جاء في تفسير الطبرى ما يشير إلى ان هذه الآيات مدنية ، وروي عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت اجعل لرسول الله ﷺ حصيرًا يصلى عليه من الليل فتسامع به الناس فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما ، فخشى ان يكتب عليهم قيام الليل ، فقال : ياأيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون – فإن الله لا يمل من الثواب حتي تملوا من العمل ، وخير العمل ما دمتم عليه ، ونزل القرآن ﴿ يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ... ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ،

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل علي المكلفين سيما علي الرسول ﷺ إذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته ، والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ، ويدل علي أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس، أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه ، او ثقيل علي المتامل فيه لافتقاره إلي مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر ، او ثقيل في الميزان أو علي الكفار والفجار ، أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله تعالي عنها : رايته عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا . وعلي هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر والجملة علي هذه الأوجه للتعليل مستانف ، فإن التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله .

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ إن النفس التي تنشا من مضجعها إلي العبادة من نشا من مكانه إذا نهض وقام قال :

نَشَأنا إلى خوْصٍ بَرِيَ نَيُّها السُّرَى ... وأَلْصَق مِنهَا مُشْرِفَاتِ القَمَاحِدِ(٤)

أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث ، أو ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخري ، أو ساعاتها الاول من نشأت إذا ابتدأت (٥) ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ اي كلفة أو ثبات قدم ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو

فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم إلى الفريضة وترك قيام الليل » تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٠٣ ط دار الغد .

(٤) أورده الزمخشري في تفسيره دون إسناد ، ولم يسنده المرزوقي في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف .

والشاهد فيه أن نشأنا بمعنى نهضنا

والخوص : جمع خوصاء وهي الناقة المرتفعة الأعلى الضخمة الأسفل .

والنَّيُّ : الشحم ، والسري : سير الليل .

والقماحد : جمع قمحدوة ، وهي أعلى عظم الرأس .

يقول : نهضنا إلى نوق عظيمة أذاب شحمها سير الليل ، والصق عظام راسها بعضها ببعض ، كناية عن تمرنها على السير واعتيادها له . – مشاهد الإنصاف – .

(٥) قيل فى معنى ناشئة الليل : الوقت بين المغرب والعشاء – عن ابن عمر وأنس . قيل ذلك

والف ممدودة أى مواطأة القلب اللسان لها ، أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والإخلاص . ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ اي واسد مقالاً او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الأصوات .

﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾ تقلبًا في مهماتك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد ، فإن مناجاة الحق تستدعى فراغًا . وقرئ سبخًا أي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه .

الأمر بالمداومة على الذكر

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ ودم على ذكره ليلاً ونهارًا ، وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم . ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ، ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلاً .

الآيات من ٩ : ١٥

﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) ﴾

﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ خبر محذوف او مبتدا خبره : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر علي البدل من ربك ، وقيل بإضمار حرف القسم وجوابه لا إله إلا هو . ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ مسبب عن التهليل ، فإن توحده

تمسكا بأن لفظ نشا يعطى الابتداء ، فكان بالأولية أحق .

وكان على بن الحسين رضي الله عنهما يصلى بين المغرب والعشاء ويقول : هذا ناشئة الليل .

بالألوهية يقتضى أن توكل إليه الأمور .

الأمر بالصبر على أذى الكافرين

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من الخرافات . ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله فالله يكفيكهم (٦) كما قال :

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ دعنى وإياهم وكل إلى أمرهم فإن بى غنية عنك في مجازاتهم . ﴿ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أرباب التنعم ، يريد صناديد قريش . ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ زمانًا أو إمهالاً .

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً ﴾ تعليل للأمر ، والنكل القيد الثقيل . ﴿ وَجَحِيمًا ﴾ .

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ طعامًا ينشب في الحلق كالضريع والزقوم . ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ونوعًا آخر من العذاب مؤلمًا لا يعرف كنهه إلا الله تعالي ، ولما كانت العقوبات الأربع مما تشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها ، عن التخلص إلى عالم المجردات متحرفة بحرفة الفرقة متجرعة غصة الهجر أن معذبة بالحرمان عن تجلى أنوار القدس ، فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى .

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما في ﴿ إن لدينا أنكالاً ﴾ من معنى الفعل ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا ﴾ رملاً مجتمعًا كأنه فعيل بمعني مفعول من كثبت الشيء إذا جمعته . ﴿ مَّهِيلاً ﴾ منثوراً من هيل هيلاً إذا نثر .

خطاب لأهل مكة وإنذار لهم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً ﴾ يا أهل مكة . ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع . ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) ﴾ يعنى موسي عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به .

الآيات من ١٦ : ٢٠

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا

---

(٦) قال العلماء : كان ذلك قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد ذلك بقتالهم .

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ عرفه لسبق ذكره . ﴿ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ ثقيلاً من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ، ومنه الوابل للمطر العظيم .

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ﴾ انفسكم . ﴿ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ بقيتم على الكفر . ﴿ يَوْماً ﴾ عذاب يوم . ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾ من شدة هوله وهذا على الفرض أو التمثيل ، وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب ، ويجوز أن يكون وصفاً لليوم بالطول .

﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ ﴾ منشق والتذكير علي تأويل السقف أو إضمار شيء . ﴿ بِهِ ﴾ بشدة ذلك اليوم علي عظمها وإحكامها فضلاً عن غيرها والباء للآلة . ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ الضمير لله عز وجل أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول .

﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ اى الآيات الموعدة . ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظة . ﴿ فَمَن شَاءَ ﴾ أن يتعظ . ﴿ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ اى يتقرب إليه بسلوك التقوي .

تخفيف من ربكم ورحمة

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ استعار الادنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعداً منه ، وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفًا علي ادنى . ﴿ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك . ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله تعالى ، فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنيًا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله : ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ اى لن تحصوا تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات. ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

بالترخص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل ، عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها، قيل كان التهجد واجبا علي التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس، أو فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم. ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ استئناف يبين حكمة اخري مقتضية الترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافر للتجارة وتحصيل العلم، ﴿ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة. ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الواجبة. ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ يريد به الأمر في سائر الانفاقات في سبيل الخيرات، او بأداء الزكاة علي أحسن وجه، والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ من الذي توخرونه إلي الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا(٧) وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد أو فصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف، وقرئ هو خير علي الابتداء والخبر، ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ في مجامع احوالكم فإن الإنسان لايخلو من تفريط .﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

فضل سورة المزمل

عن النبى ﷺ « من قرأسورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة » (٨) .

---

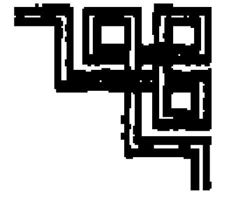
(٧) روى الحافظ ابو يعلي الموصلي حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ » قالوا : يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : « اعلموا ما تقولون» قالوا : ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله . قال : «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر» .ورواه البخاري في كتاب الزكاة باب: ما قدم من ماله فهو له جـ٨ ص ١١٦ . ورواه النسائي في كتاب الوصايا ـ باب : الكراهية في تأخير الوصية جـ٦ ص ٢٣٧ .

(٨) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال ابن حجر رحمه الله : أخرجه الثعلبي والواجدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٧٤) سورة المدثر مكية [١]

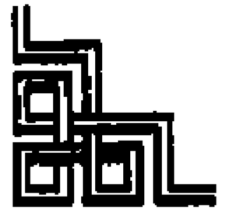
وآياتها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٩

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ ﴾.



الأمر للنبي ﷺ بإنذار قومه

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي المتدثر وهو لابس الدثار، روي أنه ﷺ قال : «كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هوعلي عرش بين السماء والأرض – يعني الملك الذي ناداه – فرعبت فرجعت إلي خديجة فقلت : دثروني ، فنزل جبريل وقال : يا أيها المدثر ولذلك قيل هى أول سورة نزلت، وقيل تأذي من قريش فتغطي بثوبه مفكرا أو كان نائما مدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية أو المختفي فإنه كان بحراء كالمختفى فيه علي سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به .

﴿ قُمْ ﴾ من مضجعك او قم قيام عزم وجد. ﴿ فَأَنذِرْ ﴾ مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله . ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[٢] او قوله ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾[٣] .

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقداً وقولا ، روي انه لما نزل كبر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي، وذلك لأن الشيطان لايامر بذلك والفاء

---

(١) في تفسير الشكاف : نزلت بعد المزمل.

(٢) رواه السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول وقال: أخرجه الشيخان عن جابر رضى الله عنه .

وهذه في صحيح البخاري ج٦ ص ٢٠ في كتاب التفسير – تفسير سورة المدثر .

(٣) الشعراء ٤ ٢١ .

فيه وفيما بعده لإفادة معني الشرط وكأنه قال: وما يكن فكبر ربك ، أو الدلالة علي أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه، فإن أول مايجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (٤) .

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلوات محبوب في غيرها ، وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها ، وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والعداء إليه، أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر(٥) .

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ فاهجر العذاب بالثبات علي هجر ما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (٦) .

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ اي لا تعط مستكثرا نهي عن الاستعزار وهو أن يهب شيئا طامعا في عوض أكثر، نهي تنزيه أو نهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام «المستغزر يثاب من هبته» (٨) والموجب له ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن علي الله بعبادتك مستكثرا إياها ، أو علي الناس بالتبليغ مستكثرا به الأجر منهم أو مستكثراً إياه، وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الابدال من تمنن علي أنه من بكذا أو تستكثر بمعني تجده

---

(٤) سبأ ٢٨ .

(٥) وقيل : في سبب نزول هذه الآية انهم قالوا : بم تفتح الصلاة، فنزلت ﴿ وربك فكبر ﴾ أي وصفه بأنه أكبر . تفسير القرطبي .

(٦) في هذه الآية ثمانية اقوال : أحدهما أن المراد بالثياب العمل ، الثاني القلب ، الثالث النفس » الرابع الجسم الخامس الأهل السادس الخلق ، السابع الدين الثامن الثياب الملبوسات علي الظاهر . تفسير القرطبي .

(٧) قال مجاهد وعكرمة : الرجز : الأوثان ودليله قوله تعالي ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾.

وقيل : المآثم .

وأصل الرجز : العذاب والمقصود ما يؤدي إليه كما أشار المؤلف .

(٨)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه وعبد الرزاق في مصنفه من وجهين عن ابن سيرين عن شريح موقوفا ذكر ذلك الحافظ بن حجر في تخريج احاديث الكشاف .

كثيرا والنصب علي إضمار أن ، وقد قرئ بها وعلي هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها، كما روي أحضر الوغي بالرفع .

﴿ وَلِرَبِّكَ ﴾ لوجهه أو امره . ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ فاستعمل الصبر، أو فاصبر علي مشاق التكاليف وأذي المشركين .

﴿ فَإِذَا نُقِرَ ﴾ نفخ. ﴿ فِي النَّاقُورِ ﴾ في الصور فاعول من النقر بمعني التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال: اصبر علي زمان صعب تلقي فيه عاقبة صبرك، وأعداؤك عاقبة ضرهم ، وإذا ظرف لما دل عليه قوله .

﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ .

الآيات من ١٠ : ٢٦

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ لأن معناه عسر الأمر علي الكافرين ، وذلك إشارة إلي وقت النقر، وهومبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل أو ظرف لخبره، إذ التقدير: فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ تأكيد يمنع أن يكون عسيراً عليهم من وجه ويشعر بيسره علي المؤمنين .

تقريع الوليد بن المغيرة

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة. ووحيدا (٩) حال من الياء أى ذرني وحدي معه فإني كفيكه أو من التاء أي ومن خلقته وحدي لم يشركني

(٩) وحيدا : حال من ضمير المفعول المحذوف ، والمقصود به الوليد الذي كان يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير وكان يسمي الوحيد .

والمعني : ذرني ومن خلقت بزعمه وحيدا، لاان الله تعالي صدقه بانه وحيد وفيه تبكيت له وتقريع .

في خلقه أحد، أو من العائد المحذوف أي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد، أو ذم فإنه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما، أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة أو عن أبيه فإنه كان زنيما.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً ﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة.

﴿ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لايحتاجون إلي سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته، ولايحتاج إلي ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه، أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام.

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتي لقب ريحانة قريش والوحيد أي باستحقاقه الرياسة والتقدم..

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ علي ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه إما لانه لامزيد علي ما أوتي، أولأنه لايناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال.

﴿ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾ فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع علي سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل: مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتي هلك.

﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ سأغشية عقبة شاقة المصعد، وهو مثل لما يلقي من الشدائد وعنه ﷺ «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا»(١٠).

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ تعليل للوعيد أو بيان للعناد، والمعني فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه مايقول فيه.

﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ تعجب من تقديره استهزاء به أو لانه اصاب اقصي ما يمكن ان يقال عليه من قولهم: قتله الله ما أشجعه، اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك، روي انه مر بالنبي ﷺ وهو يقرا حم السجدة، فأتي قومه

(١٠) رواه السيوطي في الجامع الصغير ج٢/٥٢ وقال: رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ورمز له السيوطي بالصحة والحسن.

وقال: لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولايعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فناداهم فقال: تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطي شعرا فقالوا لا فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، ففرحوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه(١١).

﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة علي أن الثانية أبلغ من الأولي وفيما بعد علي أصلها.

﴿ ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي في أمر القرآن مرة بعد أخري.

﴿ ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول ، أو نظر إلي رسول الله ﷺ وقطب في وجهه ﴿ وَبَسَرَ﴾ اتباع لعبس .

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق أو الرسول ﷺ ﴿ وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن اتباعه.

﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروي ويتعلم والفاء للدلالة علي أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر.

﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ كالتأكيد للجملة الأولي ولذلك لم يعطف عليها

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ بدل من سأرهقه صعودا.

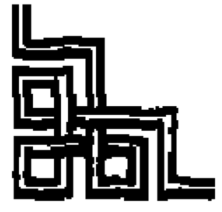
الآيات من ٢٧ : ٣٣

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ

(١١) رواه السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول بمثله وقال: أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وذكر ابن كثير في تفسيره ج٢ / ٢٩٢ بمثله أيضا .

يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) ﴾ .



وصف سقر

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ تفخيم لشأنها وقوله .

﴿ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴾ بيان لذلك أوحال من سقر، والعامل فيها معني التعظيم والمعني لاتبقي علي شئ يلقي فيها ولا تدعه حتي تهلكه .

﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ اي مسودة لأعالي الجلد، أو لائحة للناس وقرئت بالنصب علي الاختصاص .

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها، والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوي الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع، أو لأن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار أو العمل أنواعا من العذاب تناسبها علي كل نوع ملك أوصنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك ، أو صنف أو أن الساعات أربع وعشرون ، خمسة منها مصروفة في الصلاة فيبقي تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي حركات فيها هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن، اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فتكون تسعين (١٢) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلايرقون لهم ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوي الخلق بأسا واشدهم غضبا لله، روي ان أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش : أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضي فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيها علي انه لا ينفك منه

---

(١٢) ذكر السيوطي في أسباب النزول هذه الآية: ان رهطا من اليهود سألوا رجلا من اصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ : عليها تسعة عشر، وعزاه إلي ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء .

وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه أيضا إلي ابن أبي حاتم في سند متصل بالبراء.

وافتتانهم به استقلالهم واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولي هذه العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ، ولعل المراد بالجعل القول ليحسن تعليله بقوله : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ بالإيمان به وبتصديق أهل الكتاب له ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ اي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة بالإيمان ونفي لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك أو نفاق فيكون إخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة. ﴿ وَالْكَافِرُونَ ﴾ الجازمون في التكذيب ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ اي شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل، وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدي يضل الكافرين ويهدي المؤمنين . ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾ جموع خلقه علي ما هم عليه ، ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا سبيل لأحد إلي حصر الممكنات والاطلاع علي حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة . ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة ﴿ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ إلا تذكرة لهم .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لمن أنكرها ، أو إنكار لأن يتذكروا بها ﴿ وَالْقَمَرِ ﴾ .

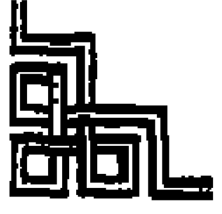
﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ اي أدبر كقبل بمعني أقبل، وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إذا أدبر علي المضي .

﴿ والصبح إذ أسفر ﴾ أضاء .

الآيات من ٣٤ : ٥٦

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ

(٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ
صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ
(٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾



جهنم إحدي الدواهي الكبر

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ اي لإحدي البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها ، وإنما جمع كبري علي كبر إلحاقا لها بفعله تنزيلا للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت علي قواصع ، والجملة جواب القسم او تعليل لكلا ، والقسم معترض للتاكيد .

﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ تمييز اي لإحدي الكبر إنذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة ،، وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف .

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ بدل من للبشر اي نذيرًا للمتمكنين من السبق إلي الخير والتخلف عنه ، أو لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معني قوله ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (١٣) .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ مرهونة عند الله مصدر كالشكيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين .

أصحاب الجنة يتساءلون عن أهل النار

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ فإنهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم ، وقيل هم الملائكة او الاطفال .

﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ لا يكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين ، أو ضميرهم في قوله : ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾

﴿ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك : تداعيناه اى دعوناه وقوله :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ بجوابه حكاية لما جري بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها .

---

(١٣) الكهف ٢٩ .

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ الصلاة الواجبة .

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ اي ما يجب إعطاؤه ، وفيه دليل علي ان الكفار مخاطبون بالفروع .

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ ﴾ نشرع في الباطل . ﴿ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ مع الشارعين فيه .

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة .

﴿ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ الموت ومقدماته .

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ لو شفعوا لهم جميعا .

التعجب من إعراض الكفار عن التذكر والتدبر

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ اي معرضين عن التذكير يعني القرآن ، أو ما يعمه ومعرضين حال .

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة .

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ اي أسد فعولة من القسر وهو القهر .

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ : لن نتبعك حتي تاتي كلاً منا بكتاب من السماء فيه من الله إلي فلان اتبع محمدا (١٤) .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات . ﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن إعراضهم . ﴿ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ واي تذكرة .

---

(١٤) أشار الله تعالي إلي ذلك في قوله تعالي ﴿ أوترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ الإسراء ٩٣ .

وفي قوله تعالي ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتي نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الأنعام ١٢٤ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان يقولون : إن كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار – تفسير القرطبي .

﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ فمن شاءان يذكره .

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه ﴾ ذكرهم أو مشيئتهم كقوله ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (١٥) وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالي، وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ ﴾ حقيق بان يتقي عقابه ﴿ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ حقيق بان يغفر لعباده سيما المتقين منهم

فضل سورة المدثر

وعن النبي ﷺ « **من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالي** » (١٦)

---

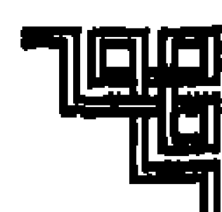
(١٥) التكوير : ٢٩ .

(١٦) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف وقال ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلي أبي بن كعب - رضي الله عنه .

(٧٥) سورة القيامة مكية (١)

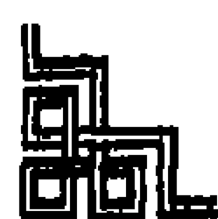
وآياتها أربعون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٩

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) ﴾



قسم بيوم القيامة علي قيام الساعة وبعث الناس

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ إدخال لا النافية علي فعل القسم للتاكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس .

لاَ وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِيّ لا يَدَّعِي القَوْمُ أَنّي أفِرّ (٢)

وقد مر الكلام فيه في قوله ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ (٣) وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روي عن البزي .

﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوي يوم القيامة علي تقصيرها أو التي تلوم نفسها ابدا وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أو بالجنس . لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال « ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة ، وإن عملت خيرا قالت كيف

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد القارعة.

(٢) هذا البيت لامرئ القيس ويروى . ولا وابيك . .

الشاهد فيه دخول لا النافية قبل القسم ، وهو سائغ شائع في لسان لعرب لأنه غالبا يكون لرد دعوي الخصم ونفيها والتقدير : لو يحصل ذلك وحق أبيك .ومعني البيت : وحق أبيك يا ابنة العامري لا افرض الحرب اصلا ، فلايدعيه أحد علي .

(٣) الواقعة : ٧٥.

لم أزدد وإن عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت » (٤) أو نفس آدم فإنها لم تزل تتلوم علي ما خرجت به من الجنة ، وضمها إلي يوم القيامة لأن المقصود من إقامتها مجازاتها .

﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ** ﴾ يعني الجنس وإسناد الفعل إليه لأن فيهم من يحسب، أو الذي نزل فيه وهو عدي بن أبي ربيعة سأل رسول الله ﷺ عن أمر القيامة، فأخبره به فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك، أو يجمع الله هذه العظام ، ﴿ **أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ بعد تفرقها وقرئ أن لن يجمع علي البناء للمفعول .

﴿ **بَلَىٰ** ﴾ نجمعها .﴿ **قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ بجمع سلامياته وضم بعضها إلي بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام، أو علي أن نسوي بنانه الذي هو أطرافه فكيف بغيرها (٥) وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلي، وقرئ بالرفع اي نحن قادرون .

﴿ **بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ** ﴾ عطف علي أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون إيجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ﴿ **لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾ ليدوم علي فجوره فيما يستقبله من الزمان .

﴿ **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ متي يكون يوم القيامة استبعادا له او استهزاء.

الأهوال التي تشاهد يوم القيامة

﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ** ﴾ تحير فزعا من برق بصره، وقرأ نافع بالفتح وهو لغة، أو من البريق بمعني لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب إذا انفتح .

﴿ **وَخَسَفَ الْقَمَرُ** ﴾ ذهب ضوؤه وقرئ علي البناء للمفعول .

---

(٤) رواه ابن كثير في تفسيره علي أنه من كلام الحسن البصري قال : قال جويبر: بلغنا عن الحسن انه قال في قوله ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال : ليس احد من اهل السموات والأرض إلايلوم نفسه يوم القيامة ، تفسير ابن كثير ج٢ / ٣٠٠ .

(٥) ولعل في ذكر البنان خاصة إشارة إلي ما كشفت عنه العلوم الحديثة من أن بصمات الأصابع لايمكن أن تتشابه بين إنسان وآخر مهما كانت درجة القرابة بينهما ،وهذا من دلائل قدرة الله تعالي وعودة البنان يوم القيامة ببصماته المتميزة دون تغيير عما كان عليه في الدنيا دليل آخر علي قدرة الله تعالي .

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك علي أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب ، أو بوصوله إلي من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف

الآيات من ١٠ : ٢٢

﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢)

﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، قرئ بالكسر وهو المكان ﴿ كَلاَّ ﴾ ردع عن طلب المفر . ﴿لا وَزَرَ﴾ لاملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ إليه وحده استقرار العباد، أو إلي حكمه استقرار أمرهم ، أو إلي مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار .

﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده ، أو بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه ، أو باول عمله وآخره (٦) .

---

(٦) اختلف العلماء في الوقت الذي ينبأ فيه الإنسان عن عمله فقال القشيري : هذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال ويجوز أن يكون عند الموت .

والقرطبي يرجح الأول مستدلا بحديث ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ« إن مما يلحق المؤمن في عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه اومصحفا ورثه أومسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه اونهرا اجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته » .

قال وخرجه ابونعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن انس بن مالك رضى الله عنه قال:

﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ حجة بينة علي أعمالها لأنه شاهد بها ، وصفها بالبصارة علي المجاز، أوعين بصيرة بها فلايحتاج إلي الإنباء.

﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهوالعذر، أو جمع معذرة علي غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولي وفيه نظر.

تعهد الله بحفظ القرآن وجمعه

﴿لا تُحَرِّكْ ﴾ يا محمد .﴿بِهِ ﴾ بالقرآن. ﴿ لِسَانَكَ ﴾ قبل ان يتم وحيه . ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ لتأخذه علي عجلة مخافة ان ينفلت منك .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾ في صدرك . ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهى .

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ بلسان جبريل عليك . ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ قراءته وتكرر فيه حتي يرسخ في ذهنك .

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل علي جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ علي حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات (٧) .

قال رسول الله ﷺ «سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره : من علم علما أوأجري نهرا أو حفر بئرا أوغرس نخلا أوبني مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » فقوله : بعد موته وهو في قبره » نص علي ان ذلك لايكون عند الموت .تفسير القرطبي .

(٧) جاء في اسباب النقول للسيوطي : أخرج البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فانزل الله : لاتحرك به لسانك لتعجل به .

وروي ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لاتحرك به لسانك لتعجل به ﴾ قال : كان لايفتر عن القراءة مخافة ان ينساه فقال الله تعالي ﴿ لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا ﴾ ان نجمعه لك « وقرآنه » أن نقرئك فلاتنسي .

تفسير الطبري ج١٢ / ٣٦٧ ط دار الغد .

وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعني انه يؤتي كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا، فيقال له : لاتحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضي الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته، فإذا قرآناه فاتبع قراءته بالإقرار او التامل فيه ثم إن علينا بيان امره بالجزاء عليه .

طبيعة الإنسان العجلة

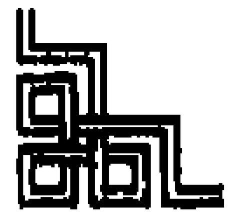
﴿ كَلاَّ ﴾ ردع للرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل، ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾.

﴿ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾ تعميم للخطاب إشعارا بان بني آدم مطبوعون علي الاستعجال وإن كان الخطاب للإنسان ، والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعني ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ بهية متهللة.

الآيات من ٢٣ : ٣٥

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) ﴾.



رؤية الله في الآخرة للسعداء

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول ، وليس هذا في كل الأحوال حتي ينافيه نظرها إلي غيره ، وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لايسند إلي الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايتعدي بإلي وقول الشاعر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِن ملكٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا (٨)

---

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف دون ان ينسبه لقائل ولم ينسبه كذلك صاحب مشاهد

بمعني السؤال فإن الانتظار لايستعقب العطاء.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه.

﴿ تَظُنُّ ﴾ تتوقع أربابها ﴿ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ داهية تكسر الفقار.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن إيثار الدنيا علي الآخرة.

حال الكافر المحتضر

﴿ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ إذا بلغت النفس اعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها .

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ وقال حاضرها وصاحبها : من يرقيه مما به من الرقية، أو قال ملائكة الموت : أيكم يرقي بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقي.

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها .

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ والتوت ساقه بساقه فلا يقدر علي تحريكهما ، أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ سوقه إلي الله تعالي وحكمه .

﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ ما يجب تصديقه ، أو فلا صدق ماله اي فلا زكاه، ﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في أيحسب الإنسان .

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الطاعة.

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط، فإن المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط ، أو من المط وهو الظهر فإنه يلويه ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ويل لك من الولي ، واصله أولاك الله ماتكره واللام مزيدة كما في ﴿ ردف لكم ﴾ (٩) أو الويل لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب ادني من أدون ، أو فعلي من آل يؤول

الإنصاف في شرح شواهد الكشاف.

ومعني البيت :إذا رجوت مكارمك زدتني نعما ويجوز ان يكون المعني : بمجرد نظري إليك تجيبني فوق مسؤلي ولاتحتاج إلي التصريح بالطلب .

(٩) النمل ٧٢.

بمعني عقباك النار .

﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخري (١٠) .

الآيات من ٣٦ : ٤٠

﴿ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾

﴿ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ مهملا لايكلف ولايجازي ، وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح، والتكليف لايتحقق إلا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة .

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ فقدره فعدله .

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ ﴾ للصنفين ﴿ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ وهو استدلال آخر بالإبداء علي الإعادة علي ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله :

﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ عن النبي ﷺ « أنه كان إذا قرأها قال سبحانك بلي » (١١).

فضل سورة القيامة

وعنه ﷺ « من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به »(١٢) .

---

(١٠) نزلت الآية في أبي جهل قيل : إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله ابو جهل علي باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم ، فاخذ رسول الله ﷺ بيده فهزه مرة اومرتين ثم قال له أولي فاولي فقال ابو جهل اتهددني فوالله إني لاعز اهل الوادي واكرمه، فنزلت الآية موافقة ـ تفسير القرطبي ـ تفسير ابن كثير .

(١١) ذكره الطبري في تفسيره ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ج٨ / ٣٠٩ .

(١٢) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلي ابي بن كعب رضى الله عنه .

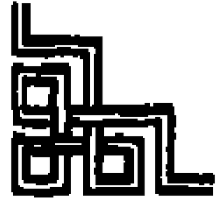
(٧٦) سوة الإنسان (١)

مدنية وآياتها إحدي وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٥

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) ﴾.



---

(١) في الكشاف : مدنية ونزلت بعد الرحمن .

وفي تفسير القرطبي : مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال الجمهور :مدنية وقيل : فيها مكي من قوله تعالي ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ إلي آخر السورة وما تقدمه مدني .

وذكر ابن كثير والقرطبي حول هذه السورة الخبر الآتي.

ذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال : إن رسول الله ﷺ ليقرأ : ﴿ هل أتي علي الإنسان حين من الدهر ﴾ وقد انزلت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل النبي ﷺ وسلم فقال له عمر بن الخطاب : لاتثقل علي النبي ﷺ قال : «دعه يابن الخطاب » قال : فنزلت عليه السورة وهو عنده فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ : « أخرج نفس صاحبكم أو أخيكم الشوق إلي الجنة » .

وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ .

وقال القشيري :إن هذه السورة نزلت في علي بن أبي طالب رضى الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال إنه نزل بسبب كذا وكذا .

وجاء في صحيح مسلم ان النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الم تنزيل ﴾ السجدة و﴿ هل اتي علي الإنسان حين من الدهر ﴾ .

صحيح مسلم – كتاب الجمعة – باب مايقرأ في يوم الجمعة.

بدء خلق الإنسان

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ﴾ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله.

أهل رَأَوْنَا بِسَفْحِ القَاعِ ذِي الأَكَم (٢) .

﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود . ﴿ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، والجملة حال من الإتيان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالإنسان الجنس لقوله .

---

(٢) هذا عجز بيت من الشعر وهو بتمامه :

يسائل فوارس يربوع بشدتنا   اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم

وهو لزيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ : زيد الخير.

والشاهد فيه أن هل اصلها : أهل فالهمزة للاستفهام وهل بمعني قد المراد بالإنسان آدم عليه السلام ــ وعن ابن عباس انه خلق من طين ، فاقام أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وزاد ابن مسعود فقال أقام وهو من تراب أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح .

* الإعجاز العلمي

من كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور / محمد علي البار تحت عنوان «النطفة الأمشاج . . القرآن الكريم والسنّة المطهرة يكشفان الحقيقة العلمية قبل اكتشافها بألف وثلاثمائة عام ».

الآيات : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) ﴾ .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره : إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج : أنا خلقنا ذرية

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أو آدم بين اولاً خلقه ثم ذكر خلقه بنيه .

* الإعجاز العلمي

آدم من نطفة يعنى من ماء الرجل وماء المرأة . والنطفة كل ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قربة أو غير ذلك . وقوله أمشاج يعنى اخلاط وإحدها مشج ومشيج يقال منه إذا مشجت هذا بهذا خلطته وهو مرج به ، ومشيج أي مخلوط . . وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

وروى بسنده عن عكرمة قوله : أمشاج نبتليه قال : ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر وروى أيضاً قوله ماء الرجل وماء المرأة يختلطان .

وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ماء المرأة وماء الرجل يختلطان .

وقال الربيع بن أنس : إذا اجتمع ماء المرأة وماء الرجل .

وقال الحسن البصري : مشج (خلط) ماء المرأة مع ماء الرجل .

وقال مجاهد : خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة وقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ .

تفسير ابن كثير للآية :

« يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه وجد بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً لضعفه وحقارته فقال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ أي اخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن لون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن (البصري) والربيع ابن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

وفي تفسير الجلالين :

إنا خلقنا الإنسان « جنس الإنسان» من « نطفة أمشاج » اخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين .

وقال الشيخ المراغي في تفسيره :

إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . . أي إنا خلقنا الإنسان من نطفة اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد إذا شب وبلغ الحلم .

وقال الشهيد سيد قطب في الظلال :

الأمشاج : الاخلاط . وربما كانت هذه إشارة إلى تكون النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح . وربما كانت هذه الأخلاط تعنى الوراثات الكامنة في النطفة والتي يمثلها =

﴿أمشاج﴾ أخلاط جمع مشج أو مشج أومشيج من مشجت الشئ إذا خلطته ، وجمع

﴿الإعجاز العلمي

ما يسمونه علمياً « الجينات » وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولا ولصفات الجنين العائلية أخيراً . وإليها يعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين إنسان لا جنين أى حيوان آخر كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة ولعلها هي هذه الأمشاج المختلطة من وراثات شتى .

وهكذا ترى أن أغلب المفسرين من قدامي ومحدثين متفقون على أن النطفة الأمشاج هي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة . . وقد اخترنا من أعلام القدامي الأئمة الأعلام ابن جرير الطبري وابن كثير الدمشقي . . كما اخترنا من أعلام المحدثين الشيخ المراغي والشهيد سيد قطب ، وجميعهم متفقون على أن الأمشاج هي الأخلاط . . من ماء الرجل (الحيوان المنوى) وماء المرأة (بويضتها) .

وفي الآية التالية وما قاله المفسرون فيها دليل آخر على ما نقول :

تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

قال ابن جرير الطبري :

يقول تعالى : يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال (الحيوانات المنوية بالتعبير الحديث) وماء أنثى من النساء (البويضة بالتعبير الحديث) يقول ابن جرير : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . . وروى بسنده عن مجاهد قال : ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعاً . لأن الله تعالى يقول من ذكر وأنثى .

وقال ابن كثير في تفسيره : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ﴾ يقول تعالى أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء (أي من ذكر وانثى) . .

وكذلك ذكر البيضاوي في تفسير من ذكر وأنثى أي من آدم وحواء .

الأحاديث :

أخرج الإمام أحمد في مسنده : أن يهوديا مر بالنبى ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش : يا يهودي : إن هذا يزعم أنه نبي فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي فقال : يا محمد مم يخلق الإنسان فقال رسول الله ﷺ : يا يهودي من كل يخلق : من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة . فقال اليهودى هكذا كان يقول من قبلك (أي من الأنبياء) . وقال ابن حجر في فتح الباري (كتاب القدر) : «والمراد بالنطفة المنى وأصله الماء الصافى القليل والأصل في ذلك ان ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق من ذلك جنينا

النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلف الأجزاء في الرقة

* الإعجاز العلمي

هيأ أسباب ذلك » ثم قال : « وزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك » .

ويقول ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن ص ٢٤٤ « ومنى الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى » . ويقول في ص ٢٥٦ « إن الأعضاء والأجزاء والصورة تكونت من مجموع المائين . وهذا هو الصواب » . مما تقدم يتضح بجلاء آن ما اكتشفته البشرية في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين قد تحدث به القرآن الكريم بلا أدنى لبس أو مواربة وقد وضحته الأحاديث النبوية الشريفة . . كما أن الصحابة والتابعين من أعلام المفسرين وعلى رأسهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رض الله عنهما قد فهموا من الآيات الكريمة ما نفهمه نحن اليوم وبعد الاكتشافات العلمية . . وقد نقلنا ذلك عنهم حسب ما رواه شيخ المفسرين ابن جرير والطبري والحافظ ابن كثير الدمشقي وغيرهم من أعلام التفسير في القديم والحديث .

ولا أظن أحداً سيتهمنا بأننا نعتسف النصوص لنفسر بها الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

النطفة الأمشاج في علم الأجنة :

تخرج البويضة من المبيض مرة واحدة في الشهر - وعليها التاج المشع كأنها عروس تتهادي وتبعث شيئًا من أريجها لتلك الحيوانات المنوية الضاربة أذيالها بقوة والسابحة عبر الإفرازات . . وتقطع المفاوز والمخاطر لعلها تحظى ولو بنظرة إلى هذه العروس الفتانة الجميلة .

وتسير تلك الحيوانات المنوية (نطفة الرجل) باحثة عن البويضة (نطفة المرأة) لا تدري أين هي : عن يمين أو يسار فتخترق مجموعة منها القناة الرحمية اليمنى وتسير مجموعة أخرى عبر القناة الرحمية اليسرى (تدعى أيضاً قناة فالوب) وهي تمنى النفس بلقاء المحبوب . . فيهلك من يهلك في تلك المفاوز وعبر تلك المخاطر دون أن يحظى ولو بنظرة من تلك المحبوبة . . وتشاء القدرة الإلهية المبدعة أن يقترب من البويضة مئات الحيوانات المنوية بينما تحتوى الدفقة الواحدة من المني مئات الملايين تهلك معظمها قبل الوصول إلى البويضة . . وتختار القدرة المبدعة واحداً من ملايين الحيوانات المنوية لتوصله سالمًا إلى البويضة فتهش له مرحبة وتفتح له كوة في جدارها حتى يلج من خلال ذلك الجدار المصمت المحاط بالتاج المشع . . فإذا ما ولج أو صدت الباب وأحكمت الرتاج وأضافت إلى

والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو، وقيل مفرد كأعشار

* الإعجاز العلمي

الجدار جداراً آخر حتى تمنع عنها أي راغب وتصد بابها دون كل لامس .

إن هذا الوصف يبدو خيالياً ولكني سأنقل لك عبارة أستاذ علم الأجنة والتشريح في جامعة عين شمس القاهرة الأستاذ الدكتور شفيق عبد الملك بنصها حيث يقول في كتابه علم تكوين الجنين : « وتبدأ عملية الاخصاب خطواتها بدور الحيوان المنوى الذي إذا أحس بقرب البويضة سرعان ما يفرز مادة خاصة لها قدرة على إذابة جزء من المنطقة الدائرية المشعة (التاج المشع) المحيطة بالبويضة . . وتفرز البويضة بدورها إجابة لذلك مادة أخرى لزجة القوام على سطحها في منطقة اقتراب الحيوان المنوى تحية وترحيباً به من جهة ومساعدة وتسهيلاً لإمكان تعلقه والتصاقه بسطحها من جهة أخرى . . رجاء إمكان الحيوان المنوي إذابة ما بقى في المنطقة الدائرية المشعة وكذا المنطقة التي تليها وتحيط بالبويضة وهي المنطقة الشفافة تمهيدا لوصول الحيوان المنوى إلى غشاء البويضة وثقبها ليدخل البويضة وإذا ما ثقبها ودخلها يغلق الثقب حالا ولن يسمح لحيوان منوي آخر بالدخول في البويضة ولذلك يكون نصيب العدد الكثير من الحيوانات المنوية التي حاولت ثقب البويضة والدخول فيها ولم تفلح أن تظل ملتصقة ومعلقة بمنطقة البويضة الشفافة حتى تتلاشى» . وإذا ما دخل الحيوان المنوي إلى البويضة هشت له نواتها ومكمن السر فيها لتكون النواة الأولية للأنثى أو الطليعة للأنثى كما أن نواة الحيوان المنوي المتجمعة في رأسه تفعل الشيء ذاته وتكوّن الأولية للذكر .

وعند دخول الحيوان المنوي تكمل نواة الأنثى انقسامها الاختزالي الذى بدأته منذ كان جنيناً في رحم أمها . . أي منذ عشرات السنين - وتتقابل النواتان المذكرة والمؤنثة وجهاً لوجه ويقوم مريكيز الحيوان المنوى بتكوين أشعة مغزلية في قطبي الخلية الامشاج وعندئذ يحصل أول انقسام عادي في الخلية الأمشاج . . وتنتقل نصف الكروموسومات (الجسيمات الملونة) في كل من الذكر والأنثى إلى جهة كما ينتقل النصف الآخر إلى الجهة المقابلة . . وسرعان ما ينزل بينهما جدار يفصل بينهما ليكون أول خليتين تامتين من هذه النطفة الامشاج .

نتائج تكون النطفة الأمشاج

١ - يحتوى الحيوان المنوي على نصف عدد الكروموسومات (الجسيمات الملونة التي تحمل الصفات الوراثية) الموجودة في أي خلية جسدية أخرى . . وكذلك البويضة تحتوى على نصف عدد الكروموسومات . ويعتبر كلا من الحيوان المنوي والبويضة نصف خلية

وأكباش. وقيل الوان، فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرا، أو

* الإعجاز العلمي

فقط من ناحية عدد الكروموسومات إذ تحتوى الخلية الجسدية على ٤٦ كروموسوما بينما تحتوي البويضة على ٢٣ كروموسوما فقط وكذلك الحيوان المنوي . وعند تكون النطفة الأمشاج يكتمل عدد الكروموسومات الحاملة للصفات الوراثية من الأب والأم بالتساوي . . وعبر هذه الكروموسومات تنتقل الصفات الوراثية من الآباء والأجداد منتقاة مختارة حتى تصل إلى الأبناء ودون أن يتطابق منهما اثنان . . كل واحد من الأبناء متميز عن الآخر رغم تلقيهما الجسيمات الملونة (الكروموسومات) من نفس الأم والأب .

وفي الحديث : ان النطفة إذا استقرت في الرحم احضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم « أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم « انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس» .

وفي الحديث الذي أخرجه الستة أن إعرابيا من بني فزارة جاء يعرّض بنفى ولده لأنه أسود فقال ﷺ « عسى أن يكون نزعة عرق » .

وذلك مما يؤكد أهمية الوراثة و الجينات (الناسلات) في تكوين الجنين وفي صفاته الجسدية والنفسية .

٢ - يساهم كل من الحيوان المنوي والبويضة بنصيب مماثل في تكوين نواة الخلية الأمشاج ولكن البويضة تساهم أكثر من ذلك بجبْلة النطفة الأمشاج (CYTOPLASM) والحبيبات الغذائية وأجسام جولجى . . والبويضة أكبر خلية في جسم الإنسان إذ يبلغ قطرها خمس ميليمتر . . وليس ذلك عبثًا . . وإنما لأنها تتكفل بغذاء النطفة الأمشاج حتي يحين موعد علوقها بالرحم والتصاقها به وتغذيتها منه . . أي أن على البويضة أن تقوم بتغذية هذه النطفة الأمشاج أثناء تكاثرها وانقسامها ولمدة أسبوع كامل .

مرحلة الانشقاق والانقسام في النطفة الأمشاج CLEVAGE:

حالما يتم التخصيب وتتكون النطفة الأمشاج من الحيوانات المنوية والبويضة . . تصنع يد القدرة للبويضة الملقحة جدارًا سميكًا مصمتًا لا يمكن لأى حيوان منوي آخر اختراقه كما أنها تخلع عنها تاجها المشع الذي كان يغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها . . ومنذ تلك اللحظة تبدأ بالعمل الجاد وتبدأ بالانشطار : الخلية تصبح خليتان والخليتان أربع وهكذا دواليك حتي تتكون مئات الخلايا علي هيئة ثمرة التوت وعندئذ تسمى التوتة MORULLA فإذا ما كبرت الكرة قليلا صار ما بداخلها مجوفا وبه سائل رقيق . . وعندئذ تدعى بالتكور الجرثومي أو البلاستولا BLASTULA .

اطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلي تمام الخلقة .﴿ نَبْتَلِيه ﴾ في موضع الحال اي مبتلين له بمعني مريدين اختباره أو ناقلين له من حال إلي حال فاستعير له الابتلاء، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات، فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء علي الفعل به ورتب عليه قوله :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ اي بنصب الدلائل وإنزال الآيات، ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ حالان من الهاء، وإما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا أو مقسوما إلي ما بعضهم شاكرا بالاهتداء والأخذ فيه ، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز، وقرئ اما بالفتح علي حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة علي الفواصل، وإشعارا بأن الإنسان لايخلو عن كفران غالبا وإنما المؤاخذ به التوغل فيه .

ما أعد للكفار

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ ﴾ بها يقادون .﴿ وَأَغْلالاً ﴾ بها يقيدون . ﴿ وَسَعِيرًا ﴾ بها يحرقون ، وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار اهم وانفع، وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن، وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلا للمناسبة .

* الإعجاز العلمى

وفي هذه الأثناء لا تكف البويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج عن الحركة وإن كانت حركة بطيئة فهي تنتقل من الثلث الوحشي لقناة الرحم (قناة فالوب) حيث يتم التلقيح وتتجه عبر القناة الرحمية حتي تقترب من الرحم . . وفي خلال خمسة أيام أو أسبوع على الأكثر تكون قد وصلت إلى الرحم وهناك تنظر اين تتوسد وتنعرز .

وتوجهها يد العناية الإلهية إلى أن خير مكان لها هو النصف العلوي من الرحم وخاصة جداره الخلفى . . وهنا تنشب وتعلق في جدار الرحم الذي قد استعد لاستقبالها بفرش الطنف والوسائد . . وجعل جداره مليئا بالأوعية الدموية حتى يغذيها وينميها . .

وعندما تنغرز الكرة الجرثومية تكون قد تحولت من نطفة الأنشاج إلى علقة وتبدأ عندئذ مرحلة جديدة في حياة الجنين . . وهي مرحلة العلقة .

الأبرار وصفاتهم وجزاوهم

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾ جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد. ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ ﴾ من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ مايمزج بها ﴿ كَافُورًا ﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به .

الآيات من ٦ : ١٢

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾.

﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من كافورا إن جعل اسم ماء أو من محل من كاس علي تقدير مضاف، أي ماء عين أوخمرها أو نصب علي الاختصاص أوبفعل يفسره ما بعدها ، ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ يجرونها حيث شاءوا إجراء سهلاً.

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك ، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر علي أداء الواجبات لأن من وفي بما أوجبه علي نفسه لله تعالي كان أوفي بما أوجبه الله تعالي عليه . ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ ﴾ شدائده ﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر، وهوأبلغ من طار وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي.

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ حب الله تعالي أو الطعام أو الإطعام ، ﴿ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ يعني اسراء الكفار فإنه ﷺ كان يؤتي بالأسير فيدفعه إلي بعض المسلمين فيقول أحسن إليه، أو الأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون ، وفي الحديث «غريمك أسير فأحسن إلي أسيرك» (٣)

---

(٣) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ولم يسند لراو ، ولم يسنده الحافظ ابن حجر في

شية الإطعام الحسنة

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ علي إرادة القول بلسان الحال اوالمقال إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للأجر وعن عائشة رضى الله علها « أنها كانت تبعث بالصدقة إلي "أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا ، فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله لوبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله » .﴿ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ اي شكراً(٤) .

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا ﴾ فلذلك نحسن إليكم او لا نطلب المكافاة منكم .﴿ يَوْمًا ﴾ عذاب يوم ﴿ عَبُوسًا ﴾تعبس فيه الوجوه أويشبه الأسد العبوس في ضراوته . ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قرطيها أومشتق من القطر والميم مزيدة .

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه . ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ بدل عبوس الفجار وحزنهم .

من صفات الجنة

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ بصبرهم علي اداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال .﴿ جَنَّةً ﴾ بستانا ياكلون منه ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما :أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولديك فنذر علي وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث إن برئا، فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين

تخريج أحاديث الكشاف .

(٤) جاءت عدة أقوال فيمن نزلت في شانهم هذه الآيات .

فقيل :إنها نزلت في مطعم بن ورقاء الانصاري نذر نذرا فوفي به .

وقيل: نزلت فيمن تكفل باسري بدر وهم سبعة من المهاجرين : أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو عبيدة رضى الله تعالي عنهم ـ ذكره الماوردي .

وعن مقاتل : نزلت في رجل من الانصار أطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا

وقيل : نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة رضى الله عنهما وجارية لهما أسمها فضة

قال القرطبي : والصحيح انها نزلت في جميع الابرار .

أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماءوأصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك (٥) .

الآيات من ١٣ : ٢٠

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ حال من هم في جزاهم أوصفة لجنة. ﴿ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴾ يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن في متكئين ، والمعني أنه يمر عليهم فيها هواء معتدل لاحار محم ولابارد مؤذ، وقيل الزمهرير القمر في لغة طيئ قال راجزهم .

وَلَيْلَةٌ ظَلامُهَا قَدِ اعْتَكَر قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ (٦) .

---

(٥) أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ينقل هذا الهامش بر رضى الله عنهما ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالي ﴿ يوفون بالنذر ﴾ .

ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول في الأصل الرابع والأربعين وانتقد الأشعار التي وردت في الخبر لأنه يغلب عليها الصنعة .

واعترض القرطبي علي القصة الواردة في ذلك وأشعارها .

(٦) هذ البيت ذكره الزمخشري في الكشاف دون نسب لقائل وكذلك لم ينسبه صاحب كتاب مشاهد الانصاف ومعناه : ورب ليلة ظلامها قد تراكم واختلط وكثر فقطعتها وأمضيتها بالسير والحال أن الزمهرير ما زهر اي لم يضئ والزمهرير هو القمر بلغة طئ .

والمعني أن هواءها مضئ بذاته لايحتاج إلي شمس وقمر .

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا ﴾ حال أو صفة أخري معطوفة علي ما قبلها ، أو عطف علي جنة أي وجنة أخري دانية علي أنهم وعدوا جنتين كقوله ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (٧) وقرئت بالرفع علي أنها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة. ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ معطوف علي ما قبله أو حال من دانية، وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع علي قطافها كيف شاءوا.

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ وأباريق بلا عروة .﴿ كانَتْ قوارِيرَ ﴾.

﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها ، وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الأولي لأنها رأس الآية، وقرئ قوارير من فضة علي هي قوارير ، ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ أي قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه ، أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت علي حسبها ، أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها علي قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أي جعلوا قادرين لها كما شاءوا من قدر منقولا من قدرت الشئ .

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به .

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفي عنها الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل : أصله سل سبيلا فسميت به كتابط شرا لأنه لايشرب منها إلا من سال إليها سبيلا بالعمل الصالح .

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ دائمون .﴿ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً ﴾ من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلي بعض .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولامقدر لانه عام معناه إن بصرك أينما وقع . ﴿ رأيتَ نعيماً ومُلْكًا كبيراً ﴾ وفي الحديث «أدني أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه

---

(٧) الرحمن ٤٦ .

مسيرة ألف عام يري أقصاه كما يري أدناه » (٨) هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار قدس الجبروت .

الآيات من ٢١ : ٢٨

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) ﴾ .

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وما غلظ ونصبه علي الحال من هم في عليهم أو حسبتهم ، أو ملكا علي تقدير مضاف أي وأهل ملك كبير عاليهم ، وقرأ نافع في عاليهم وحمزة بالرفع علي أنه خبر ثياب ، وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا علي سندس بالمعني فإنه اسم جنس، وإستبرق بالرفع عطفا علي ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائي بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح علي أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ، ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ عطف علي ويطوف عليهم ولايخالفه قوله أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فإن حلي أهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله بإضمار قد، وعلي هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين . ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ يريد به نوعا آخر يفوق علي النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه إلي الله عز وجل، ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلي اللذات الحسية والركون إلي ما

---

(٨) رواه السيوطي في جامع الأحاديث ١/ ١٧٤ بلفظ : « أدني أهل الجنة منزلة الذي له الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » وقال : رواه أحمد والترمذي وابن حبان والضياء المقدسي عن أبي سعيد رضى الله عنه .

سوي الحق، فيتجرد لمطالعة جماله متلذذاً بلقائه باقيا ببقائه، وهي منتهي درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الأبرار .

﴿ إنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ علي إضمار القول والإشارة إلي ما عنده من ثوابهم ، ﴿وكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾ مجازي عليه غير مضيع .

﴿ إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴾ مفرقا منجما لحكمة اقتضته ، وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به .

وصية النبي ﷺ بالصبر والذكر وكثرة العبادة

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ بتاخير نصرك علي كفار مكة وغيرهم .﴿ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُوراً ﴾ اي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك إليه، وأو للدلالة علي انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والقسم باعتبار ما يدعونه إليه، فإن ترتب النهي علي الوصفين مشعر أنه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة في الإثم والكفر، فإن مطاوعتها فيما ليس بإثم ولاكفر غير محظور.

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ وداوم علي ذكره أودم علي صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل يتناول وقتيهما .

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ﴾ وبعض الليل فصل له تعالي ، ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص. ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ وتهجد به طائفة طويلة من الليل .

﴿ إنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ ﴾ امامهم او خلف ظهورهم ، ﴿ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴾ شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل ، وهو كالتعليل لما أمر به ونهي عنه .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ واحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ، ﴿ وإذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ وإذا شئنا اهلكناهم وبدلنا أمثالهم تبديلا في الخلقة وشدة الأسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء بإذا أوبدلنا غيرهم ممن يطيع وإذا لتحقق القدرة وقوة الداعية .

الآيات من ٢٩ : ٣١

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلي السوة أولاآيات القريبة ، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ تقرب إليه بالطاعة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وما تشاءون ذلك إلاوقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاءون بالياء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يستاهل كل أحد .﴿حَكِيمًا﴾ لايشاء إلا ما تقتضيه حكمته .

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة . ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره أعد له ممثل أوعد وكافا لياطبق الجملة المعطوف لعيها وقرئ بالرفع علي الابتداء .

فضل سورة الإنسان

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة هل أتي كان جزاوه علي الله جنة وحريرا» (٩)

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسير الشكاف ، وقال الحافظ ابن حجر أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٧٧) سورة المرسلات مكية (١)

آياتها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٢٠

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ
فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا
النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ
أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠)

---

(١) في تفسير الكشاف والقرطبي مكية ماعدا آية ٤٨ وهي « وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون ﴾ فهي مدنية .

وفي تفسير الكشاف نزلت بعد الهمزة .

وفي تفسير القرطبي : قال ابن مسعود رضى الله عنه : نزلت ﴿ والمرسلات عرفا ﴾علي النبي ﷺ ليلة الحية » ونحن معه نسير حتي اوينا إلي غار بمني فنزلت ، فبينا نحن نتلقاها منه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليه لنقتلها فذهبت فقال النبي ﷺ « وقيتم شرها كماوقيت شركم » .

وعن كريب مولي ابن عباس رضى الله عنهما قال : قرات سورة﴿ والمرسلات عرفا ﴾ فسمعتني ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت : والله يابني لقد اذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ماسمعت رسول الله ﷺ يقرا بها في صلاة المغرب .

وذكر الخبر الأول ابن كثير في تفسيره وعزاه إلي مسلم في صحيحه من طريق الأعمش وهو كذلك في صحيح مسلم في كتاب قتل الحيات وغيرها ٧ / ٤٠ وهو ايضا في صحيح البخاري في تفسير سورة « المرسلات » ٦ / ٢٠٥ .

والخبر الثاني ذكره ابن كثير أيضا من رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قسم بطوائف الملائكة

﴿ والمرسلات عرفا ﴾

﴿ فالعاصفات عصفا ﴾

﴿ والناشرات نشرا ﴾

﴿ فالفارقات فرقا ﴾

﴿ فالملقيات ذكرا ﴾ إقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله تعالي بأوامره متتابعة، فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتي بالجهل بما أوحين من العلم، ففرقن بين الحق والباطل، فالقين إلي الأنبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلي محمد ﷺ، فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدي والحكم في الشرق والغرب، وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين.

أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلي الأبدان لاستكمالها فعصفن ماسوي الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شئ هالكا إلا وجهه، فالقين ذكرا بحيث لايكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله تعالي.

أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو، ففرقن فالقين ذكرا أي تسببن له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالي وتذكر كمال قدرته.

وعرفاً إما نقيض النكر وانتصابه علي العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعني المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه علي الحال (٢).

واخرجه الشيخان في صحيحهما – البخاري في كتاب الاذان – باب القراءة في المغرب ١ / ١٩٣ ومسلم – كتاب الصلاة – باب القراءة في الصبح ٢ / ٤٠.

(٢) فسر الجلالان في تفسير الجلالين: المرسلات عرفا بالرياح المتابعة كعرف الفرس والعاصفات بالرياح الشديدة والناشرات بالرياح تنشر المطر، والفارقات بآيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، والملقيات ذكرا بالملائكة تنزل بالوحي إلي الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلي الأمم.

وهذا التفسير موافق لما جاء في تفسير شيخ المفسرين الطبري في بعض الآراء التي عرضها في تفسير هذه الآيات.

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف، أو جمعان لعذير بمعني المعذرة ونذير بمعني الإنذار ، أو بمعني العاذر والمنذر ، ونصبهما علي الأولين بالعلية أى عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين ، أو البدل من ذكرا علي أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر وعلي الثالث بالحالية، وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف .

جواب القسم

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة .

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ محقت او اذهب نورها .

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ صدعت .

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ كالحب ينسف بالمنسف .

﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ عُيِّن لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة علي الأمم بحصوله، فإنه لايتعين لهم قبله ، أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت علي الأصل.

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ اي يقال لاي يوم اخرت، وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ، ويجوز أن يكون ثاني مفعولي اقتت علي أنه بمعني اعلمت .

يوم الفصل وروعته

﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ بيان ليوم التاجيل.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله (٣) .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ اي بذلك ، وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به إلي الرفع للدلالة علي ثبات الهلاك للمدعو عليه ، ويومئذ ظرفه أو صفته .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود، وقرئ نهلك من هلكه بمعني اهلكه.

---

(٣) ويوم الفصل هو يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق ويقضي بأهل الجنة إلي الجنة وبأهل النار إلي النار بناء علي اعمالهم جاء في الحديث الشريف « إذا حشر الناس يوم القيامة قاموا أربعين عاما علي رؤسهم الشمس شاخصين ابصارهم إلي السماء ينتظرون الفصل » القرطبي .

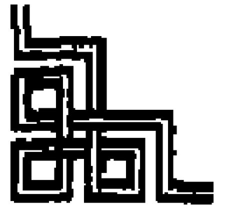
﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة، وقرئ بالجزم عطفا علي نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسي عليهم الصلاة والسلام .

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الفعل . ﴿ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ بكل من أجرم .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا ، وكذا إن اطلق التكذيب أوعلق في الموضعين بواحد، لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا الإهلاك في الدنيا ، مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب .

الآيات من ٢٠ : ٣٤

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) ﴾ .



دعوة للتفكير في نشأة الإنسان للاعتبار

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ نطفة مذرة ذليلة .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ هو الرحم .

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ إلي مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالي للولادة .

﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ علي ذلك ، أو فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد . ﴿ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ نحن. ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بقدرتنا علي ذلك أو علي الإعادة .

الأرض وما فيها من عبرة

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ كافتة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع، أو مصدر نعت به أوجمع كافت كصائم وصيام، أو

كفت وهو الوعاء اجري علي الأرض باعتبار اقطارها .

﴿ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ منتصبان علي المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات، أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الإنس، أو بنجعل علي المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعني بالاحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم ، أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير، ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ بخلق الانهار والمنابع فيها .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بامثال هذه النعم .

العذاب في انتظار المكذبين

﴿ انطَلِقُوا ﴾ اي يقال لهم انطلقوا ، ﴿ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ من العذاب .

﴿ انطَلِقُوا ﴾ خصوصا وعن يعقوب انطلقوا علي الإخبار عن امتثالهم للأمر اضطرارا. ﴿ إِلَىٰ ظِلٍّ ﴾ يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى ﴿ وظل من يحموم ﴾ ﴿ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ يتشعب لعظمه كما تري الدهان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم، أو لأن المؤدى إلي هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالية في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ، ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره .

﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ تهكم به م ورد لما أوهم لفظ الظل، ﴿ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا.

---

(٤) قيل: إن هذه الآية مدنية لأن الصلاة لم تشرع إلا في المدينة وجاء في تفسير الفخر الرازي: " المراد بالركوع الخضوع والخشوع لله تعالي وان لايعبد سواه ، وعلي هذا فلايترتب ان المقصود بالركوع هو الصلاة ولايترتب ايضا ان تكون مدنية .

نقول : وعلي فرض أن المراد بالركوع الصلاة فقد كانت هناك صلاة قبل الهجرة وكانت الصلاة ركعتين في الغداة وركعتين في العشي وإنما فرضت بصورتها الراهنة في ليلة الإسراء والمعراج.

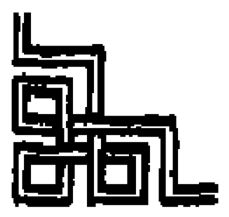
﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ اي كل شرارة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار، وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعني القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج ، وكالصر جمع قصرة وهي أصل العنق والهاء للشعب .

﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ ﴾ جمع جمال او جمالة جمع جمل، ﴿ صُفْرٌ ﴾ فإن الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر، وقيل سود لأن سواد الإبل يضرب إلي الصفرة ، والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة، وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

الآيات من ٣٥ : ٥٠

﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾ .



الرهبة تخرس الألسن

﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾ اي بما يستحق فإن النطق بما لاينفع كلا نطق، أو بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف، وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع يومئذ .

﴿ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عطف فيعتذرون علي يؤذن ليدل علي نفي الإذن والاعتذار

عقيبه مطلقا، ولو جعله جوابا لدل علي ان عدم اعتذارهم لعدم الإذن فاوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه .

﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين المحق والمبطل .﴿ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ تقرير وبيان للفصل .

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ تقريع لهم علي كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إذ لاحيلة لهم في التخلص من العذاب .

نجاة المتقين وسعادتهم

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ عن الشرك لانهم في مقابلة المكذبين .﴿ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ مستقرون في أنواع الترفه .

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ اي مقولا لهم ذلك .

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد .

متاع الدنيا قليل يغتر به الجاهلون

﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك ، تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا علي انفسهم من إيثار المتاع القليل علي النعيم المقيم .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا ﴾ اطيعوا واخضعوا أو صلوا اركعوا في الصلاة، إذ روي : أنه نزل حيث امر رسول الله ﷺ ثقيفا بالصلاة فقالوا: لانجبي اي لانركع فإنها مسبة، وقيل: هو يوم القيامة حين يدعون إلي السجود فلايستطيعوان .﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ لايمتثلون واستدل به علي أن الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع (٥) ﴿ وَيْلٌ

---

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضي الله عنه .

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل علي الحجج الواضحة والمعاني الشريفة.

فضل سورة المرسلات

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين** ».

(٧٨) سورة النبأ مكية (١)
وآياتها أربعون
الآيات من ١ : ١٥

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ
سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا
(٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا
النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) ﴾.

تساؤل الكفار عن القرآن والبعث

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أصله عما فحذف الألف لما مر ، ومعني هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم (٢) أو يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم : يتداعونهم ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم، أو للناس .

﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ بيان لشأن المفخم ، أو صلة يتساءلون ، وعم متعلق بمضمر مفسر به ، ويدل عليه قراءة يعقوب : عمه .

﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ بجزم النفي والشك فيه ، أو بالإقرار والإنكار .

﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه .

﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ تكرير للمبالغة وثم للاشعار بأن الوعيد الثاني أشد، وقيل : الأول عند النزع والثاني في القيامة ، أو الأول للبعث والثاني للجزاء، وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء علي تقدير قل لهم ستعلمون .

نعم الله ومننه علي عباده

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد سورة المعارج .

(٢) والمقصود ايضا بالنبأ العظيم القرآن الكريم فقد ورد وصفه بذلك في قوله تعالي ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ سورة ص ٦٧ ، ٦٨ .

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة علي كمال قدرته ليستدلوا بذلك علي صحة البعث كما مر تقريره مرارا، وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه (٣) .

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ذكرا وانثي .

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ قطعا عن الإحساس والحركة استراحة للقوي الحيوانية وإزاحة لكلالها، أوموتا لأنه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت، وأصله القطع أيضا(٤) .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء .

﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به ، أو حياة تنبعثون فيها عن نومكم .

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور .

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ متلألئا وقادا من وهجت النار إذا اضاءت أو بالغا في

---

(٣) في تعليق المنتخب من التفسير : يبلغ سمك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلو مترا وتكثر فيه التجاعيد فيرتفع حيث الجبال ، وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات وهو في حالة من التوازن بسبب الضغوط الناتجة من الجبال ولايختل هذا التوازن إلا بعوامل التعرية فقشرة الأرض اليابسة ترسيها الجبال كما ترسي الأوتاد الخيمة . المنتخب في تفسير القرآن الكريم المجلس الأعلي للشئون الإسلامية : ص ٨٧٧ .

(٤) النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك الواعي من المخ، اي قشرته أوهبوط ذلك النشاط هبوطا كبيرا متفاوت الدرجات في نشاط كافة اعضاء الجسم وانسجته مما يترتب عليه انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته ثم يأخذ الجسم اثناء النوم نصيبا من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أوكليهما فتهبط جميع وظائف الجسم الحيوية ماعدا عمليات الهضم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد فإن في وقف هذه العمليات الأخيرة ضررا علي حياة الفرد أما التنفس مثلا فيبطئ ويصير أكثر عمقا ، ويغدو صدريا أكثر منه بطنيا وتبطئ سرعة النبض ويقل مقدار مايدفعه من القلب من كل ضربة ويضعف توتر العضلات ويصير من الصعب الحصول علي الحركات العكسية وكل هذا يسبب الراحة للإنسان أثناء نومه .   المرجع السابق .

الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (٥) .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ السحائب إذا اعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمر كقولك :احصد الزرع إذا حان له ان يحصد ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض ، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو الرياح ذوات الأعاصير وإنما جعلت مبدأ للانزال لأنها تنشئ السحاب وتدرأ خلافه ، ويؤيده انه قرئ بالمعصرات .

﴿ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه . وفي الحديث « افضل الحج العج والثج » أي رفعالصوت بالتبية وصب دماء الهدى ، وقرئ ثجاجا ، ومثاجج الماء مصابه (٦) .

﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ مايقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش .

﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع .قال :

جَنَّة لفٌ وَعَيْشٌ مُغْدق ‌ ‌ ‌ ‌ وَنَدامى كُلُّهُمْ بيضٌ زهر (٧)

أو لفيف كشريف أولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار أومتلفة بحذف الزوائد .

(٥) المراد بالسراج الوهاج الشمس وذلك كما ثبت علميا من أن درجة حرارة سطحها تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقة أما المركز فتزيد فهي درجة الحرارة علي ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المواد فيه من الضغوط العالية وتشع الشمس النسب الآتية من الطاقات ٩٪ اشعة فوق البنفسجية .

٤٦٪ أشعة ضوئية .

٤٥٪ أشعة حرارية اوتحت الحمراء ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذي يطلق للضوء والحرارة معا المرجع السابق .

(٦) المطر هوالمصدر الوحيد للماء العذب علي الأرض والاصل في المطر تكاثف ابخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار ونحوها علي شكل سحب وتحويلها إلي نقط من الماء أو بلورات من الثلج أوهماعا ، وتتساقط هذه المكونات عندما تزدادا حجومها علي هيئة مطر أو برد . المرجع السابق .

(٧) هذا البيت للحسن بن علي الطوسي ، واللف بالكسر – الملتف أراد الملتفة لتكاثف اشجارها وأوراقها .

والمعدف : الكثير الواسع .

الآيات من ١٦ : ٢٦

﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) ﴾.

يوم القيامة ومظاهره

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ ﴾ في علم الله تعالي أو في حكمه . ﴿ مِيقَاتًا ﴾ حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده ، اوحدا للخلائق ينتهون إليه .

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ بدل او بيان ليوم الفصل، ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ جماعات من القبور إلي المحشر روي «انه ﷺ سئل عنه فقال: يحشر عشرة أصناف من امتي بعضهم علي صورة القردة، وبعضهم علي صورة الخنازير.، وبعضهم منكسون يسحبون علي وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم ، وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة علي صدورهم فيسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع، وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون علي جذوع من نار ، وبعضهم اشد نتنا من الجيف، وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وآكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين بأعمالهم ، والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس إلي السلطان ، والتابعين للشهوات المانعين حق الله تعالي، والمتكبرين الخيلاء.

﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴾ وشققت وقرا الكوفيون بالتخفيف ﴿ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات أبواب .

﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴾ اي في الهواء كالهباء . ﴿ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ مثل سراب إذ تري علي صورة الجبال ولم تبق علي حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها .

جهنم مصير الكافرين

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها ، كالمضمار فإنه الموضع الذي

تضمر فيه الخيل، أو مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح علي التعليل لقيام الساعة .

﴿ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ مرجعا وماوي .

﴿ لابِثِينَ فِيهَا ﴾ وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ ﴿ أَحْقَابًا ﴾ دهورا متتابعة وليس فيها مايدل علي خروجهم منها إذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة اوسبعون ألف سنة، فليس فيه ما يتقضي تناهي تلك الأحقاب لجواز ان يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضي حقب تبعه آخر، وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطق الدال علي خلود الكفار ، ولو جعل قوله :

﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴾

﴿ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين إلا حميما وغساقا ، ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ، ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل إذا اخطاه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعني لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد مايروحهم وينفس عنهم حر النار، أو النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثني من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد .

﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ اي جوزا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم ، أو موافقا لها أو وافقها وفاقا ، وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا .

الآيات من ٢٧ : ٤٠

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا

أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ بيان لما وافق هذا الجزاء.

﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ تكذيبا وفعال بمعني تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعني الكذب كقوله :

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُهَا   وَالمرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ (٨)

وإنما اقيم مقام التكذيب للدلالة علي انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة ، أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المبالغين فيه ، وعلي المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعني كاذبين أو مكاذبين ويؤيده أنه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ، ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أي تكذيبا مفرطا كذبه .

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ وقرئ بالرفع علي الابتداء ﴿ كِتَابًا ﴾ مصدر لأحصيناه فإن الاحصاء والكتبة يتشاركان في معني الضبط أو لفعله المقدر اوحال بمعني مكتوبا في اللوح ، أو صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله :

﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه علي طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث « **هذه الآية أشد ما في القرآن علي أهل النار** » (٩) .

---

(٨) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ولم يسنده لقائل وكذلك لم ينسبه صاحب مشاهد الإنصاف علي شواهد الكشاف لقائل .

والشاهد فيه كذاب – علي وزن كتاب – مصدر مضاف لفاعل ونسبه القرطبي في تفسيره للأعشي .

والضمير في صدقتها وكذبتها للنفس والمراد أن يصدق نفسه تارة بأن يقول إن أمانيها محققة وتكذيبها بخلافه أوعلي العكس .

(٩) أخرجه ابن بي حاتم والثعلبي من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن ورواه الطبراني والبيهقي في الشعيب موقوفا .

وفي تفسير ابن كثير : حدثنا حسر بن فرقد عن الحسن قال: سالت أبا برزة الأسلمي عن

فوز المتقين بالجنة

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ فوزا او موضع فوز

﴿ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال والبعض .

﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ نساء فلكت ثديهن ﴿ أَتْرَابًا ﴾ لدات .

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ ملآنا وادهق الحوض ملأه .

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذبا او مكاذبة إذ لايكذب بعضهم بعضا ،

﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ ﴾ بمقتضي وعده ﴿ عَطَاءً ﴾ تفضلا منه إذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به ﴿ حِسَابًا ﴾ كافيا من احسبه الشئ إذا كفاه حتي قال حسبي، او علي حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعني المدرك .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو وعلي الابتداء.

﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ بالجر صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب بالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني علي انه خبر محذوف ، او مبتدا خبره، ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ والواو لأهل السموات والأرض اي لا يملكون خطابه ، والاعتراض عليه في ثواب أوعقاب لأنهم مملوكون له علي الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافي الشفاعة بإذنه.

من مشاهد يوم القيامة

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فإن هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضي إلا بإذنه ، فكيف

أشد آية في كتاب الله علي أهل النار قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ فقال: « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل وضعف ابن كثير فرقد .

يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون ، او ليتكلمون والروح ملك موكل علي الأرواح او جنسها أو جبريل عليه السلام أوخلق أعظم من الملائكة .

﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ الكائن لامحالة .﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ إلي ثوابه ﴿ مَآبًا ﴾ بالإيمان والطاعة .

﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فإن كل ماهو آت قريب ولأن مبداه الموت

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ يري ماقدمه من خير أو شر ، المرءعام وقيل هو الكافر لقوله ﴿ إنا انذرناكم ﴾ فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم ، وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت ، أي ينظر أي شئ قدمت يداه، ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ في الدنيا فلم اخلق ولم أكلف أو في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها .

فضل سورة النبأ

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة** » (١٠) .

---

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف وقال ابن حجر : أخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

سورة النازعات مكية (١)

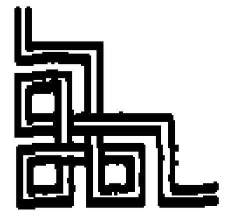
وآياتها ست وأربعون

الآيات من ١ : ١٢



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) ﴾.



قسم علي حتمية قيام الساعة

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ .

﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾.

﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ .

﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ .

﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أي إغراقاً في النزع، فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان ، أو نفوسا غرقت في الأجساد وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشئ من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفار إلي النار وبأرواح المؤمنين إلي الجنة ، فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات، أو الأوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها أي يسرعون فيه فيسبقون إلي ما أمروا به فيدبرون أمره.

أو صفات النجوم فإنها تنزع من المشرق إلي المغرب غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتي تنحط في أقصي الغرب، وتنشط من برج إلي برج أي تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلي بلد ، ويسبحن في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد النبأ.

فيدبر أمرا نيط بها، كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات، ولما كانت حركاتها من المشرق إلي المغرب قسرية، وحركاتها من برج إلي برج ملائمة سمي الأولي نزعا والثانية نشطاً.

أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع عن الأبدان غرقا ، أي نزعاً شديداً من إغراق النازع في القوس ، وتنشط إلي عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق إلي حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات .

أو حال سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات فتنشط إلي عالم القدس ، فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق إلي الكمالات حتي تصير من المكملات .

أو صفات أنفس الغزاة ، أو أيديهم تنزع القسي بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلي حرب العدو فيدبرون أمرها .

أو صفات خيلهم فإنها تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الإسلام إلي دار الكفر، وتسبح في حربها فتسبق إلي العدو فتدبر أمر الظفر.

المقسم عليه

اقسم الله تعالي بها علي قيام الساعة وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه .

﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** ﴾ وهومنصوب به والمراد بالراجفة الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالي ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ (٢) او الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولي.

﴿ **تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتشر ، أو النفخة الثانية، والجملة في موقع الحال.

﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ** ﴾ شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر.

﴿ **أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ﴾ اي ابصار أصحابها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها إلي القلوب .

---

(٢) المزمل : ١٤ .

إنكار الكفار للبعث

﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ في الحالة الاولي يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقه التي جاء فيها ، فحفرها أي اثر فيها بمشيه علي النسبة كقوله تعالي ﴿ في عيشة راضية ﴾[٣] او تشبيه القائل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعني المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفراً وهي حفرة.

﴿ أءِذَا كُنَّا ﴾ وقرا نافع وابن عامر والكسائي إذا كنا علي الخبر . ﴿ عظامًا نَّخرَةً ﴾ بالية وقرا الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ.

﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ذات خسران او خاسر اصحابها ، والمعني انها إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم .

الآيات من ١٣ : ٢١

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ﴾.

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ متعلق بمحذوف اي لايستصعبوها فما هي إلا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية.

﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ فإذا هم احياء علي وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في بطنها، والساهرة والأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة، أو لأن سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم.

إشارة إلي قصة موسي وهلاك المكذبين به

﴿ هلْ أتاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ اليس قد اتاك حديثه فيسليك علي تكذيب قومك وتهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم .

---

(٣) الحاقة : ٢١ .

﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ قد مر بيانه في سورة طه.

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ علي إرادة القول ، وقرئ ان اذهب لما في النداء من معني القول .

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ هل لك ميل إلي ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكي بالتشديد .

﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وأرشدك إلي معرفته .﴿ فَتَخْشَىٰ ﴾ باداء الواجبات وترك المحرمات ، إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾(٤) .

﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبري وهي قلب العصا حية فإنه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة .

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ فكذب موسي وعصي الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر.

الآيات من ٢٢ : ٣٦

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) ﴾ .

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾عن الطاعة﴿ يَسْعَىٰ ﴾ ساعيا في إبطال امره أو أدبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه .

﴿ فَحَشَرَ ﴾ فجمع السحرة أوجنوده ، ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ في المجمع بنفسه أو بمناد .

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ اعلي كل من يلي امركم.

(٤) طه ٤٤ .

﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾ اخذا منكلا لمن رآه اوسمعه في الآخرة بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق أو علي كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الأولي وهو قوله ﴿ ماعلمت لكم من إله غيري ﴾ (٥) او للتنكيل فيهما ، او لهما ويجوز أن يكن مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله.

﴿ إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ لمن كان من شانه الخشية.

خطاب لأهل مكة

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ اصعب خلقا ﴿أَمِ السَّمَاءُ ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال : ﴿ بَنَاهَا ﴾ثم بين البناء فقال: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ اي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها لذاهب في العلو رفيعا .﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ فعدلها او فجعلها مستوية، او فتممها بما يتم به كمالها من الواكب والتداوير وغيرها من قولهم : سوي فلان أمره إذا أصلحه.

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾اظلمه منقول من غطش الليل إذا اظلم وإنما اضافه إليها لأنه يحدث بحركتها ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ وابرز ضوء شمسها ، كقوله تعالي ﴿ والشمس وضحاها ﴾ (٦) يريد النهار .

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ بسطها ومهدها للسكني (٧) .

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ بتفجير العيون .﴿ وَمَرْعَاهَا ﴾ ورعيها وهو في الأصل لموضع الرعي، وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال باضمار قد أو بيان للدحو.

﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع علي الابتداء وهو مرجوح لأن العطف علي فعلية ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ تمتيعا لكم ولمواشيكم .

---

(٥) القصص : ٣٨.

(٦) الشمس:١ .

(٧) لاتنفي هذه الآية ان الأرض خلقت قبل السماء قال ابن كثير : خلقت الأرض قبل السماء ولكنها دُحيت بعد خلق السماء بمعني انه اخرج ماكان فيها بالقوة إلي الفعل وهذا معني قول ابن عباس وغير واحد ، واختاره ابن جرير . وفي تفسير ابن جرير الطبري خلق الله الأرض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوي إلي السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك ، فذلك قوله ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ .

من أسماء القيامة الطامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ ﴾ الداهية التي تطم اي تعلو علي سائر الدواهي ﴿ الْكُبْرَىٰ ﴾ التي هي أكبر الطامات وهي القيامة، أو النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلي الجنة وأهل النار إلي النار .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ بأن يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من إذا جاءت وما موصولة او مصدرية ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ واظهرت ﴿ لِمَن يَرَىٰ ﴾ لكل راء بحيث لاتخفي علي احد، وقرئ وبرزت ولمن رأى تري علي أن فيه ضمير الجحيم كقوله تعالي ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾(٨) او انه خطاب الرسول ﷺ اى لمن تراه من الكفار وجواب فإذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أو ما بعده من التفضيل.

الآيات من ٣٧ : ٤٦

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

مصير الطاغين

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ حتي كفر

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس.

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ هي ماواه واللام فيه سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب الماوي هو الطاغي وهي فصل اومبتدأ .

مصير المؤمنين

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد.

﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ لعلمه بانه مرد.

---

(٨) الفرقان : ١٢ .

﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ليس لها سواها ماوي

سؤال لهم عن موعد الساعة وإجابة سؤالهم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ متي إرساؤها اي إقامتها وإثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسي السفينة وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه.

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ في اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم ، وتبيين وقتها في شئ فإن ذكرها لايزيدهم إلا غيا ووقتها مما استأثر الله تعالي بعلمه وقيل: فيم إنكار لسؤالهم وانت من ذكرها مستانف ومعناه انت ذكر من ذكرها اى علامة من اشراطها فإن إرساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل: إنه متصل بسؤالهم والجواب

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ اي منتهي علمها

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ إنما بعثت لإنذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشي لانه المنتفع به ، وعن ابي عمرو ومنذر بالتنوين والإعمال علي الأصل لانه بمعني الحال.

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾ في الدنيا او في القبور ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ اي عشية يوم اوضحاه كقوله ﴿إلا ساعة من نهار ﴾(٩) ولذلك اضاف الضحي إلي العشية لانهما من يوم واحد.

فضل سورة النازعات

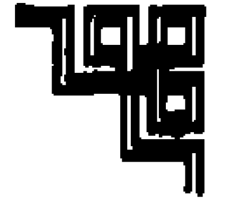
عن النبي ﷺ «من قرأ سورة النازعات كأن ممن حبسه الله في القيامة حتي يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة »(١٠) .

---

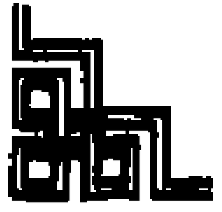
(٩) الاحقاف :

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسناد إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(٨٠) سورة عبس مكية (١)
وآياتها ثنتان وأربعون
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ١٣ .



﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ ﴾ .



سبب نزول السورة

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ .

﴿ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ روي : أن ابن أم مكتوم (٢) اتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلي الإسلام ، فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم ، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت ، فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه : مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي ، واستخلفه على المدينة مرتين .

وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاء علة لتولي ، أو عبس علي اختلاف المذهبين،

---

(١) في تفسير الكشاف :نزلت بعد النجم

(٢) ابن ام مكتوم : هو عبد الله بن شريح وقيل عمرو وهو ابن ام مكتوم من بني عبد غنم بن عامر بن لؤي.

قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وكان قد ذهب بصره ، وشهد القادسية ومعه راية المسلمين ثم رجع إلي المدينة ومات بها ، وكان النبي ﷺ يستخلفه في بعض غزواته استخلفه في ثلاث عشرة غزوة.

وقيل في اسمه عمروبن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري وامه أم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عتكة بن عامر بن مخزوم وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها .

وقيل: استشهد بالقادسية .

راجع ترجمته في أسد الغابة في موضعين : عبد الله بن شريح وعمرو بن قيس .

وقرئ آآن بهمزتين وبألف بينهما بمعنى ألئن جاءه الأعمي فعل ذلك ، وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق ، أو لزيادة الإنكار كأنه قال تولى لكونه أعمى كالالتفات في قوله :

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ أى : وأى شئ يجعلك داريًا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك . وفيه إيماء أن إعراضه كان لتزكية غيره .

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أو يتعظ فتنفعه موعظتك ، وقيل: الضمير في لعله للكافر اى أنك طمعت في تزكيه بالإسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره ، فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن ، وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابًا للعل .

﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾ .

﴿ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾ تتعرض له بالإقبال عليه واصله تتصدى ، وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالإدغام وقرئ . تصدي أى تعرض وتدعى إلى التصدى .

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن اسلم ﴿إن عليك إلا البلاغ ﴾ (٣) .

﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ يسرع طالبًا للخير .

﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ الله أو اذية الكفار في إتيانك، أو كبْوة الطريق لأنه اعمى لا قائد له

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ تتشاغل ، يقال لها عنه والتهى وتلهي، ولعل ذكر التصدق والتلهى للإشعار بأن العتاب اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير، ومثله لا ينبغى له ذلك.

هذا تذكير للنبى ﷺ وتذكير بالقرآن

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع عن المعاتب عليه أوعن معاودة مثله . ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ .

﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن ، أو العتاب المذكور وتأنيث الأول لتأنيث خبره .

﴿ فِي صُحُفٍ ﴾ مثبتة فيها صفة لتذكرة ، أو خبر ثان او خبر لمحذوف . ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾ عند الله.

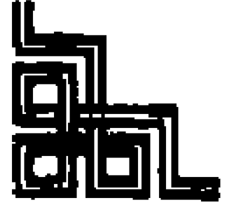


الآيات من ١٤ : ٢٤

﴿ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

(٣) الشوري ٤٨ .

﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ
فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ
طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .



﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ القدر . ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ منزهة عن أيدى الشياطين :

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو الوحى، أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله ، او الأمة جمع سافر من السفر ، أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة إذا كشفت وجهها .

﴿ كِرَامٍ ﴾ اعزاء علي الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم .

﴿ بَرَرَةٍ ﴾ أتقياء .

لعن الكافر وتهديده وتهوين أمره

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراط فى الكفران، وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (٤) .

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوثه ، والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله :

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ فهياه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال ، أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقته .

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ ثم سهل مخرجه من بطن امه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس ، أو ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير ، وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام ،وفيه على المعني الأخير إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله:

---

(٤) قيل : الإنسان هنا يقصد به عتبة بن ابي لهب ، وكان قد آمن اولا فلما نزلت «والنجم» ارتد وقال آمنت بالقرآن كله إلا النجم ، فانزل الله جل ثناؤه فيه ﴿ قتل الإنسن ما اكفره ﴾ اي لعن عتبة حيث كفر بالقرآن، ودعا عليه رسول الله ﷺ فقال « اللهم سلط عليه كلبك اسد الغضرة ، فخرج من فوره بتجارة إلي الشام فلما انتهي الغاضرة تذكر دعاء النبي ﷺ فجعل لمن معه الف دينار إن هو اصبح جيار فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا المتاع حوله، فبينما هم علي ذلك اقبل الأسد فلما دنا من الرجال وثب فإذا هو فوقه فمزقه وقد كان أبوه ثديه وبكي وقال ما قال محمد شيئا فقط إلاكان – تفسير القرطبي .

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ .

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ وعد الإماتة والإقبار فى النعم لأن الإماته وصلة فى الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة بالقبر تكرمة وصيانه عن السباع ، وفى إذا شاء إشعار بأن وقت النشور غير متعين فى نفسه ، وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع للإنسان بما هو عليه . ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأمره ، إذ لا يخلو أحد من تقصير ما .

وجوب تدبر الإنسان فيما حوله من نعم ليدرك عظمة المنعم

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية .

الآيات من ٢٥ : ٤٢

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾ .

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴾ اى بالنبات او بالكراب ، وأسند الشق إلي نفسه إسناد الفعل إلي السبب . .

﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ كالحنطة والشعير .

﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى .

﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴾ .

﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ عظامًا وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها، او لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب .

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ومرعى من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع ، أو من أب لكذا إذا تهيأ

له لأنه متهيئ للرعي ، أو فاكهة يابسة تؤوب للشتاء .

﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ فإن الأنواع المذكور بعضها طعام وبعضها علف .

تصوير حالة الفزع يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ أى النفخة وصفت بها مجازاً لأن الناس يصخون لها

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ .

﴿ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ .

﴿ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه ، أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل : يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه .

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ يكفيه في الاهتمام به ، وقرئ يعنيه أى يهمه (٥) .

تباين حال الناس يوم القيامة

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ مضيئة من إسفار الصبح .

﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ لما ترى من النعيم

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ غبار وكدورة .

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ يغشاها سواد وظلمة .

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجور ، فلذلك يجمع إلي سواد وجوههم الغبرة .

فضل سورة عبس

قال النبى ﷺ «من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر» (٦) .

---

(٥) ورد حول هذه الآية ماروواه ابن عباس رضى الله عنهما قال « قال رسول الله ﷺ تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت زوجته ، يارسول الله أويري بعضنا عورة بعض ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه » أوقال « ما اشغله عن النظر » .
رواه الترمذي وحسنه وصححه تحفة الأحوذي ٩ / ٢٥١ تفسير سورة عبس ورواه النسائي في سننه كتاب الجنائز باب البعث ٤ / ١١٤ .

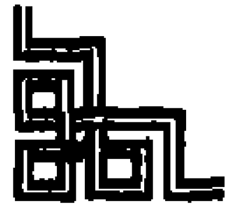
(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي باسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(١) سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ١١

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ ﴾.



من مظاهر القيامة

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ لُفَّتْ من كورت العمامة إذا لففتها بمعني رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لف، أو لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، والقيت عن فلكها من طعنه فكوره إذا القاه مجتمعا والتركيب للإدارة والجمع، وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها أولي لأن إذا الشرطية تطلب الفعل.

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ انقضّت قال :

أَبْصرَ خرْبَانَ فَضَاءَ فانكدر (٢)

أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر .

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ عن وجه الأرض أو في الجو.

﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ ﴾ النوق اللواتي اتي علي حملهن عشرة أشهر جمع عشراء ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ تركت مهملة ، او السحائب عطلت عن المطر ، وقرئ بالتخفيف.

---

(١) في الكشاف : نزلت بعد المسد .

(٢) من أرجوزة للعجاج يمدح فيها عمر بن عبيد الله التميمي وفيها يقول

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر
تقضي البازي إذالبازي كسر
دانى جناحيه من الطود فمر
أبصر خربان فضاء فانكدر

والخربان نوع من الطيور جمع خرب وهو طائر يقال له الحباري وانكدر : انقض يصور ممدوحه بأنه ينقض علي أعدائه وهو يماريهم انقضاض البازي حين يبصر فريسته .

﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا، أو اميتت من قولهم إذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد .

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ احميت أو ملئت بتفجير بعضها إلي بعض حتي تعود بحرا واحدا، من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف .

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قرنت بالابدان أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين.

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ ﴾ المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق، أو لحوق العار بهم من أجلهم ﴿ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ تبكيتا لوائدها كتبكيت النصاري بقوله تعالي لعيسي عليه الصلاة والسلام ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ (٣) وقرئ سالت اي خاصمت عن نفهسا وسالت ، وإنما قيل قتلت علي الإخبار عنها وقرئ قتلت علي الحكاية .

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ يعني صحف الأعمال فإنها تطوي عند الموت وتنشر وقت الحساب، وقيل: نشرت فرقت بين أصحابها ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر ، أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير.

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ قلعت وازيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة ، وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير.

الآيات من ١٢ : ٢٤

﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) ﴾.

﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ اوقدت إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد .

(٣) المائدة : ١١٦ .

﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ قُرِّبَتْ من المؤمنين .﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده، لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس علي اعمالها ، ونفس في معني العموم كقولهم تمرة خير من جرادة.

قسم علي تحقق نزول القرآن من عند الله

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر، وهي ما سوي النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله :

﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش إذا دخل كناسه ، وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر(٤) .

---

(٤) الجواري الكنس هي الكواكب الخمسة الدراري : زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة فيما ذكر اهل التفسير .
وقيل : هي النجوم عامة لانها تخنس بالنهار وتظهر بالليل – تفسير القرطبي .

* الإعجاز العلمي

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾

لقد أقسم الله تعالى بالكواكب المتخفية عن العيون أو التي يطلق عليها علماء الفلك بـ «المذنبات» وهي التي سماها القرآن بـ« الخنس» وهي ألصق الأوصاف بها .

كما سماها « الجوار الكنس » للسبب نفسه .

ويتضح وجه الإعجاز في الآيتين أن المذنبات من أفراد المجموعة الشمسية تتميز بأن مساراتها حول الشمس مستطيلة جداً ، ويمتد بعضها عبر الفضاء إلى ما بعد مسار الكوكب «نبتون» وتستغرق عشرات السنين لتكمل الدورة الواحدة حيث يخرج بها المسار بعيداً عن الشمس فتختفي عن الأنظار تماما كأنما هي «تخنس» عشرات السنين قبل أن تعود مقتربة من الشمس ، ويكون لهذه المذنبات ذيول تتحرك عبر السماء كأنما تكنسها فهي «الجوار الكنس» .

ويعتبر مذنب « هالي » من أشهر المذنبات ويعود كل ٧٥ عاماً يختفي خلالها في خضم الفضاء الكوني المظلم .

وهكذا يتضح إعجاز القرآن الكريم عندما أطلق على المذنبات اسْمَيْ «الخنس» « والجوار الكنس» . فقد جاء ذلك عن بينة يدركها المختصون في علم الفلك .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ اقبل ظلامه اوادبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر.

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم (٥) .

﴿ إِنَّهُ ﴾ اي القرآن . ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني جبريل فإنه قاله عن الله تعالي .

﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ كقوله شديد القوي ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ عند الله ذي مكانة .

﴿ مُطَاعٍ ﴾ في ملائكته .﴿ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ علي الوحي، وثم يحتمل اتصاله بما قبله ومابعده ، وقرئ ثم تعظيما للأمانة وتفضيلا لها علي سائر الصفات.

نفي الصفات السيئة التي اتهم الكفار بها الرسول ﷺ

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ كما تبهته الكفرة واستدل بذلك علي فضل جبريل علي محمد ﷺ حيث عد فضائل جبريل واقتصر علي نفي الجنون عن النبي ﷺ ، وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر أفتري علي الله كذبا ام به جنة لاتعداد فضلهما والموازنة بينهما .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ ولقد رأي رسول الله ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ بمطلع الشمس .

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ وما محمد ﷺ ﴿ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ علي ما يخبره من الموحي إليه وغيره من الغيوب ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ بمتهم من الظنة ، وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل اي لايبخل بالتبليغ والتعليم ، والضاد من أصل حافة اللسان ومايليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

الآيات من ٢٥ : ٢٩

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ .

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ بقول بعض المسترقة للسمع ، وهو نفي لقولهم إنه لكهانة وسحر

---

(٥) إذا تنفس : إذا امتد حتي يصير نهارا واضحا وقيل :إذاتنفس أي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت .

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول ﷺ والقرآن، كقولك لتارك الجادة أين تذهب.

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ تذكير لمن يعلم .

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير .

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ ﴾ الاستقامة يا من يشاؤها ﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم .﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾مالك الخلق كله .

فضل سورة التكوير

قال عليه الصلاة والسلام « **من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنتشر صحيفته** » (٦) .

---

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر : رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

وجاء في تفسيري القرطبي وابن كثير في فضل السورة عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلي يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ : ﴿ إذاالشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٢٧ والترمذي في تفسير سورة ﴿ إذاالشمس كورت ﴾ .

(٨٢) سورة الانفطار

مكية وآياتها تسع عشرة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ٩

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) ﴾ .

من مظاهر يوم القيامة

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ انشقت .

﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ تساقطت متفرقة .

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحراً واحداً .

﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها . وقيل إنه مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظًا ومعنى .

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ ﴾ من عمل او صدقة . ﴿ وَأَخَّرَتْ ﴾ من سيئة أو تركة ، ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب إذا .

توبيخ للإنسان المعرض عن الله

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ اى شئ خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضى إهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى ، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان ، فإنه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احداً ولا يعاجل بالعقوبة ، والدلالة علي ان كثرة كرمه تستدعي الجد فى طاعته لا الانهماك فى

(١) تفسير الكشاف : نزلت بعد النازعات .

عصيانه اغتراراً بكرمه .

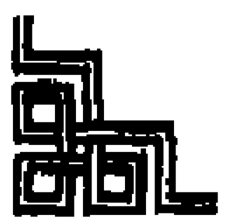
﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيًا ، والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها ، والتعديل جعل البنية معدلة متناسبة الأعضاء ، أو معدلة بما تسعدها من القوى. وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت ، أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوان .

﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ أى ركبك فى أى صورة شاءها ، وما مزيدة وقيل شرطية ، وركبك جوابها والظرف صلة عدلك ، وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله : ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلى فى اغترارهم ، والمراد بالدين الجزاء او الإسلام .

الآيات من ١٠ : ١٩

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) ﴾ .



كل شيء يعمله الإنسان مسجل ومكتوب

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ .

﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والإهمال، وتعظيم الكتبة بكونهم كراماً عند الله لتعظيم الجزاء .

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ بيان لما يكتبون لأجله .

﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يقاسون حرها . ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ لخلودهم فيها . وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها فى القبور .

تعجب من شأن يوم الدين وهو له

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٢) .

﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم ، اى كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار .

﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً (٣) ، ورفع ابن كثير والبصريان يوم علي البدل من يوم الدين ، أو الخبر المحذوف .

فضل سوة الانفطار

عن النبى ﷺ «من قرأ سورة إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة ، وبعدد كل قبر حسنة» (٤) . والله أعلم .

---

(٢) في تفسير الطبري : عن ابن عباس رضى الله عنهما : يوم الدين من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده .
تفسير الطبري ٢ / ٥١٨ ط دار الغد .

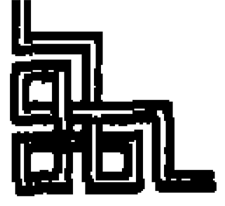
(٣) الأمر يومئذ لله ، اي لاينازعه فيه أحد ، وهو معني قوله تعالي ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ وقوله تعالي ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾

(٤) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف ، وقال ابن حجر ، أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلي أبي بن كعب .

(٨٣) سورة المطففين مكية (١)
وآياتها ست وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٩



﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو
وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ
۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾



إنذار للمطففين في الكيل والميزان

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف اى حقير . روي أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوه ، وفي الحديث «**خمس بخمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا**

---

(١) قال القرطبي :"مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة .

وقال مقاتل : هي أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثمان آيات من قوله ﴿ إن الذين اجرموا ﴾ إلي آخرها مكي .

وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة .

وقال ابن كثير : هي مدنية وآتي بسبب ذلك قال : قال النسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالي ﴿ ويل للمطففين ﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك .

وعن ابن عباس ايضا قال : هي أول سورة نزلت علي رسول الله ﷺ ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم وكانوا إذااشتروا استوفوا بكل راجح فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلي يومهم هذا .

وقال القرطبي : قال : نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ باحدهما ويعطي بالآخر قاله ابو هريرة رضى الله عنه .

طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ اى إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية ، وإنما ابدل علي بمن للدلالة علي ان اكتيالهم لما لهم علي الناس ، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم .

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ اى إذا كالوا الناس أو وزنوا لهم . ﴿ يُخْسِرُونَ ﴾ فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله : ولقد جَنَيْتُكَ أكموًا وَعَساقلا . بمعني جنيت لك أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف مقامه ، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع ، لا في المباشرة وعدمها ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره .

﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ فإن من ظن ذلك لم يتجاسر علي امثال هذه القبائح ، فكيف بمن تيقنه وفيه إنكار وتعجيب من حالهم .

[﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظمه لعظم ما يكون فيه .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ ﴾ نصب بمبعوثون ، أو بدل من الجار والمجرور ، ويؤيده القراءة بالجر .

﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لحكمه(٢)]وفي هذا الإنكار والتعجيب ذكر الظن ووصف اليوم بالعظم ، وقيام الناس فيه لله ، والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه .

غفلة الفجار عن الآخرة وكل شئ مسطور في كتابهم

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب . ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ ﴾ ما يكتب من اعمالهم أو كتابة اعمالهم . ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾

﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ اي مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه ،

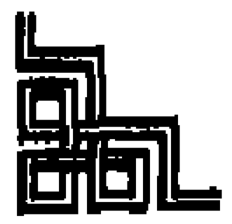
---

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من النسخة التي بين أيدينا وأثبتنا من مطبوعة الحلبي سنة ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥ م .

فعيل من السجن لقب به الكتاب لأنه سبب الحبس ، أو لأنه مطروح كما قيل : تحت الأرضين في مكان وحش ، وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين ، أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (٣) .

الآيات من ١٠ : ١٨

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) ﴾



﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالحق أو بذلك .

لا يكذب بيوم الدين إلا المعتدون الآثمون

﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ صفة مخصصة او موضحة أو ذامة .

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ ﴾ متجاوز عن النظر غال في التقليد حتي استقصر قدرة الله تعالي وعلمه فاستحال منه الإعادة ﴿ أَثِيمٍ ﴾ منهمك في الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءهما وحملته علي الاتقان لما عداه .

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ من فرط جهله وإعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن هذا القول . ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ رد لما قالوه وبيان لما ادي بهم إلي هذا القول ، بأن غلب عليهم حب المعاصي بالإنهماك فيها حتي صار ذلك صدأ علي قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل ، فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام «**إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتي يسود قلبه**» والرين الصدأ ، وقرأ حفص بل ران بإظهار اللام .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن الكسب الرائن . ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فلا

(٣) قال قائلون :إن سجين تحت الأرض السابعة، ومن حديث البراء: يقول الله عز وجل في روح الكافر : «اكتبو كتابه في سجين » مسند الإمام احمد ٤ / ٢٨٧ .
وقيل :سجين صخرة تحت السابعة خضراء وقيل : بئر في جهنم .

يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول علي الملوك ، او قدر مضافا مثل رحمة ربهم ، أو قرب ربهم .

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ ليدخلون النار ويصلون بها .

﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقوله لهم الزبانية .

كتاب الأبرار في عليين

﴿ كَلَّا ﴾ تكرير ليعقب بوعد الأبرار كما عقب الأول بوعيد الفجار إشعارا بأن التطفيف فجور والإيفاء بر ، أو ردع عن التكذيب . ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ .

الآيات من ١٩ : ٣٦

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ .

﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ الكلام فيه ما مر في نظيره .

﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ يحضرونه فيحفظونه ، او يشهدون علي ما فيه يوم القيامة .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ .

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ علي الأسرة في الحجال . ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلي ما يسرده من النعم والمتفرجات .

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ بهجة التنعم وبريقه . وقرا يعقوب تعرف علي البناء للمفعول ونضرة بالرفع .

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ شراب خالص . ﴿ مَّخْتُومٍ ﴾ ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أي

مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ، ولعله تمثيل لنفاسته ، أو الذي له ختام أى مقطع هو رائحة المسك ، وقرأ الكسائي ختامه بفتح التاء أي ما يختم به ويقطع . ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ يعني الرحيق أو النعيم . ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ فليرتغب المرتغبون .

﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ فإنهم يشربونها صرفا لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ، وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا علي المدح أو الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ (٤)

سخرية الكفار من المؤمنين في الدنيا مردودة عليهم في الآخرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ يعني رؤساء قريش ﴿ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين .

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم .

﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ متلذذين بالسخرية منهم ، وقرأ حفص فكهين .

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ وإذا رأو المؤمنين نسبوهم إلي الضلال .

﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ ﴾ علي المؤمنين . ﴿ حَافِظِينَ ﴾ يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم .

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ حين يرونهم أذلاء مغلوبين في النار . وقيل يفتح لهم باب إلي الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها ، فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ حال من يضحكون .

﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ اى هل اثيبوا (٥) .﴿ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء .

فضل سورة المطففين

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة»(٦)

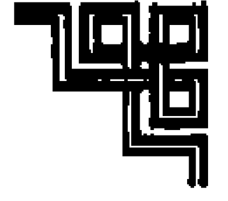
(٤) الإنسان :٦ .   (٥) أسلوب الاستفهام في الآية الغرض منه التقرير .

(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف وقال ابن حجر : اخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي واسندوه إلي أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٨٤) سورة الانشقاق مكية [١]

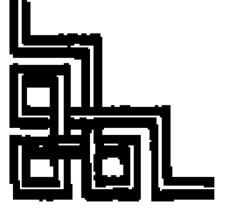
وآياتها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٨

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ ﴾



من مظاهر القيامة

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ بالغمام كقوله تعالي ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾[٢] وعن علي رضي الله تعالي عنه تنشق من المجرة .

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ واستمعت له أى انقادت لتاثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له . ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال : حق بكذا فهو محقوق وحقيق .

﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ بسطت بأن تزال جبالها وآكامها .

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ في الخلو اقصي جهدها حتي لم يبق شئ في باطنها .

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ في الإلقاء والتخلي ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة ، وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام او الإكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار أو لدلالة قوله .

كل إنسان مجزي بعمله

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ عليه وتقديره لاقي الإنسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه ، أو فملاقيه ويا أيها الإنسان إنك كادح إلي ربك اعتراض ، والكدح إليه السعي إلي لقاء جزائه .

---

(١) جاء في الكشاف : نزلت بعد الانفطار .

(٢) الفرقان : ٢٥ .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه ﴾ .

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ سهلا لا يناقش فيه .

الآيات من ٩ : ٢٢

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ إلي عشيرته المؤمنين ، أو فريق المؤمنين ، أو أهله في الجنة من الحور .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ اى يؤتي كتابه بشماله من وراء ظهره . قيل تغل يمناه إلي عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره .

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ يتمني الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك .

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ وقرأ الحجازيان والشامي ويصلي لقوله تعالي ﴿ وتصلية جحيم ﴾ (٣) وقرئ ويصلي لقوله تعالي ﴿ ونصله جهنم ﴾ (٤) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ﴾ اى في الدنيا ﴿ مَسْرُورًا ﴾ بطرا بالمال والجاه فارا عن الآخرة .

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ لن يرجع إلي الله تعالي .

﴿ بَلَىٰ ﴾ إيجاب لما بعد لن ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه .

قسم وجوابه

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ الحمرة التي تري في أفق المغرب بعد الغروب . وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالي : إنه البياض الذي يليها ، سمي به لرقته من الشفقة .

---

(٣) الواقعة : ٩٤ .

(٤) النساء : ١١٥ .

﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال : وسقه واستوسق، قال :

مستوسقات لو يجدن سائقا (٥) .

وطرده إلي أماكنه من الوسيقة (٦) .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ اجتمع وتم بدرا .

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ حالا بعد حال مطابقة لأختها في الشدة ، وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة ، أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها ، أو هي وما قبلها من الدواهي علي أنه جمع طبقة .

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح علي خطاب الإنسان باعتبار اللفظ ، أو الرسول عليه الصلاة والسلام علي معني لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة، أو طبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر علي خطاب النفس ، وبالياء علي الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعني مجاوز الطبق أو مجاوزين له .

تعجب من عدم إيمان الكفار بيوم القيامة

﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بيوم القيامة .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾ لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته . لما روي : أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ﴿ واسجد واقترب ﴾ (٧) فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم فنزلت . واحتج به أبو حنيفة علي وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد . وعن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها (٨) . .

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ اى بالقرآن .

---

(٥) هذا من رجز العجاج ، ذكره اللسان .

وذكر قبله :إن لنا قلائصا حقائقا .

والقلائص جمع قلوص وهي الفتية من الإبل ، والحقائق :جمع حقة التي استحقت الحمل عليها او استحقت ضراب الفحل، ومستوسقات : متحملات أو مجتمعات .

(٦) من معاني الوسق الطرد ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحمر وسيقة قال الشاعر :كما قاف آثار الوسيقة قائف .

(٧) العلق : ١٩ .

(٨) في حكم السجود عند هذه الآية روي الإمام مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن

الآيات من ٢٣ : ٢٥

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) ﴾

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة .

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ استهزاء بهم .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ استثناء منقطع أو متصل [٩] والمراد من تاب وآمن منهم . ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ مقطوع أو ممنون به عليهم .

فضل سورة الانشقاق

وعن النبي ﷺ «من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره»[١٠] .

ابا هريرة قرأ بهم ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها – رواه مسلم – كتاب الصلاة – باب سجود التلاوة ، ورواه النسائي كتاب الافتتاح باب السجود في إذاالسماء انشقت ٢ / ١٦١ .

ورواه البخاري في كتاب الأذان – باب القراءة في العشاء ١ / ١٩٤ .

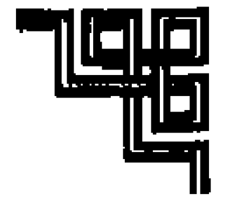
(٩) جاء في القرطبي : ليس استثناء وإنما هو بمعني الواو ، كأنه قال: والذين آمنوا .

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(٨٥) سورة البروج مكية (١)

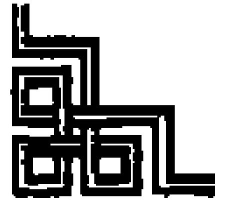
وآياتها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٨

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)﴾.



قصة أصحاب الأخدود

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت ، أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها ، أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (٢) .

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الشمس .

وجاء في تفسير ابن كثير : عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق ، مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٢٦ .

(٢) البروج هي هذه المجموعات من مواقع النجوم التي تظهر علي أشكال مختلفة في السماء مقسمة إلي اثني عشر قسما تمر خلالها الأرض والكواكب في أثناء دورتها حول الشمس ولما كان مستوي مدار القمر خلال دورته حول الأرض وهي التي تسمي منازل القمر ، وهي أيضا مجموعة من النجوم علي أشكال مختلفة فقد جمع الشاعر القديم أسماء هذه البروج الاثني عشر في هذين البيتين :

حمل الثور جوزه السرطان ورعي الليث سنبل الميزان

ورمي عقربا وقوسا بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان

المنتخب في تفسير القرآن – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ص ٨٩٦ .

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب ، وتنكيرهما للإبهام في الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ، أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل : ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود ، أو النبى عليه الصلاة والسلام وأمته ، أو أمته وسائر الأمم ، أو كل نبى وأمته ، أو الخالق والخلق ، أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد عل وجوده ، أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر . أو عرفة والحجيج(٣)، أو يوم الجمعة والجمع فإنه يشهد له أو كل يوم واهله(٤) .

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ قيل إنه جواب القسم علي تقدير قد قتل ، والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعنى كفار مكة لعن أصحاب الأخدود ، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين عل اذاهم وتذكيرهم بما جرى علي من قبلهم .

والأخدود الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعني الحق والأحقوق .

روى مرفوعًا : ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلامًا ليعلمه ، وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه ، فراي في طريقة ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرًا وقال : اللهم إن كان الراهب أحب إليه من الساحر فاقتلها فقتلها ، وكان الغلام بعد يبرئ الأكمة والأبرص ويشفى من الأدواء ، وعمى جليس الملك فأبراه ، فسأله الملك عمن أبراه فقال : ربى . فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه ، فدل على الراهب فقده بالمنشا ، وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا ، وأجلس في سفينه ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه فغرقوا ونجا ، فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهماً من كنانتى وتقول : بسم الله رب هذا الغلام ، ثم ترمينى به فرماه فوقع في صدغه فمات ، فآمن الناس برب الغلام ، فأمر باخاديد وأوقدت فيها النيران ، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها

---

(٣) ... ابو هريرة مرفوعا :اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم ... ـ خرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

(٤) . في ذلك ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ ليس من يوم ياتي علي العبد إلا ينادي فيه يابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل شهيد. ... اعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول ... مثل ذلك ... تفسير القرطبي .

صبى فتقاعست فقال الصبى : يا أماه اصبرى فإنك علي الحق فاقتحمت (٥) .

وعن علي رضي الله عنه : كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال : إن الله أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه ، فأمر بأخاديد النار فطرح فيها من أبى (٦) .

وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد (٧) .

﴿ النَّارِ ﴾ بدل من الأخدود بدل الاشتمال . ﴿ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها ، واللام فى الوقود للجنس .

﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا ﴾ على حافة النار . ﴿ قُعُودٌ ﴾ قاعدون .

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنهم لم يقصروا فيما أمروا به ، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم .

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ وما أنكروا . ﴿ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ استثناء على طريقة قوله :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ (٨)

ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه حميداً منعماً يرجي ثوابه وقرر ذلك بقوله :

الآيات من ٩ : ١٧

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ

---

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ٦/ ١٦ من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلي عن صهيب رضى الله عنه رواه مطولا .

(٦) رواه ابن كثير في تفسيره ٨/ ٣٨٧ .

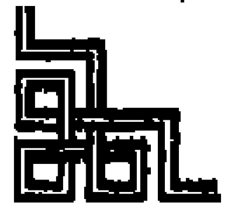
(٧) رواه أيضا ابن كثير في تفسيره ٨/ ٣٨٩ وعزاه إلي ابن هشام في سيرته ١/ ٣٤ وذو نواس المذكور هواحد أذواء اليمن واسمه زرعة ويسمي في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن تبان أسعد أبي كرب .

(٨) هذا البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها الغساسنة مطلعها :

كليني لهم ياأميمة ناصب وليل أقاسيه بطئ الكواكب

والبيت المذكور يشير إلي مايسميه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ
(١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)وَهُوَ
الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
الْجُنُودِ (١٧) ﴾ .



﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ بلوهم بالأذي .﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ بكفرهم .﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم ، بل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود وبعذاب الحريق ماروي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه .

تهديد للكفار المكذبين

﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ مضاعف عنفه فإن البطش الأخذ بعنف .

﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ يبدئ الخلق ويعيده ، أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة .

﴿ وهو الغفور ﴾ لمن تاب ﴿ الودود ﴾ المحب لمن أطاع .

﴿ ذو العرش ﴾ خالقه، وقيل: المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك ﴿ المجيد ﴾ العظيم في ذاته وصفاته ، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة، وجره حمزة والكسائي صفة لربك ، أو للعرش ومجده علوه وعظمته .

﴿ فعال لما يريد ﴾ لايمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره .

﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾

الآيات من ١٨ : ٢٢

﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾

﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ أبدلهما من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه ، والمعني قد عرفت تكذيبهم للرسل وماحاق بهم فتسل واصبر علي تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم .

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ لايرعوون عنه ومعني الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم .

﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ لايفوتونه كما لايفوت المحاط المحيط .

وصف للقرآن

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعني ، وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد .

﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ من التحريف ، وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن ، وقرئ في لُوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة فيه اللوح (٩)

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات » (١٠) .

---

(٩) ورد في الأحبار : روي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اللوح من ياقوته حمراء أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له ماطريون كتابه نور ، وقلمه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلمائة وستين نظرة وليس فيها نظرة إلا وهو يفعل مايشاء ، يرفع وضيعا ويضع رفيعا . ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل مايشاء لاإله إلا هو ، ذكره القرطبي وابن كثير في تفسيرهما وعزاه ابن كثير إلي الطبراني ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ ابن حجر. أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في أسانيد إلي أبي بن كعب رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

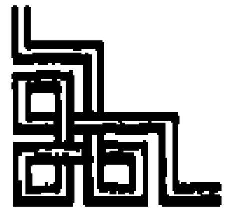
سورة الطارق مكية

وآياتها سبع عشرة



الآيات من ١ : ١٠

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) ﴾.



من دلائل قدرة الله تعالي

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق، واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ .

﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ . المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ، أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل ، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد البلد .

وفي تفسير ابن كثير عن عبد الرحمن بن خالد بن ابي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر النبي ﷺ في مشرق – سوق – ثقيف ، وهو قائم علي قوس – أو عصا – حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتي ختمها قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام ، قال :" فدعتني ثقيف فقالوا : ما سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لوكنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه – مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٣٥ .

وروي النسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال : صلي معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ :« أفتان يامعاذ ؟ ماكان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ، ونحو هذا ؟»

سنن النسائي – كتاب الافتتاح – باب القراءة في المغرب بسبح اسم ربك الأعلي ٢ / ١٦٨ .

تفخيما لشأنه .

﴿ إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا ﴾ أي إن الشان كل نفس لعليها ﴿ حَافِظ ﴾ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما علي أنها بمعني نافية، والجملة علي الوجهين جواب القسم.

﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي علي حافظه إلا ما يسره في عاقبته .

﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ جواب الاستفهام وماء دافق بمعني ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله :

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها، ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتي تستعد لأن يتولد منها مثل ذلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلاشك ان الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ، ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع! وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلي الترائب وهما أقرب إلي أوعية المني فلذلك خصا بالذكر (٢)

---

(٢) جاء في المنتخب في التفسير حول هذه الآية.

الصلب هو منطقة العمود الفقري والترائب هي عظام الصدر .

وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثةأن نواة الجهاز التناسلي والجهاز البولي في الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر.

وتبقي الكلي في مكانها وتنزل الخصية إلي مكانها الطبيعي في الصفن عند الولادة وعلي الرغم من انحدار الخصية إلي أسفل فإن الشريان الذي يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوي.

كما أن العصب الذي ينقل الإحساس إليها ويساعدها علي إنتاج الحيوانات المنوية ومايصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدري العاشر الذي يغادر النخاع الشوكي بين الضلعين العاشر والحادي عشر .

وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من اعصاب وأوعية دموية تنشا من موضع في الجسم بين الصلب والترائب، العمود الفقري والقفص الصدري ».

المنتخب في التفسير – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ص ٨٩٨.

وقرئ الصلب بفتحين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب .

قدرة الله علي الإحياء والبعث

﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ والضمير للخالق ويدل عليه خلق.

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها ، وهو ظرف لرجعه.

﴿ فَمَا لَهُ ﴾ فما للإنسان ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ يمنعه.

الآيات من ١١ : ١٧

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) ﴾ .

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ ترجع في كل دورة إلي الموضع الذي تتحرك عنه، وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من ان السحاب يحمل الماءمن البحار ثم يرجعه إلي الأرض ، وعلي هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب.

﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ ماتتصدع عنه الأرض من النبات او الشق بالأنهار والعيون .

* **الإعجاز العلمي**

حول قول الله تعالى ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ من مقال للدكتور / أحمد فؤاد باشا بتصرف يقول :

إن التجاوب مع وصايا القرآن الكريم بالنظر الدائم إلى آيات الله في الكون للتعرف على أسرار الخلق الإلهي ، يجب أن يتحول في قلوب المؤمنين إلى طاقة تدفعهم إلى دراسة الكون والإفادة من كل ما سخره الله فيه من كنوز وقوى لخدمة الإنسان فانطلاق العلم بعيدا عن هدى الله انحراف عن جادة الطريق السليم ، وفشل في أداء الرسالة التي خلقنا الله من اجلها .

ومما يستوجب النظر في الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها ذكر كلمة «الأرض» (سورة الطارق . ١٢)حيث يدل على خاصية مميزة في الأرض تصفها بأنها « ذات الصدع » وهي خاصية تستحق التأمل والتفكر لأهميتها في حياة الإنسان وباعتبارها من دلائل القدرة

﴿ إِنَّهُ ﴾ إن القرآن ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ فاصل بين الحق والباطل .

*** الإعجاز العلمي**

الإلهية على الخلق والإبداع ولا شك أن الحق تبارك وتعالى يقسم بهذه الصفة للأرض من قبيل الحث على معرفة حكمتها والوقوف على مدى أهميتها .

و «الصدع» في اللغة العربية يعنى الشق بينما يطلق في الاصطلاح العلمي على أي كسر في الأرض تتحرك على مستواه من الجانبين كتل الصخور ، وهو ينشأ من تصدع الصخور ، أي تكسرها أو تشققها بقوة الضغط والشد . وتقاس الصدوع بقيمة التحرك النسبي الذي يحدث بين القوالب الواقعة على جانبي سطح الصدع . وقد تكون الحركة أفقيه أو عمودية أو مائلة . وتمثل حركة الصدع وسيلة يعرف بها علماء الجيولوجيا طبيعة القوى الفاعلة بباطن الأرض . وكثيرا من التغيرات التي تطرأ على سطحها .

ويرى العلماء المفسرون أن الوصف القرآني للأرض بأنها ذات الصدع فيه معنى انصداعها ، أي إنشقاقها ، بعد ارتوائها بالمطر ليخرج منها مختلف أنواع النباتات بما تحمله من خيرات وثمار . كذلك يتضمن الوصف القرآني معنى الصدوع التي ساعدت على وجود منافذ في القشرة الأرضية تسمح بخروج المياه الجوفية والغاز الطبيعي والبترول إلى سطحها . كما أن الشقوق ، أو الصدوع الصغرى الموجودة في وجه الأرض الرقيق تعتبر وسيلة من وسائل تهوية التربة وتجديد خصوبتها .

ويواصل العلم رسالته في الكشف عن آيات الله الكونية ، وما تمثله الصدوع بالنسبة للأرض فيكتشف العلماء في أواخر الستينيات من هذا القرآن الغلاف الصخري للقشرة الأرضية ممزق بشبكة من الصدوع الطولية والعرضية الممتدة لمئات الآلاف من الكيلو مترات ، تقسمه إلى عدد من الألواح ، أو الصفائح الكبيرة والصغيرة ، وأن تلك الصدوع تنتشر وتمتد في قيعان البحار والمحيطات بكثافة أكبر مما توجد به في القارات ، ويزيد عمقها عن متوسط سمك الغلاف الصخري للأرض ، الذي يقدر بنحو مائة كيلو متر . وقد ثبت عن طريق الملاحظة المباشرة وغير المباشرة أن تلك الكتل الصخرية الضخمة تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة ، بحيث يصبح سطح الأرض بالنسبة للإنسان أشبه بالفراش المريح والمهاد الممتد اللذين هيأهما الله تعالى لتسهيل سكني الإنسان على الأرض وتمكينه من أداء أمانة الاستخلاف بإعمارها وترقية الحياة عليها . ولقد امتن سبحانه وتعالى بهذا على عباده بقوله : ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ [الذاريات : ٤٨] وإذا كانت أبحاث العلماء قد أثبتت أن مراكز كل من الهزات الزلزالية والفورانات البركانية تحتشد بدرجة أكبر حول الصدوع الفاصلة بين ألواح الغلاف الصخري للأرض فإن العلم أوضح كذلك أن صدوع الأرض تعمل على إثراء الغلاف الصخري بمختلف العناصر

﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ فإنه جد كله .

كيد الكافرين هزيل

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ يعني أهل مكة . ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ في إبطاله وإطفاء نوره (٣) .

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ واقابلهم بكيد في استدراجي لهم وانتقامي منهم من حيث لايحتسبون (٤) .

﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ فلاتشتغل بالانتقام منهم ، أو لاتستعجل بإهلاكهم ، ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين .

فضل سورة الطارق

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بكل نجم في السماء عشر حسنات»(٥) .

---

(٣) قال الرازي: كيد الكافرين علي وجوه منها إلقاء الشبهات كقولهم « إن هي إلا حياتنا الدنيا» المؤمنون ٣٧ .
ومنها الطعن في النبي ﷺ بكونه ساحرا وشاعرا ومجنونا .
ومنها القصد إلي قتله كما قال تعالي ﴿وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك﴾ الأنفال ٣٠ التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٣٤١ ط دار الغد .

(٤) كيد الله محمول علي وجوه :احدها دفعه كيد الكفرة عن النبي ﷺ ويقابل ذلك الكيد بنصرته وإعلاء دينه .
وثانيها كيده تعالي بهم هو إمهالهم حتي يأخذهم علي غرة. المرجع السابق –

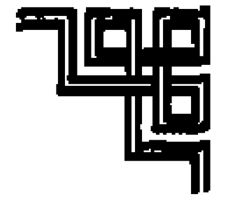
(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف، وقال ابن حجر :أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

* الإعجاز العلمي

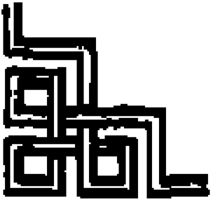
والمركبات على هيئة العديد من المعادن والركازات التي تندفع من الحمم البركانية الصاعدة إلى سطح الأرض .

فتبارك الخالق العليم الذي فطر الأرض ذات الصدع ، وجعل من صدوعها مقوما أساسيا من مقومات الحياة على سطحها .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)
سورة الأعلي مكية
وآياتها تسع عشرة
الآيات من ١ : ١٠



﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ .



تنزيه الله وتمجيده علي قدرته الفائقة

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ نزه اسمه عن إلحاد فيه بالتأويلات الزائفة وإطلاقه علي غيره زاعما أنهما فيه سواء وذكره الأعلي علي وجه التعظيم ، وقرئ سبحان ربي الأعلي وفي الحديث «لما نزلت «فسبح باسم ربك العظيم » (٢) قال ﷺ اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت « سبح اسم ربك الأعلي » قال ﷺ اجعلوها في سجودكم »(٣)

---

(١) في تفسير القرطبي : مكية في قول الجمهور وقال الضحاك :مدنية وفي تفسير الكشاف : مكية نزلت بعد التكوير .

وجاء في تفسير ابن كثير : الدليل علي انها مكية مارواه البخاري عن البراءبن عازب قال : أول ما قدم علينا من اصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت اهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم به ، حتي رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فما جاءحتي قرأت﴿ سبح اسم ربك الأعلي ﴾ في سور مثلها ، – رواه البخاري في كتاب التفسير – تفسير سورة ﴿ سبح اسم ربك الأعلي ﴾ ٦ / ٢٠٨ .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين ﴿ سبح اسم ربك الأعلي ﴾ و ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا – مسند أحمد ٤ / ٢٧١ وصحيح مسلم – كتاب الجمعة –باب : مايقرأ في صلاة الجمعة .

(٢) الواقعة : ٧٤ .

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده ٤ / ١٥٥ ورواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة – باب

وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت .

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ خلق كل شئ فسوي خلقه بأن جعل له ما به يتأتي كماله ويتم معاشه .

﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ ﴾ اي قدر أجناس الأشياء وانواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها .﴿ فَهَدَىٰ ﴾ فوجه إلي افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات (٤) .

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ انبت ما ترعاه الدواب .

﴿ فَجَعَلَهُ ﴾ بعد خضرته .﴿ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ يابسًا أسود . وقيل : احوي حال من المرعى ، اي اخرجه احوى اي أسود من شدة خضرته .

طمأنة النبي ﷺ علي عدم نسيانه القرآن

﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ علي لسان جبريل ﷺ ، او سنجعلك قارئا بإلهام القراءة. ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ أصلا من قوة الحفظ مع أنك امي ليكون ذلك آية أخري لك مع أن الإخبارية عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات ، وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله السبيلا . ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ نسيانه بأن نسخ تلاوته ، وقيل: أراد به القلة والندرة ، لما روي أنه ﷺ اسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال:

مايقول الرجل في ركوعه وسجوده ورواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب التسبيح في الركوع والسجود .

(٤) جاء في التفسير الكبير للرازي : اعلم ان الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء عليهم السلام – والدليل ما حكي الله تعالي عن إبراهيم عليه السلام أنه قال : « الذي خلقني فهو يهدين ﴾ الشعراء ٧٨ .

وحكي عن فرعون أنه لما قال لموسي وهارون عليهما السلام :﴿ فمن ربكما ياموسي ﴾ قال موسي عليه السلام ﴿ ربنا الذي اعطي كل شئ خلقه ثم هدي ﴾ طه ، ٤٩ ، ٥٠ .

واما محمد ﷺ فإنه أول ما نزل عليه هو قوله تعالي ﴿ اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ﴾ هذا إشارة إلي الخلق، ثم قال : ﴿ اقرا وربك الأكرم الذي علم بالقلم ﴾ العلق ١ –٤ وهذا اشارة إلي الهداية .

ثم إنه تعالي اعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة ﴿الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي ﴾ – مفاتيح الغيب للرازي ١٦ / ٣٥٠ ط دار الغد .

نسيتها (٥)

أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ ماظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبريل عليه الصلاة والسلام وما دعاك إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء.

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ ونعدك للطريقة اليسري في حفظ الوحي ، أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف علي سنقرئك وانه يعلم اعتراض

أمر النبي ﷺ بالتذكر

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ بعد ما استتب لك الأمر، ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول الياس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية، أو لذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكري فيهم ، أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك الامر بالإعراض عمن تولي .

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشي الله تعالي بأن يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد .

الآيات من ١١ : ١٩

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ ويتجنب الذكري .﴿الْأَشْقَى ﴾ الكافر فإنه اشقي من الفاسق ، أو الأشقي من الكفرة لتوغله في الكفر .

﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾ نار جهنم فإنه ﷺ قال :« **ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم** » (٦) او ما في الدرك الأسفل منها .

---

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، والنسائي في سننه كما أخرجه البخاري في جزء القراءة وأخرجه الطبري في تفسيره من رواية زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزي عن أبي.

(٦) رواه السيوطي في الجامع الصغير ٢ / ١٩٣ وقال رواه الترمذي عن أبي سعيد رضى الله عنه ورمز له السيوطي بالحسن.

﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلا يَحْيَى ﴾ حياة تنفعه .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهر من الكفر والمعصية ، أو تكثر من التقوي من الزكاة أو تطهر للصلاة او أدي الزكاة .

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ بقلبه ولسانه ﴿ فَصَلَّى ﴾ كقوله ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾(٧) ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم ، وقيل تزكي تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلي صلاته .

لفت النظر إلي وجوب إيثار الآخرة علي الأولي :

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة، والخطاب للأشقين علي الالتفات أو علي إضمار قل ، أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة ، وقرأ أبو عمرو بالياء .

﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ﴾ الإشارة إلي ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة .

﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ بدل من الصحف (٨) .

فضل سوة الأعلي

قال ﷺ « من قرأ سورة الأعلي أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله علي إبراهيم وموسى ومحمد ﷺ »(٩).

---

(٧) طه : ١٤ .

(٨) روي عن أبي ذر انه سال رسول الله ﷺ : كم انزل الله من كتاب ؟ فقال : مائة وأربعة كتب » علي آدم عشر صحف ، وعلي شيث خمسين صحيفة وعلي إدريس ثلاثين صحيفة وعلي إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان » .

وقيل : إن في صحف إبراهيم : ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا علي شأنه » ومفاتيح الغيب ١٦ / ٣٦٨ .

(٩) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر : رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلي أبي ابن كعب رضى الله عنه .

ومما يذكر في فضائل هذه السورة ماذكره الرازي في كتابه مفاتيح الغيب من أنه روي ان النبي ﷺ كان يحب هذه السورة ويقول : لو علم الناس علم سبح اسم ربك الأعلي لرددها أحدهم ست عشرة مرة » مفاتيح الغيب ١٦ / ٣٤٩ .

ومما ورد في تفسير القرطبي حول هذه السورة يستحب للقارئ إذا قرأ « سبح اسم ربك الأعلي » أن يقول عقبه : سبحان ربي الأعلي » قاله النبي ﷺ وقاله جماعة من الصحابة والتابعين

(٨٨) سورة الغاشية مكية (١)

وآياتها ست وعشرون

الآيات من ١ : ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) ﴾

من مظاهر الروع يوم القيامة وهي الغاشية

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة، أو النار من قوله تعالى ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾(٢) .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ ذليلة .

﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل ، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها ما عملت ، ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ .

﴿ تَصْلَىٰ نَارًا ﴾ تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من أصلاه الله ، وقرئ تصل بالتشديد للمبالغة . ﴿ حَامِيَةً ﴾ متناهية في الحر .

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ بلغت أناها في الحر .

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا ، وقيل : شجرة نارية تشبه الضريع ، ولعله طعام هؤلاء ، والزقوم والغسلين طعام غيرهم ، أو المراد طعامهم ما تتحاماه الإبل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال .

﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ والمقصود من الطعام احد الامرين .

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الذاريات. (٢) إبراهيم : ٥٠ .

نعيم أهل الجنة

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ ذات بهجة أو متنعمة .

﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه .

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ علية المحل أو القدر .

﴿ لا تَسْمَعُ ﴾ يا مخاطب أو الوجوه ، وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع . ﴿ فِيهَا لاغِيَةً ﴾ لغواً أو كلمة ذات لغو أو نفساً تلغو ، فإن كلام أهل الجنة الذكر والحكم . ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم .

الآيات من ١٣ : ٢٦

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ رفيعة السمك أو القدر .

﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ جمع كوب وهي آنية لا عروة لها . ﴿ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم .

﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم . ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾ بعضها إلى بعض .

﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ بسط فاخرة جمع زربية . ﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴾ مبسوطة .

دعوة للتفكير والتدبر في مظاهر القدرة

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ ﴾ نظر اعتبار . ﴿ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية ، فجعلها عظيمة باركة للمحل ، ناهضة بالحمل ، منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لينوء بالأوقار ، ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز ، مع ما لها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف

المركبات وأكثرها صنعا ، ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع (٣) .

وقيل : المراد بها السحاب على الاستعارة .

﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ بلا عمد .

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ فهي راسخة لا تميل .

﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ بسطت حتى صارت مهاداً (٤) ، وقرئ

(٣) جاء في المتخب في التفسير حول هذه الآية :

في خلق الإبل آيات معجزات دالة علي قدرة الله ليتدبر في ذلك المتدبرون فمن المعروف ان من صفاتها الظاهرة

ما يمكنها أن تكون سفن الصحراء بحق، فالعينان ترتفعان فوق الراس وترتدان إلي الخلف فضلا عن طبقتين من الأهداب تقيانها الرمال والقذي وكذلك المنخران والأذنان يكنفهما الشعر للغرض نفسه، فإذا ماهبت العواصف الرملية انقفل المنخران وانثنت الأذن علي صغرها وقلة بروزها نحو الجسم ، أما القوائم فطوال تساعد علي سرعة الحركة مع مايناسب ذلك من طول العنق ، وأما الأقدام فمنبسطة في صورة خفاف تمكن الإبل من السير فوق الرمال الناعمة ، وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية علي مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض الخشنة الساخنة كما ان علي جانبي ذيله الطويل شعرا يحمي الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذي.

أما مواهب الجمل الوظيفية فابلغ وابدع ، فهو في الشتاء لايطلب الماءبل قد يعرض عنه شهرين متتاليين إذاكان الغذاء غضا رطبا، أو أسبوعين إن كان جافا كما أنه قد يتحمل العطش الكامل في قيظ الصيف أسبوعا أو أسبوعين يفقد في أثنائهما أكثر من ثلث وزن جسمه فإذا ماوجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد في دقائق معدودات، والجمل لايختزن الماءفي كرشه كما كان يظن بل إنه يحتفظ به في أنسجة جمسه ويقتصد في استهلاكه غاية الأقتصاد فمن ذلك انه لايلهث أبدا ولايتنفس من فمه ولايصدر من جلده إلا ادني العرق ، وذلك لان حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض في الصباح المبكر ثم تأخذ في الارتفاع التدريجي أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلي تلطيفها بالعرق والتبخر وعلي الرغم من كمية الماء الهائلة التي يفقدها الجسم بعد العطش الطويل فإن كثافة دمه لاتتأثر إلا في الحدود ومن ثم لايقضي العطش عليه وقد ثبت ان دهن السنام مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع، ولكنه لايفيد كثيرا في تدبير الماء اللازم لجسمه .

وما زال العلماء يجدون في الجمل كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالي لهم علي النظر في خلقه المعجز – المنتخب في التفسير – المجلس الاعلي للشئون الإسلامية ٩٠٣ .

(٤) تردد في القرآن الكريم وصف الأرض بأنها مسطحة وبأنها مبسوطة ، والمراد بذلك ان

الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب ، والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ .

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ بمتسلط ، وعن الكسائى بالسين على الأصل وحمزة بالإشمام .

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ لكن من تولى وكفر .

﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ يعنى عذاب الآخرة . وقيل متصل فإن جهاد الكفار وقتلهم تسلط ، وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر ، وما بينهما اعتراض ويؤيده الأول انه قرئ الا على التنبيه .

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ رجوعهم ، وقرئ بالتشديد على انه فيعلل مصدر فيعل من الإياب ، أو فعال من الأوب قلبت واوه الأولى قلبها في ديوان ثم الثانية للإدغام .

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ في المحشر ، وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد

فضل سورة الغاشية

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا » (٥) .

الارض وإن كانت كروية الشكل تبدو للناظرين مسطحة مبسوطة وهذا لايخالف ماقرره العلم في شئ . المرجع السابق .

(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ ابن حجر : اخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بالإسناد إلي ابي بن كعب رضى الله عنه .

ومما يذكر في مجال فضلها ماروي من ان النبي ﷺ كان يقرا بها في صلاة العيد وصلاة الجمعة .

رواه الإمام مالك في المواطا – تنوير الحوالك – شرح موطا الإمام مالك – كتاب الصلاة باب القراءة في صلاة الجمعة ١ / ١٠٢ .

سورة الفجر مكية (١)

وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات من ١ : ١١

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۝١١ ﴾ .

أقسام أقسم الله بها علي تعذيب الكفار

﴿ وَالْفَجْرِ .﴾ اقسم بالصبح او فلقه كقوله ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ (٢) او بصلاته .

﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة ، أو النحر ، أو عشر رمضان الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالإضافة علي أن المراد بالعشر الأيام .

﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ والأشياء كلها شفعها ووترها ، أو الخلق لقوله ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين ﴾ (٣) والخالق لأنه فرد ، ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها ، أو بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا ، أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع ما رآه أظهر دلالة علي التوحيد ، أو مدخلا في الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر ، وقرئ والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ إذا يمضي كقوله ﴿ والليل إذا أدبر ﴾ (٤) والتقييد بذلك لما

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الليل .

(٢) التكوير : ١٨ .

(٣) الذاريات : ٤٩ .

(٤) المدثر : ٣٣ .

في التعاقب من قوة الدلالة علي كمال القدرة ووفور النعمة، أو يسري فيه من قولهم صلي المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا، وقرئ يسر بالتنويو المبدل من حرف الإطلاق .

﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ ﴾ القسم أو المقسم به ﴿ قَسَمٌ ﴾ حلف اومحلوف به ﴿ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه ، والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لاينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله :

أمثلة من هلاك المكذبين الجبابرة

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ يعني أولاد عاد بن عوصن بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه (٥)

﴿ إِرَمَ ﴾ عطف بيان لعاد علي تقدير مضاف أي سبط إرم، أو أهل إرم إن صح أنه اسم بلدتهم وقيل سمي أوائلهم وهم عاد الأولي باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ، ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال، أو الرفعة والثبات وقيل : وكان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها ، فسمع بذكر الجنة فبني علي مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم ، فلما تمت سار إليها بأهله ، فلما كان منها علي مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا .

وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها (٦) .

﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة أخري لإرم والضمير لها سواء جعلت إرم القبيلة أو البلدة.

---

(٥) ضرب المثل بعاد في القوة روي شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الرجل من قوم عاد كان يتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يقلوه وإن كان أحدهم ليدخل قدمه في الأرض فتدخل فيها - تفسير القرطبي .

(٦) أي علي هذه المدينة.

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ ﴾ قطعوه واتخذوه منازل لقوله ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا ﴾ (٧) ﴿ بِالْوَادِ ﴾وادي القري.

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد (٨) .

﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون ، أو ذم منصوب أو مرفوع .

الآيات من : ١٢ : ١٩

﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) ﴾

﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ بالكفر والظلم

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ماخلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض ، وقيل شبهه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارا بانه القياس إلي ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلي السيف.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ إلي المكان الذي يترقب فيه الرصد. مفعال من رصده كالميقات من وقته ، وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب.

ليس توسعة الرزق تكريما ولا تضييقه إهانة

﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ ﴾ متصل بقوله ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ كأنه قبل إنه لبالمرصاد من

---

(٧) الشعراء : ١٤٩ .

(٨) قيل : كتنم يعذب الناس بالأوتاد ويشدهم بها إلي أن يموتوا تجبرا وعلوا وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة ابنته لإيمانهما بموسي .

وقال عبد الرحمن بن زيد : كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ الإنسان فتوتد له أوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه. تفسير القرطبي .

الآخرة فلايريد إلا السعي لها فاما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها ، ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ اختبره بالغني واليسر ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ بالجاه والمال ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فضلني بما أعطاني ، وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معني الشرط، والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل: فاما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله :

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ إذ التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه اي بالفقر ليوازن قسيمه ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ لقصور نظره وسوء فقره ، فإن التقدير قد يؤدي إلي كرامة الدارين ، والتوسعة قد تفضي إلي قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه علي قوليه وردعه عنه بقوله :

الحث علي وضع المال في الموضع الذي أمر الله وجمعه من وجه حلال

﴿ كَلاَّ ﴾ مع ان قوله الأول مطابق لإكرامه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال : ﴿فاكرمه ونعمه ﴾ لأن التوسعة تفضل والإخلال به لايكون إهانة ، وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

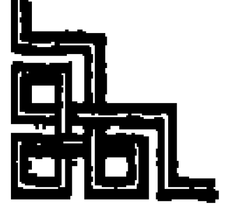
﴿ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل علي تهالكهم بالمال وهو انهم لايكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ، ولا يحثون أهلهم علي طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولاتحاضون .

﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ ﴾ الميراث واصله وارث ﴿أَكْلاً لَّمًّا﴾ ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك .

الآيات من ٢٠ : ٣٠

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ

وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾



﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ كثيرا مع حرص وشره ، وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون إلي ويحبون بالياء والباقون بالتاء.

مايقدمه الإنسان في حياته من خير ينفعه في شدة القيامة وهولها

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه. ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ اي دكا بعد دك حتي صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا.

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته. ﴿ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم.

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ كقوله تعالي ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ (٩) وفي الحديث « يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من إذا دكت الأرض والعامل فيهما ﴿ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ ﴾ اي يتذكر معاصيه او يتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها. ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ اي منفعة الذكري لئلا يناقض ماقبله واستدل به علي عدم وجوب قبول التوبة، فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة.

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ اي لحياتي هذه ، او وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة، وليس في هذا التمني دلالة علي استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن شئ قد يتمني ان كان ممكنا منه.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ الهاء لله اي لا يتولي عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له ، او للإنسان اي لايعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه ، وقراهما الكسائي ويعقوب علي بناء المفعول.

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ علي إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله، فإن النفس تترقي في سلسلة الأسباب والمسببات إلي الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره ، او إلي الحق بحيث لايريبها شك او الآمنة التي لايستفزها خوف ولاحزن وقد قرئ بهما.

---

(٩) النازعات : ٣٦.

﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ إلي أمره أوموعده بالموت ، ويشعر ذلك بقول من قال : كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس أو البعث ، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ بما أوتيت.
﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ عند الله تعالي .

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ في جملة عبادي الصالحين .

﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ معهم أو في زمرة المقربين فتستضئ بنورهم ، فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها ، وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك .

فضل سورة الفجر

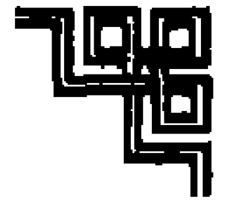
عن النبي ﷺ «**من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة**»(١٠) .

(١٠) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر :رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(٩٠) سورةالبلد مكية (١)

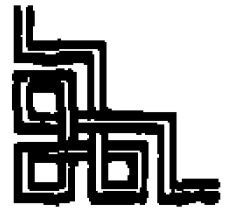
وآياتها عشرون

الآيات من ١ : ١١



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ .



قسم بمكة البلد الحرام

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام ، وقيده بحلول الرسول ﷺ فيه إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بان شرف المكان بشرف أهله ، وقيل: حِلٌّ مُسْتَحَل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره أو حلال لك ان تفعل فيه ماتريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح.

﴿ وَوَالِدٍ ﴾ عطف علي هذا البلد والوالد آدم ، أو إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ﴿ وَمَا وَلَدَ ﴾ ذريته أو محمد ﷺ والتنكير للتعظيم وإيثار ما علي من لمعني التعجب كما في قوله والله اعلم ﴿ بما وضعت ﴾ (٢)

جواب القسم

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول ﷺ مما كان يكابده من قريش والضمير في .

مثل من غرور بعض الناس

﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ لبعضهم الذي كان يكابد من أكثر، أو يغتر بقوته كابي الأشد بن

---

(١) في تفسير الكشاف نزلت بعد سورة ق .

(٢) آل عمران : ٣٦ .

كلدة (٣) فإنه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولاتزال قدماه أو لكل أحد منهم أو للإنسان ﴿ أن لن يقدر عليه أحد ﴾ فينتقم منه .

﴿ يقول ﴾ أي في ذلك الوقت ﴿ أهلكت مالا لبدا ﴾ كثيرا ، من تلبد الشئ إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول ﷺ .

﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه ،يعني أن الله سبحانه وتعالي يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه (٤) ثم بين ذلك بقوله .

﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ يبصر بهما .

﴿ ولسانا ﴾ يترجم به عن ضميره .﴿ وشفتين ﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما علي النطق والأكل والشرب وغيرها .

﴿ وهديناه النجدين ﴾ طريقي الخير والشر، أو الثديين وأصله المكان المرتفع .

توبيخ لمن أنفق ماله في عداوة الإسلام

﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد، والعقبة الطريق في الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والإطعام في قوله :

الآيات من ١٢ : ٢٠

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

---

(٣) في تفسير القرطبي : ابو الأشدين وكان هذا الرجل من بني جمح وكان من أعداء النبي ﷺ وفي تفسير الطبري كذلك .

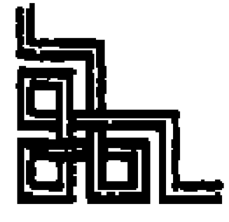
ومن الأشداء أيضا ركانة بن هاشم بن عبد المطلب وكان مثلا في الباس والشدة، فقال الله تعالي في حق هذا الرجل وأمثاله :أيحسب هذا القوي بجلده وقوته أن لن يقهره أحد ويغلبه ؟ فالله غالبه وقاهره .

(٤) عن ابن عباس قال : كان أبو الأشدين يقول : أنفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب.

وفي القرطبي قال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن عامر بن نوفل، أذنب فاستفتي النبي ﷺ فأمره أن يكفر فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد .

قال القرطبي : وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغيانا به ، أو أسفا عليه فيكون ندما منه .

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾ .



﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ .

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ .

﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ .

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ .

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لاموقع لم فإنها لاتكاد تقع إلا مكررة إذ المعني فلافك رقبة ولاإطعم يتيما او مسكينا ، والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او أطعم علي الإبدال من اقتحم وقوله ﴿ وما أدراك ما العقبة ﴾ اعتراض معناه إنك لم تدركنه صعوبتها وثوابها .

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عطفه علي اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ وأوصي بعضهم بعضا .﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ علي طاعة الله تعالي .﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ بالرحمة علي عباده أو بموجبات رحمة الله تعالي .

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ اليمين أو اليمن .

نذر للكفار

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بما نصبناه دليلاً علي الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن. ﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شان لايخفي .

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا اطبقته واغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته .

فضل سورة البلد

عن النبي ﷺ « من قرأ لاأقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالي الأمان من غضبه يوم القيامة » (٥) .

---

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر : اخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي في سند إلي ابي بن كعب رضى الله عنه .

(٩١) سورة الشمس مكية (١)
وآياتها خمس عشرة
الآيات من ١ : ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ ﴾ .

أقسام علي فلاح من زكي نفسه وخيبة من ظلمها

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ وضوئها إذا اشرقت وقيل: الضحوة ارتفاع النهار والضحي فوق ذلك ، والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس واول الشهر أو غروبها ليلة البدر، أو في الاستدارة وكمال النور

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ جلي الشمس فإنها تتجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ يغشي الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق ، أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولي القسيمة الجارة بنفسها النائبة منا بفعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ، ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك : ضرب زيد عمرا وبكر خالدا علي الفاعل والمفعول من غير عطف علي عاملين مختلفين.

---

(١) في تفسير الكشاف :نزلت بعد القدر

جاء في تفسير الرازي مفاتيح الغيب : المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي.

قال : واعلم أن الله تعالي ينبه عباده دائما بان يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتي يتأمل المكلف فيها ويشكر ربه عليها ، لأن الذي يقسم الله تعالي به يحصل له وقع في القلب فتكون الدواعي إلي تامله اقوي. مفاتيح الغيب ١٦ / ٤٣٢ ط دار الغد .

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ ومن بناها وإنما أوثرت علي من لارادة معني الوصفية كأنه قيل: والشئ القادر الذي بناها ودل علي وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله :

﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ بقوله وماسواها إلا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالي﴿ علمت نفس ﴾ (٢) أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام الفجور والتقوي إفهامها وتعريف حالهما أو التمكين من الإتيان بهما (٣)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ انماها بالعلم والعمل جواب القسم، وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث علي تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم علي العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصي درجات القوة النظرية ، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم علي الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهي كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس ، والجواب محذوف تقديره ليدمدمنّ الله ، علي كفار مكة لتكذيبهم رسوله ﷺ كما دمدم علي ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام .

الآيات من ١٠ : ١٥

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾.

---

(٢) التكوير : ١٤.

(٣) روي عن ابي هريرة انه قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ فالهمها فجورها وتقواها ﴾ فقال :« اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها »

رواه ابن كثير وعزاه إلي ابن أبي حاتم ورواه الإمام احمد في مسنده ٢ / ٢٠٩ .

وهذا الحديث رواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية ﴿ فالهمها فجورها وتقواها ﴾ رفع صوته بها وقال : « اللهم آت نفسى تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وانت خير من زكاها » – تفسير القرطبي .

ورواه ابن كثير وعزاه إلي الطبراني .

تكذيب ثمود وهلاكهم.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسي دسس كتقضي وتقضض .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوي كقوله تعالي ﴿ فاهلكوا بالطاغية ﴾(٤) واصله طغياها وإنما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعي .

﴿ إِذِ انبَعَثَ ﴾ حين قام ظرف لكذبت أو طغوي .﴿ أَشْقَاهَا ﴾ اشقي ثمود وهو قدار بن سالف، أو هو ومن مالأه علي قتل الناقة فإن افعل التفضيل إذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (٥) .

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها . ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ وسقيها فلا تذودوها عنها .﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا .﴿ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ فاطبق عليهم العذاب وهومن تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا البسها الشحم.﴿ بِذَنبِهِمْ ﴾ بسببه .﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ فسوي الدمدمة بينهم اوعليهم فلم يفلت منهم صغير ولاكبير ، او ثمود بالإهلاك .

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ اي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الإبقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا علي العطف.

فضل سورة الشمس

عن النبي ﷺ : « **من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر** »(٦) .

---

(٤) الحاقة : ٥ .

(٥) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ – لعلي « الا احدثك باشقي الناس ؟ » قال : بلي : قال: « رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك ياعلي علي هذا – يعني قرنه – حتي تبتل منه هذه » يعني لحيته .
رواه ابن كثير في تفسيره وعزاه إلي ابن ابي حاتم .

(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال الحافظ ابن حجر، رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدى من حديث أبي بن كعب رضى الله عنه .

(٩٢) سورة الليل مكية (١)

وآياتها إحدي وعشرون

الآيات من ١ : ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ
سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ
⑦ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑩ وَمَا
يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ⑪ ﴾.

أقسام علي اختلاف مساعي الناس

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ أي يغشي الشمس أو النهار أوكل ما يواريه بظلامه.

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أوتبين بطلوع الشمس .

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ والقادر الذى خلق صنفي الذكر والأنثي من كل نوع له توالد، أو آدم وحواء وقيل مامصدرية.

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ إن مساعيكم لأشتات مختلفة جمع شتيت .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الأعلي .

وفي تفسير القرطبي : مكية وقيل : مدنية.

وفي تفسير الرازي المعروف بمفاتيح الغيب، قال القفال :نزلت هذه السورة في أبي بكر وإنفاقه علي المسلمين ، وفي امية بن خلف وبخله وكفره بالله.

قال: إلا إنها وإن كانت كذلك لكن معانيها عامة للناس ، الاتري أن الله تعالي يقول ﴿ إن سعيكم لشتي ﴾ وقال:﴿ فانذرتكم نارا تلظي ﴾ .

وروي عن علي رضى الله عنه أنه قال:« خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فقعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله فقال: « ما منكم نفس منفوسة إلا وقد علم الله مكانها من الجنة والنار» فقلنا يارسول الله افلا نتكل ؟ فقال:« اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴿ فأمامن أعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري ﴾ – البخاري تفسيرسورة الليل –

الموفق للخير

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ تفصيل مبين لتشتت المساعي ، والمعني من أعطي الطاعة واتقي المعصية وصدق بالكلمة الحسني وهي مادلت علي حق ككلمة التوحيد .

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلي يسر وراحة كدخول الجنة، من يسر الفرس إذا هيأه للركوب بالسرج واللجام .

الإنسان المخذول

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بما أمر به .﴿ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبي

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ وبإنكار مدلولها .

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ للخلة المؤدية إلي العسر والشدة كدخول النار .

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ ﴾ نفي أو استفهام إنكار . ﴿ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ هلك تفعل من الردي ، أو تردي في حفرة القبر أو قعر جهنم .

الآيات من ١٢ : ٢١

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ للإرشاد إلي الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا ، أو إن علينا طريقة الهدى كقوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ .

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء ، أو ثواب الهداية للمهتدين ، أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء .

الشقي هو الذي مصيره النار

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ تتلهب .

---

(٢) النحل : ٩ .

﴿ لا يَصْلاهَا ﴾ لا يلزمها مقاسياً شدتها . ﴿ إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لا يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله :

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ اى كذب الحق وأعرض عن الطاعة .

السعيد هو التقي

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾

﴿ الَّذِي ﴾ اتقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلاً عن أن يدخلها ويصلاها ، ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق . ﴿ يُؤْتِي مَالَهُ ﴾ يصرفه في مصارف الخير لقوله : ﴿ يَتَزَكَّىٰ ﴾ فإنه بدل من يؤتى او حال من فاعله .

﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ فيقصد بإيتائه مجازاتها .

﴿ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴾ استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتى إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة (٣) .

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وعد بالثواب الذي يرضيه (٤) .

والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم (٥) . ولذلك قيل : المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف .

---

(٣) حين اشتري ابو بكر رضى الله عنه بلالا من امية بن خلف وكان يعذب بلالا قال امية بن خلف والمشركون :ما اشتراه ابو بكر واعتقه إلا ليد كانت له عنده فنزل قوله تعالي ﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الاعلي ﴾ .

(٤) روي أبوحيان التيمي عن ابيه عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني إلي دارالهجرة وأعتق بلالا من ماله » .

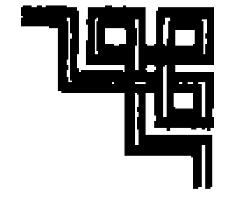
(٥) وقيل : نزلت في ابي الدحداح حين اشتري نخلة من رجل ، كان يسقط ثمرها في دار جاره ، فيلتقطه صبيانه فياكلونه فيغضب وشكا إلي النبي ﷺ فقال له ابتع نخلتك هذه بنخلة في الجنة؟ فابي ، وعلم أبو الدحداح فذهب إلي الرجل وساومه علي بيع نخلته واشتراها منه بأربعين نخلة وقيل بحائط له في المدينة اسمه « حسني » ثم ذهب إلي النبي ﷺ وقال له يارسول الله هذه النخلة لله ، فوهبها النبي ﷺ للرجل الذي كانت تسقط ثمارها في داره فنزلت الآيات ، - تفسير القرطبي .

فضل سورة الليل

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتي يرضي وعافاه من العسر ويسر له اليسر » (٦) .

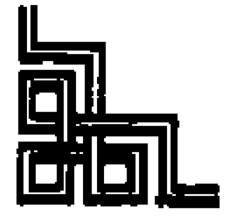
(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

سورة الضحي مكية (١)
وآياتها إحدي عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ١١

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ
مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ .



قسم علي عدم هجران الله تعالي لنبيه ﷺ

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوي فيه ، او لأن فيه كلم موسي عليه الصلاة والسلام ربه والقي السحرة سجدا، أو النهار يؤيده قوله تعالي ﴿ أن يأتيهم بأسنا ضحي ﴾ (٢) في مقابلة بياتا .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سَجْواً إذا سكنت امواجه، وتقديم الليل في السورة المتقدمة (٣) باعتبار الأصل، وتقديم النهار ها هنا باعتبار الشرف .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الفجر.

وفي تفسير ابن كثير :أنه ينبغي ان يكبر القارئ في اثناء قراءته في أوائل السورة حين يبلغ سورة الضحي .

وفي مناسبة هذا التكبير انه لما تاخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة جاءه الملك فاوحي إليه « والضحي والليل إذا سجى » السورة بتماها كبر فرحا وسرورا .

وكيفية التكبير ان يكتفي القارئ بقوله « الله اكبر ، وبعضهم يري أنه يقول : الله اكبر لا إله إلا الله ، الله اكبر .

وبعضهم يقول يبدأ التكبير من آخر سورة والليل إذا يغشي وبعضهم يقول يبدأ من آخر سورة الضحي .

(٢) الأعراف : ٩٨ .

(٣) سورة الليل حيث قدم الليل علي النهار فقال:﴿ والليل إذا يغشي ، والنهار إذا تجلي ﴾ .

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ ماقطعك قطع المودع ، وقرئ بالتخفيف بمعني ما تركك وهو جواب القسم .﴿ وَمَا قَلَى ﴾ وما ابغضك ، وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل، روي ان الوحي تاخر عنه اياماً لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف(٤) او لزجره سائلا مُلحاً ، او لان جرواً ميتاً كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ، ردا عليهم (٥) .

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى ﴾ فإنها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار، كانه لما بين انه سبحانه وتعالي لايزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو أعلي واجل من ذلك في الآخرة، اولنهاية امرك خير من بدايته ، فإنه ﷺ لايزال يتصاعد في الرفعة والكمال.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين ، ولما ادخر له مما لايعرف كنهه سواه، واللام للابتلاء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير : ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل علي المضارع إلا مع النون المؤكدة ، وجمعها مع سوف للدلالة علي ان الإعطاء كائن لامحالة وإن تاخر لحكمة (٦) .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾ تعديد لما انعم عليه تنبيها علي انه كما احسن إليه فيما مضي يحسن إليه فيما يستقبل وإن تاخر ، ويجدك من الوجود بمعني العلم ويتيما مفعوله الثاني أو المصادقة ويتيما حال.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً ﴾ عن علم الحكم والاحكام.﴿ فَهَدَى ﴾ فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر ، وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب إلي الشام اوحين

---

(٤) في قوله تعالي ﴿ ولاتقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله ﴾ الكهف : ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) راجع لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي سورة « والضحي » .

(٦) قال علي رضى الله عنه : إن هذه الآية ارجي آية في كتاب الله عز وجل ، وفي الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ :« إذا والله لا ارضي وواحد من امتي في النار » تفسير القرطبي .

فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلي جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك(٧)

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً ﴾ فقيرا ذا عيال. ﴿ فَأَغْنَى ﴾ بما حصل لك من ربح التجارة.

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ فلاتغلبه علي ماله لضعفه وقرئ فلاتكهر أي فلا تعبس في وجهه.

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ فلا تزجره.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ فإن التحدث بها شكرها ،وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها.

فضل سورة الضحي

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة الضحي جعله الله سبحانه وتعالي فيمن يرضي لمحمد ﷺ أن يشفع له وعشر حسنات ، يكتبها الله سبحانه وتعالي بعدد كل يتيم وسائل** ».(٨)

---

(٧) ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته ١ /١٥٩ ص ١٦٠ بتحقيقنا.

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف، وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضي الله عنه :

ومما يذكر في فضلها ما اورده القرطبي في كتابه «التذكار في افضل الأذكار» قال : إذا اردت ان تري في النوم شيئا مما يشكل عليك امره، فصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات تقرأ في الأولي بعد الفاتحة «والضحي» وفي الثانية «والتين» وفي الثالثة «إنا أنزلناه» وفي الرابعة «إذا زلزلت» ولاتتكلم بعد هذه الصلاة، وتكتب «إذا إذا زلزلت» إلي آخرها في رقعة وتجعلها تحت رأسك ، وتقول عند النوم : اللهم أرني في منامي الخير في كذا وكذا، وتسمي ماتريد فإنك تراه إن شاء الله تعالي. التذكار في افضل الأذكار للقرطبي ص ٢٩٠.

سورة الشرح مكية (١) :وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الم نفسحه حتي وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا، اوالم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ماكان يشق عليك ، وقيل إنه إشارة إلي ما روي « ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتي رسول الله ﷺ في صباه أو يوم الميثاق ، فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه إيمانا وعلما »(٢) ولعله إشارة إلي نحو ماسبق ومعني الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ عبئك الثقيل.

﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ الذي حمله علي النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة ، أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته ، أو تلقي الوحي أو ماكان يري من ضلال قومه من العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلي الإيمان.

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد الضحي.

وفي « مفاتيح الغيب » للرازي : يروي عن طاووس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان « هذه السورة و سورة الضحي سورة واحدة، وكانا يقرآناها في الركعة الواحدة، وماكانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم .

والذي دعاهما إلي ذلك هو ان قوله تعالي ﴿ الم نشرح لك ﴾ كالعطف علي قوله ﴿ الم يجدك يتميما ﴾ الضحي : ٦

قال الرازي : وليس كذلك ، لأن الأول كان نزوله حال اغتمام الرسول ﷺ من إيذاء الكفار فكانت حال محنة صدر، والثاني يقتضى ان يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب ، فاني يجمعان ؟؟

(٢) أخرجه مطولا الإمام احمد في مسنده من حديث ابي هريرة ، رضي الله عنه ٥ / ١٣٩ .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ بالنبوة وغيرها ، وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالي في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته ، وصلي عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب وإنما زاد لك ليكون إبهاما قبل إيضاح فيفيد المبالغة(٣) .

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ ﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم ﴿ يُسْرًا ﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلاتياس من روح الله إذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعني بما في إن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين .

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ تكرير للتأكيد أو استئناف وعده بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك :إن للصائم فرحة إن للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام« **لن يغلب عسر يسرين** » (٤) فإن العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أو للجنس ، واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأول.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ من التبليغ ﴿ فَانصَبْ ﴾ فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية، وقيل إذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة أو فإذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء .

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ بالسؤال ولاتسأل غيره فإنه القادر وحده علي إسعافك وقرئ فرغّب أي فرغب الناس إلي طلب ثوابه .

فضل سورة الشرح

عن النبي ﷺ «**من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني**» (٥) .

---

(٣) قال في ذلك حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ

أغــــر عليه للنـــبوة خـــاتـم ... من الله من نور يلوح ويشـــهد

وضم الإله اسم النبي إلي اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشـــــق له من اسمه ليُجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ـ كتاب الجهاد ـ باب الترغيب في الجهاد ـ انظر تنوير الحوالك ١/٢٩٦.

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف وقال ابن حجر :أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى اللهعنه
قال : ورواه سليم الزهري في البر عنه مرسلا .

(٩٥) سورة التين مكية (١) وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾.

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل لمثله وغذاء لطيف سريع الهضم ، ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد البروج

وجاء في تفسير ابن كثير عن البراء بن عازب قال : كان النبي ﷺ يقرأ في سفر في إحدي الركعتين سورة التين والزيتون » فما سمعت أحدا أحسن صوتا أوقراءة منه اخرجه الجماعة في كتبهم .

وجاء في مفاتيح الغيب « للرازي »

ما سر القسم بالتين والزيتون ؟ وفي ذلك قولان : الأولان المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران قال ابن عباس : هو تينكم وزيتونكم هذا ثم ذكروا أن من خواص التين والزيتون اشياء

أما التين فقالوا : إنه غذاء وفاكهة ودواء اماكونه غذاء فالأطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لايمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشيح، ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل مافي المثانة من الرمل ، ويسمن البدن ، ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه واحمدها .

وروي انه أهدي لرسول اللهﷺ طبق تين فاكل منه ثم قال لاصحابه :« كلوا فلو قلت إن فكاهة نزلت من الجنة لقلت هذه ، لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » .

وعن علي بن موسي الرضا رضي اللهعنه : التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج . .

وأما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة فاكهة من وجه وإدام من وجه ، ودواء من وجه .

الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال، ويسمن البدن وفي الحديث أنه يقطع البواسير وينفع من النقرس ، والزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال ، وقيل: المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس ، أو البلدان.

* الإعجاز العلمي

قال تعالى: ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾
وقال : ﴿ وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ﴾
وقال : ﴿ والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين ﴾
وقال : ﴿ فأنبتنا فيهاحبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا ﴾

يقرر العلم أن شجرة الزيتون من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلاً لمدد تزيد عن مئات السنين ، وتثمر ثماراً مستمرة بغير جهد من الإنسان ، كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر .

وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين ، كما يتميز بوجود الأملاح الكلسية والحديدية والفوسفاتية ،

وهذه مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان ، فضلاً عن ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين «أ» ، «ب» .

ويستخرج من ثماره زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة ، التي تفيد الجهاز الهضمي عامة ، والكبد خاصة .

ويفضل زيت الزيتون كافة أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية ؛ لأنه لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون .

كما أنه ملطف للجلد ؛ إذ يجعله ناعما مرنا . . ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة في الصناعة ؛ إذ يحضر منه بعض الصناعات ، ويدخل في تركيب أفضل أنواع الصابون وغير ذلك من منافع عدة قررها العلم الحديث أخيرا .

التين

قال تعالى : ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين ﴾

التين ثمرة مباركة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ، وأقسم بها ، لمدى أهميتها الكبيرة وعظم فائدتها . . وهذا ما أكده العلم الحديث الآن .

فلقد تبين أن التين من الثمار ذات القيمة الكبري ، فهو قلوي يزيد حموضة الجسم التي هي منشأ الأمراض ، وهبوط القوى والشعور بالوهن ، ويغسل الكلى والمسالك البولية .

والمواد الفعالة في التين هي مواد مطهرة . . ويمكن استعماله في معالجة الجروح والقروح النتنة بتضميدها بثماره ، كما أن التين يفيد في معالجة الإمساك .

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ يعني الجبل الذي ناجي عليه موسي عليه الصلاة والسلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه .

﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين، او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ يريد به الجنس[٢] ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ بان جعلناه من اهل النار او إلي أسفل السافلين وهو النار. وقيل هو أرذل العمر فيكون قوله :

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ استثناء منقطعا ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ لاينقطع أو لا يمن به عليهم ، وهو علي الأول حكم مرتب علي الاستثناء مقرر له .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ اي فاي شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقاً[٣] ﴿ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل مابمعني من . وقيل: الخطاب للإنسان علي الالتفات والمعني فما الذي يحملك علي هذا الكذب.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ تحقيق لماسبق ، والمعني اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا علي الإعادة والجزاء علي مامر مرارا .

فضل سورة التين

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة التين أعطاه الله العافية واليقين مادام حيا ، فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة** »[٤]

---

(٢) وقيل: الإنسان المقصود به الكافر وقيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل كلدة بن اسيد ، فعلي هذا نزلت في منكري البعث .

(٣) وقيل : الخطاب للكافر توبيخا وإلزاما للحجة.

والمعني إذا عرفت أيها الإنسان ان الله خلقك في احسن تقويم ، وانه يردك إلي ارذل العمر وينقلك من حال إلي حال فما يحملك علي ان تكذب بالبعث وقد اخبرك به الصادق المصدوق ؟

(٤) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ بن حجر: اخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي باسانيدهم إلي ابي بن كعب رضي الله عنه .

سورة العلق مكية (١) وآياتها تسع عشرة

الآيات من ١ : ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) ﴾.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالي ، أو مستعينا به ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وأدل علي وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال:

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴾ او الذي خلق الإنسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة علي عجيب فطرته ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ جمعه علي ان الإنسان في معني الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالي نزل اولا مايدل علي وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته .

﴿ اقْرَأْ ﴾ تكرير للمبالغة ، او الأول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة، ولعله لما قيل له : اقرا باسم ربك فقال: ما انا بقارئ فقيل له اقرأ: ﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ الزائد في الكرم علي كل كريم فإنه سبحانه وتعالي ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده علي الحقيقة.

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ اى الخط بالقلم ، وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد .

---

(١) في معظم التفاسير :هي اول مانزل من القرآن الكريم
وقال القرطبي : هي أول ما نزل من القرآن في قول أبي موسي وعائشة رضى الله عنهما
وقال الرازي :زعم المفسرون ان هذه السورة أول ما نزل من القرآن وقال آخرون : الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم .

﴿ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعلم﴾ بخلق القوي ونصب الدلائل وإنزال الآيات فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالي مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهارا لما أنعم عليه ، من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميته ، وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل عليها سمعًا (٢) .

آيات نزلت في أبي جهل

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه . ﴿ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾ .

﴿ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ ان راى نفسه ، واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد .﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيان ، والرجعى مصدر كالبشرى .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴾

﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ نزلت في ابى جهل قال : لو رايت محمداً ساجداً لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة (٣) . فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهى .

الآيات من ١١ : ١٩

﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
(١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) ﴾

(٢) يري العلماء أن بدء السورة «باقرا» في اول آيات نزلت من القرآن الكريم دليل علي اختصاص هذه الأمة بفضيلة العلم والتعليم ، والعلم طريقه القراءة وذكراسم الله مقرونا بالقراءة إشارة إلي العلم النافع الذي يفيد البشرية ويرقيها ، فينبغي ان يصرف العلماء جهودهم إلي العلم النافع الذي يهدي إلي الله ويعلي قيمة الإنسان ، ويقي الإنسانية الأضرار والا يصرفوا أوقاتهم فيما يضر من مخترعات اوافكار اوبحوث.

(٣) تفسير الطبري الأثر رقم ٣٧٦٨٧ ج ١٢ / ٦٩٧ ط دار الغد .

﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ .

﴿ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴾ ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله :

﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ والشرطية مفعوله والثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له . والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد اللهعن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه ، أو آمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده ، أو إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول ، الم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله .

وقيل : المعنى ارايت الذى ينهى عبداً يصلى والمنهى على الهدى آمراً بالتقوى ، والناهي مكذب متول فما أعجب من ذا .

وقيل : الخطاب في الثانية مع الكافر فإنه سبحانه وتعالي كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى ، وكانه قال يا كافر اخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلي الله سبحانه وتعالى امراً بالتقوى اتنهاه ، ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لأن النهي كان عن الصلاة والأمر بالتقوي ، فاقتصر علي ذكر الصلاة لأنه دعوة بالفعل او لان نهى العبد إذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها ، وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع للناهي . ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ عما هو فيه . ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار ، والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة ، وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن ، وكتابته في المصحف بالالف علي حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الإضافة للعلم بأن المراد ناصية المذكور .

﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ بدل من الناصية وإنما جاز لوصفها ، وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ ، وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة .

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم . روي ان ابا جهل لعنه الله مر برسول الله ﷺ وهو يصلى فقال : الم انهك ؟ فاغلظ له رسول الله

ﷺ فقال : أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا فنزلت (٤) .

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ ليجروه إلى النار وهو في الأصل الشرط واحدها زِبْنِيَة كعفرية من الزبن وهوالدفع ، أو زبنى على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع ايضًا للناهي . ﴿ لا تُطِعْهُ ﴾ اي اثبت انت على طاعتك . ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ داوم علي سجودك . ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾ وتقرب إلى ربك وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد إلي ربه إذا سجد » .

فضل السورة

عن النبى ﷺ : « من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كأنما قرأ المفصل كله »(٥) .

(٤) رواه الترمذي في جامعه الصحيح . راجع تحفة الأحوذي . تفسير سورة اقرا باسم ربك . ٩/ ٢٧٨ .

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف، وقال ابن حجر : رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه باسانيدهم إلي ابي بن كعب رضى الله عنه .

(٩٧) سورة القدر مكية (١) وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ⁽١⁾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ⁽٢⁾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ⁽٣⁾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ⁽٤⁾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⁽٥⁾ ﴾ .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند نزله إليه، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ .

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها ، أو أنزله جملة من اللوح إلي السماء الدنيا علي السفرة، ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله علي رسول الله ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة.

وقيل : المعني أنزلناه في فضلها، وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان ، ولعلها السابعة منها ، والداعي إلي إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ (٢).

وذكرالألف إما للتكثير ، أو لما روي انه ﷺ ذكر إسرائيليا يلبس السلاح في سبيل الله الف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فاعطوا ليلة القدر هي خير من مدة ذلك الغازي (٣) .

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ بيان لما له فضلت علي الف شهر

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد عبس وهي مكية
وقال القرطبي : هي مدنية في قول أكثر المفسرين ذكره الثعلبي وحكاه الماوردي عنه.
قال : وقلت وهي مدنية في قول الضحاك واحد قولي ابن عباس وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة.

(٢) الدخان : ٤

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلي ابن أبي حاتم
ورواه الترمذي . تحفة الأحوذي . تفسير سورة القدر ٩ / ٨٠ ، ذكره الطبري في تفسيره . الأثر رقم ٣٧٧١٣ ج ١٢ / ٧٠٢ عن مجاهد .

وتنزلهم إلي الأرض ، أو إلي السماء الدنيا أو تقربهم إلي المؤمنين .﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ من أجل كل أمر قدر في تلك السنة، وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان

﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾ ماهي إلا سلامة أي لايقدر الله فيها إلا السلامة . ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها علي المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ اي وقت مطلعه أي طلوعه ، وقرأ الكسائي بالكسر علي أنه كالمرجع أو اسم زمان علي غير قياس كالمشرق.

فضلها

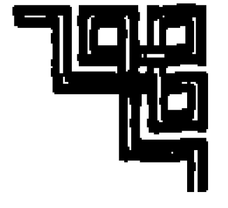
عن النبي ﷺ «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» (٤) .

---

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه

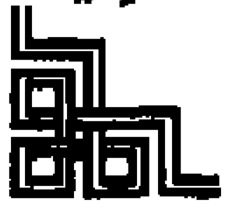
(٩٨) سورة البينة مدنية (١)

وآياتها ثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧ ﴾.



﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ اليهود والنصاري فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات الله سبحانه وتعالي ومن للتبين .﴿ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ وعبدة الأصنام. ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ عما كانوا عليه من دينهم ، أو الوعد باتباع الحق إذ جاءهم الرسول ﷺ ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ الرسول ﷺ أو القرآن، فإنه مبين للحق أو معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بإفحامه من تحدي به .

﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ .﴿ يَتْلُو صُحُفًا

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية وقيل مدنية نزلت بعد الطلاق

وفي تفسير القرطبي :مكية في قول يحيي بن سلام ، ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وفي تفسير ابن كثير هي مدنية واستشهد بحديث الإمام احمد في مسنده ٣ / ٤٨٩ قال: لما نزلت «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » إلي آخرها قال جبريل :يارسول الله إن ربك يامرك ان تقرئها ابياً فقال النبي ﷺ لأبي : «إن جبريل امرني ان اقرئك هذه السورة» قال ابي :وقد ذكرتُ ثَمَّ يارسول الله؟ قال :« نعم » قال : فبكي أُبَيٌّ .

﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ صفته أو خبره ، والرسول ﷺ وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها ، وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مطهرة أن الباطل لا ياتي ما فيها ، أو أنها لا يمسها إلا المطهرون.

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم أو تردد في دينه ، أو عن وعدهم بالإصرار علي الكفر .﴿ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ فيكون كقوله ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ (٢) وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة علي شناعة حالهم، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولي.

﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ اي في كتبهم بما فيه ﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ لايشركون به ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ مائلين عن العقائد الزائغة . ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ولكنهم حرفوا وعصوا .﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ دين الملة القيمة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ اي يوم القيامة، أو في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك ، واشتراك الفريقين في جنس العذاب لايوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما .﴿ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز علي الأصل.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾.(٣) .

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ فيه مبالغات تقديم المدح، وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بأنه من عند ربهم ، وجمع جنات وتقييدها إضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما ، وتأكيد الخلود بالتأبيد ، ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ استئناف بما يكون لهم زيادة علي جزائهم .﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ لأنه بلغهم أقصي أمانيهم .﴿ ذَلِكَ ﴾ اي المذكور من الجزاء والرضوان .﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ فإن الخشية ملاك الأمر والباعث علي كل خير.

---

(٢) البقرة : ٨٩ .

(٣) استدل العلماء بهذه الآية علي أن المؤمنين مفضلون علي الملائكة لقوله تعالي ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ تفسير ابن كثير .

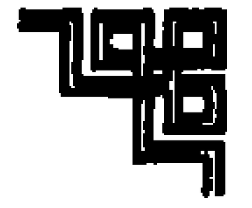
فضل سورة البينة

عن النبي ﷺ « من قرأ سورة لم يكن الذين كفروا كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا » (٤) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر :أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .
ومما ورد في فضلها ماذكره القرطبي في تفسيره قال : حدث مالك بن أنس عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « لو يعلم الناس ما في «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب » لعطلوا الأهل والمال فتعلموها » فقال رجل من خزاعة : وما فيها من الاجر يارسول الله؟ قال : « لايقرؤها منافق أبدا ولا عبد في قلبه شك في الله إن الملائكة المقربين يقرءونها منذ خلق الله السموات والأرض وما يفترون من قراءتها وما من عبد يقرؤها إلا بعث الله إليه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة » .
قال القرطبي : هذا حديث لايصح .
وإنما الحديث الصحيح ما روي عن أنس من ان النبي ﷺ قال لأبي بن كعب : « إن الله أمرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا .. الحديث الذي ذكرناه في صدر هذه السورة . .
قال القرطبي :وهذا الحديث اخرجه البخاري ومسلم وفيه من الفقه قراءة العالم علي المتعلم قال العلماء إنما قرأ النبي ﷺ علي ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف احد من التعليم والقراءة علي من دونه في المنزلة .
وقيل : لأن أبيا كان أسرع اخذا لالفاظ رسول اللهﷺ فاراد بقراءته عليه ان يأخذ الفاظه ويقرأ كما سمع منه ويعلم غيره .وفيه فضيلة عظيمة لأبي رضي الله عنه .

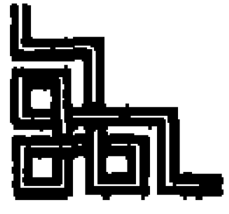
سورة الزلزلة (١)

مدنية وآياتها ثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾.



من مظاهر القيامة

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولي، أو الثانية أو

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ، قيل: مكية وقيل: مدنية نزلت بعد العشاءوقال القرطبي : مدنية في قول ابن عباس وقتادة، ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر .

وقال ابن كثير : مكية

وقال الرازي في مفاتيح الغيب :مدنية

واضاف ابن كثير الخبر الآتي

عن عبد الله بن عمرو قال : اتي رجل إلي رسول الله ﷺ فقال :اقرئني يارسول الله قال له: « اقرا ثلاثا من ذات آلر » قال الرجل : كبر سني واستد قلبي وغلظ لساني قال « اقرا من ذات حم» فقال مثل مقالته الأولي فقال: « اقرا ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته فقال الرجل : ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فاقراه «إذا زلزلت الأرض زلزالها ، » حتي إذا فرغ منها قال الرجل « والذي بعثك بالحق لا ازيد عليها أبدا ، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ افلح الرويجل ، افلح الرويجل» ثم قال : « علي به » فجاءه فقال له أمرت بيوم الاضحي جعله الله عيدا لهذه الأمة، فقال له الرجل : ارايت إن لم أجد مثيمة انثى افاضحى بها ؟ قال : لا ، ولكنك تاخذ من شعرك ، وتقلم اظافرك ، وتقص شاربك وتحلق عانتك فذلك تمام اضحيتك » .

مسند أحمد ٢ / ١٦٩ ـ سنن أبي داود : تفريع أبواب شهر رمضان ـ باب تحزيب القرآن ، والنسائى ٧ / ٢١٢

والخبر بهذا يشير إلي أن السورة مدنية، فإن الحج والأضحية لم يشرعا إلا بعد الهجرة ، وفي هذا تعارض بينه وبين قول ابن كثير إن السورة مكية.

الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة ، وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الأبنية فعلال إلا في المضاعف .

﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ما في جوفها من الدفائن أو الأموات جمع ثقل وهو متاع البيت .

﴿ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ لما يبهرهم من الأمر الفظيع ، وقيل المراد بالإنسان الكافر فإن المؤمن يعلم مالها .

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ ﴾ تحدث الخلق بلسان الحال .﴿ أَخْبَارَهَا ﴾ ما لأجله زلزالها وإخراجها ، وقيل: ينطقها الله سبحانه وتعالي فتخبر بما عمل عليها ، ويومئذ بدل من إذا وناصبهما تحدث، أو أصل وإذا منتصب بمضمر .

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ اي تحدث بسبب إيحاء ربك لها بان أحدث فيها ما دلت علي الاخبار ، او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من إخبارها إذ يقال : حدثته كذا وبكذا واللام بمعني إلي أوعلي أصلها إذ لها في ذلك تشف من العصاة .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ ﴾ من مخارجهم من القبور إلي الموقف .﴿ أَشْتَاتًا ﴾ متفرقين بحسب مراتبهم .﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ، وقرأ هشام بإسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب ، وقيل الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة أو من الأولي مخصوصة بالسعداء والثانية بالأشقياء لقوله أشتاتا والذرة النملة الصغيرة أو الهباء (٢) .

---

(٢)وروى الإمام أحمد في مسنده عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق الشاعر أنه أتي النبي ﷺ فقرأ عليه «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا شره» قال حسبي لا أبالي ان لاأسمع غيرها المسند ٥ / ٥٩
وروي ابن جرير الطبري أن أبا بكر الصديق بكي حين نزلت هذه السورة فقال له رسول الله ﷺ : «م ابيكيك يا أبا بكر ؟» قال : يبكيني هذه السورة فقال له رسول الله ﷺ «لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم »
تفسير ابن كثير وعزاه إلي ابن جرير الطبري .

فضل السورة

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة إذازلزلت الأرض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله»(٣) .

(٣) أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد اهل البيت .
وأخرجه ابن مردويه والواحدي بإسنادهما إلي ابي بن كعب رضى الله عنه بلفظ « من قرأ إذا زلزلت اعطي من الأجر كمن قرأ القرآن »
وفي فضلها قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : روي الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ « إذا زلزلت » عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ « قل يا أيها الكافرون » عدلت له ربع القرآن ومن قرأ « قل هوالله أحد » عدلت له بثلث القرآن قال : حديث غريب .

سورة العاديات مكية (١)

وآياتها إحدي عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾ .

أهمية إعداد الخيول للجهاد في سبيل الله

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ اقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا، وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فإنها تدل بالالتزام علي الضابحات أو ضبحا حال بمعني ضابحة

﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ فالتي توري النار، والإيراء إخراج النار يقال: قدح الزند فاوري.

﴿ فَالْمُغِيرَاتِ ﴾ يغير اهلها علي العدو ﴿ صُبْحًا ﴾ اي في وقته .

﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ فهيجن .﴿ بِهِ ﴾ بذلك الوقت .﴿ نَقْعًا ﴾ غبارا أو صياحا.

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ ﴾ فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أي ملتبسات به . ﴿ جَمْعًا ﴾ من جموع الأعداء ، روى : انه ﷺ بعث خيلا فمضت أشهرا لم يأته منهم خبر فنزلت (٢) .

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية وقيل مدنية ـ نزلت بعد العصر

وفي تفسير القرطبي : مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وأنس ومالك وقتادة .

(٢) جاء في تفسير القرطبي : بعث رسول الله ﷺ سرية إلي اناس من بني كنانة فابطأ عليه خبرها وكان قد استعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري ، وكان أحد النقباء فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت هذه السورة إخبارا للنبي ﷺ بسلامتها وبشارة له بإغارتها علي القوم الذين بعث إليهم وذكره ابن كثير وعزاه إلي البزار.

ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كما لهن الموريات بأفكارهن أنوار المعارف ، والمغيرات علي الهوي والعادات إذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من مجموع العليين.

جواب القسم

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ لكفور من كند النعمة كنودا ، أو لعاص بلغة كندة، أو لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم.

﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ وإن الإنسان علي كنوده ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ يشهد علي نفسه لظهور أثره عليه ، أو ان الله سبحانه وتعالي علي كنوده لشهيد فيكون وعيدا .

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ المال من قوله سبحانه وتعالى .﴿إن ترك خيرا ﴾[٣] أي مالا ﴿لَشَدِيدٌ ﴾ لبخيل او لقوي مبالغ فيه .

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ﴾ بعث .﴿ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ من الموتي وقرئ بحثر وبحث .

﴿ وَحُصِّلَ ﴾ جمع محصلا في الصحف او ميز ، ﴿ما في الصدور ﴾ من خير أو شر وتخصيصه لأنه الأصل.

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ عالم بما اعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه ،وإنما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين[٤] وقرئ أن وخبير بلا لام .

فضل السورة

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا »[٥] .

---

(٣) البقرة : ١٨٠

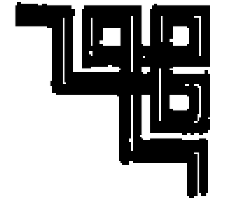
(٤) علي اعتبار ان « ما » لغير العاقل ، وبهم تفيد عودة الضمير علي عاقل .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسند إلي أبي بن كعب رضى الله عنه

وذكره الرازي في فضلها بلفظ « من قراها اعطي من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا » مفاتيح الغيب ج ١٦ / ٥٨٦.

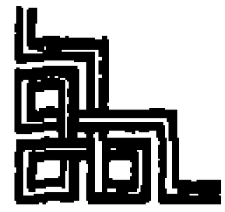
(١٠١) سورة القارعة (١)

مكية وآياتها إحدي عشرة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾.



من أسماء القيامة القارعة

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ .

﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ سبق بيانه في الحاقة(٢) .

حال الناس والجبال

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم، وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة.

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ كالصوف ذي الالوان. ﴿ الْمَنفُوشِ ﴾ المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو

حال المؤمن

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه ﴾ بأن ترجحت مقادير انواع حسناته.

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ ﴾ في عيش .﴿ رَّاضِيَةٍ ﴾ ذات رضا أو مرضية.

---

(١) في تفسر الكشاف : نزلت بعد قريش

وجاء في مفاتيح الغيب المناسبة بينها وبين السورة السابقة فقال لما ختم سبحانه وتعالي السورة السابقة بقوله « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » فكأنه قيل: وماذلك اليوم ؟ فقيل : هي القارعة.

(٢) الاستفهام في الآية علي جهة التعظيم والتفخيم لشانها والتهويل من أمرها .

وحال الكافر

﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه** ﴾ بان لم يكن له حسنة يعبا بها ، أو ترجحت سيئاته علي حسناته .

﴿ **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ﴾ فمأواه النار المحرقة[3] والهاوية من أسمائها ولذلك قال :

﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه** ﴾ .

﴿ **نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ ذات حمي .

فضل السورة

عن النبي ﷺ « **من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة** » .

(٣) جاء في الخبر عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي ﷺ قال :« إن الموتي يسالون الرجل يأتيهم عن رجل مات قبله فيقول : ذلك مات قبلي أما مربكم ؟ فيقولون : لا والله فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذُهب به إلي امه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية » ذكره القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتي والآخرة، وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٤) أورد الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وقال ابن حجر : أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في سندهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(١٠٢) التكاثر مكية (١) وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾.

﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ شغلكم، واصله الصرف إلي اللهو منقول من لها إذا غفل . ﴿ التَّكَاثُرُ ﴾ التباهي بالكثرة .

﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلي المقابر فتكاثرتم بالأموات، عبر عن انتقالهم إلي ذكر الموتي بزيارة المقابر. روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف ، فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم (٢) وإنما حذف المنهي عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة ، وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلي أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم ، وهو السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبيه علي أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة .﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم .

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة علي أن الثاني أبلغ من الأول، أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور .

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم اليقين أي

---

(١) جاء في الكشاف : مكية نزلت بعد الكوثر

وفي القرطبي : مكية في قول جميع المفسرين وروي البخاري أنها مدنية

(٢) وهذا الخبر يفيد ان السورة مكية ولكن ابن كثير ذكر الخبر بصورة أخري قال :نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت أحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان ، وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالاحياء ثم قالوا : انطلقوا بنا إلي القبور، فجعلت إحدي الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلي القبر، ومثل فلان ؟ وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله « ألهاكم التكاثر حتي زرتم المقابر» . وهذا يفيد أن السورة مدنية .

كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره، أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولايجوز أن يكون قوله .

﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ جوابا له لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيما، وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء .

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ تكرير للتأكيد ، أو الأولي إذارأيتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها ، أو المراد بالأولي المعرفة وبالثانية الأبصار ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين ، فإن علم المشاهدة أعلي مراتب اليقين .

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ الذي الهاكم ، الخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله ﴿ من حرم زينة الله ﴾(٣) ﴿ كلوا من الطيبات ﴾ (٤) وقيل يعمان إذ كل يسال عن شكره(٥)، وقيل: الآية مخصوصة بالكفار.

فضل السورة : عن النبي ﷺ « **من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله سبحانه وتعالي بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا ، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية** »(٦) .

---

(٣) الأعراف ٣٢ (٤) المؤمنون : ٥١

(٥) روي ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد فقال : ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال :أخرجني الذي اخرجك يارسول الله ، قال :وجاء عمر بن الخطاب فقال :« ما أخرجك يابن الخطاب ؟ قال : اخرجني الذي اخرجكما. . . قال : « مروا بنا إلي منزل ابن التيهان أبي الهيثم الانصاري». قال : فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فسلم واستاذن ثلاث مرات وام الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام فلما ان اراد ان ينصرف خرجت أم الهيثم تسعي خلفهم ، فقالت : يارسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن أردت ان تزيدنا من سلامك ، فقال لها رسول الله ﷺ « خيرا » ثم قال « أين ابو الهيثم »؟ لا أراه » قالت : يا رسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فإنه ياتي الساعة إن شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة، فجاء ابو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم ، فصعد علي نخلة فصرم لهم اعذاقا ، فقال له رسول الله ﷺ « حسبك يا ابا الهيثم فقال : يارسول الله تاكلون من بسره ومن رطبه ومن تذنوبه . التذنوب - الذي يدافيه الإرطاب من قبل ذنبه - ثم اتاهم بماء فشربوا عليه ، فقال رسول الله ﷺ « هذا من النعيم الذي تسالون عنه » . تفسير ابن كثير - والقرطبي وعزاه إلي الترمذي .

(٦) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف ، وقال ابن حجر :أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بإسنادهم إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(١٠٣) سورة العصر مكية (١) وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ .

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها ، أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله علي الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران.

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ إن الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم ،والتعريف للجنس (٢) والتنكير للتعظيم .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ الثابت الذي لايصح إنكاره من اعتقاد أو عمل. ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ عن المعاصي أو علي الحق، أو ما يبلو الله به عباده ، وهذا من عطف الخاص علي العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصورا علي كماله، ولعله سبحانه وتعالي إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود ، وإشعارا بأن ما عد إما عد يؤدي إلي خسر ونقص حظ، أو تكرما فإن الإبهام في جانب الخسر كرم (٣) .

فضل سورة العصر: « عن النبي ﷺ «من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (٤) .

---

(١) في تفسير الكشاف نزلت بعد الشرح

وفي تفسير القرطبي هي مكية وقال قتادة : مدنية وروي عن ابن عباس ، رضى الله عنهما

(٢) قيل: المراد بالإنسان الكافر قاله ابن عباس وروي الضحاك عنه قال : يريد به جماعة من المشركين : الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي، والأسود بن عبد يغوث

(٣) روي القرطبي : قال أبي بن كعب ، قرات علي رسول الله ﷺ «والعصر » ثم قلت ماتفسيرها يانبي الله؟ قال :والعصر قسم من الله اقسم ربكم بآخر النهارو إن الإنسان لفي خسر ، ابو جهل ، إلا الذين آمنوا ابو بكر وعملوا الصالحات : عمر ، وتواصوا بالحق، عثمان وتواصوا بالصبر علي » رضى الله عنهم اجمعين .

(٤) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ ابن حجر: اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسناد إلي ابي بن كعب رضى الله عنه قال الشافعي رضى الله عنه : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

(١٠٤) سورة الهمزة مكية (١) وآياتها تسع



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الهمز الكسر كالهمز ، واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم (٢) ، وبناء فعله يدل علي الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة إلا للمكثر المتعود ، وقرئ همزة لمزة بالسكون علي بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ، ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه كان مغيابا ، او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله ﷺ (٣) .

﴿ الَّذي جَمَعَ مَالاً ﴾ بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير ﴿ وَعَدَّدَهُ ﴾ وجعله للنوازل او عده مرة بعد أخري ، ويؤيده أنه قرئ وعدده علي فك الإدغام .

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود، او حب المال اغفله عن الموت او طول أمله حتي حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت، وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة .

﴿ كَلاَّ ﴾ ردع له عن حسبانه .﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ ليطرحن.﴿ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها .

---

(١) في الكشاف : نزلت بعد القيامة

(٢) عن النبي ﷺ « شرار عباد الله تعالي المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب » .

وقال ابن عباس : الهمزة القتات ، واللمزة العياب .

(٣) وفي لباب النقول للسيوطي : نزلت في ابي بن خلف ، واخرج عن السدي قال : نزلت في الأخنس بن شريق ، واخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال : نزلت في جميل بن عامر الجمحي واخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: كان امية بن خلف إذا رأى النبي ﷺ همزه ولمزه ، فانزل الله « ويل لكل همزة لمزة » السورة كلها .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ ما النار التي لها هذه الخاصية(٤) .

﴿ نَارُ اللَّهِ ﴾ تفسير لها .﴿الْمُوقَدَةُ ﴾ التي اقودها الله وما أوقده لايقدر غيره أن يطفئه .

﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها ، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد الطف ما في البدن واشده ألما ، أو لأنه محل العقائد الزائفة ومنشأ الأعمال القبيحة .

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته قال :

تَحِنُّ إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ نَاقَتِي ومَنْ دُونِهَا أَبْوَابُ صَنْعَاءَ مُوْصَدَةَ (٥)

﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ اي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين .

فضل السورة

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه » (٦) رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(٤) قيل الحطمة : التي تكسر كل مايلقي فيها وتهشمه ، وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم .

(٥) ذكره الزمخشري في تفسيره دون ان ينسبه إلي قائل وكذلك لم يشبه المرزوقي في كتابه مشاهد الإنصاف علي شواهد الكشاف
وشرحه بقوله : تحن ناقتي شوقا إلي اجبال مكة . جمع جبل . لأنها وطنها والحال أن ابواب صنعاء وهي عاصمة اليمن موصدة اي مغلقة امامها
والمراد تحزنه وتشوقه إلي وطنه ونسبه للناقة مبالغة.

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلي ابي بن كعب رضى الله عنه

(١٠٥) سورة الفيل مكية (١) وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

قصة أبرهة وغزوه مكة وهلاكه

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الخطاب للرسول ﷺ وهو إن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ، وإنما قال كيف ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة علي كمال علم الله تعالي وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ فإنها من الإرهاصات إذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ .

وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم– ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي – بني كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج إليها، فخرج رجل من كنانة فقعد(٢) فيها ليلا فأغضبه ذلك ، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود، وفيلة أخري فلما تهيأ للدخول وعبي جيشه قدم الفيل ، وكان كلما وجهه إلي الحرم برك ولم يبرح ، وإذا وجهوه إلي اليمن او إلي جهة أخري هرول ، فأرسل الله تعالي طيرا مع كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا، وقرئ الم ترْ (٣) جدا في إظهار اثر الجازم ، وكيف نصب بفعل لا بتر (٤) لما فيه من معني الاستفهام .

---

(١) في تفسير الكشاف : نزلت بعد « الكافرون »

(٢) قعد : " القعود كناية عن الإحداث .

(٣) قرئ الم ترْ. بسكون الراء. للجد في إظهار اثر الجازم

(٤) كيف نصب بالفعل « فعل ربك » ولم ينصب بالفعل « تر» في قوله « الم تر ».

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ ﴾ في تعطيل الكعبة وتخريبها ﴿ فِي تَضْلِيل ﴾ في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ جماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة، شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل: لاواحد لها كعبابيد وشماطيط.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ ﴾ وقرئ بالياء علي تذكير الطير لانه اسم جمع، أو إسناده إلي ضمير ربك .﴿ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ من طين متحجر معرب سنككل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير ، أو الإسجال وهو الإرسال ، أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كورق زرع وقع فيه الأكال ، وهو ان يأكله الدود ، وأكل حبه فبقي صفرا منه ، أو كتبن أكلته الدواب وراثته (٥) .

فضل السورة : عن النبي ﷺ : « **من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ** »(٦).

---

(٥) راثته :جعلته روثا

(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال الحافظ بن حجر: رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بالسند إلي أبي بن كعب رضي الله عنه

راجع قصة ابرهة وهجومه علي مكة في سيرة ابن هشام ١ / ٥٨ ـ ٦٨ ط الأنوار المحمدية .

تعليق علي تفسير هذه السورة

جاء في المنتخب للتفسير ـ المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ـ هذا التعليق

تشير هذه السورة الشريفة إلي حملة أبرهة الحبشي التي وجهها من اليمن نحو مكة المكرمة لهدم الكعبة ليصرف الناس عنها حجاج العرب فقد جرد جيشا كبيرا مزودا ببعض الفيلة وسار به إلي الحجاز وعسكر بقرب مكة في مكان يدعي المغمس– علي ثلثي فرسخ من مكة في طريق الطائف ، وهناك دارت مناوشات بينه وبين العرب ولكن حملته باءت بالفشل ، وذلك بسبب المتاعب التي لاقاها من القبائل اليمنية والحجازية ولتفشي المرض في جيشه كذلك ، علي نحو ماتشير إليه السورة الشريفة ، فعاد إلي بلده بعد أن هلك معظم جيشه دون أن يحقق هدفه ، وقد دخلت هذه الغزوة التي تكون قد وقعت عام ٥٧٠ أوعام ٥٧١ م في تقويم عرب الحجاز قبل الإسلام وعرفت عندهم بعام الفيل وقيل :إن الرسول ﷺ ولد فيه المنتخب في التفسير ص ٩٢٨ .

وهذا التعليق لم يشر إلي المعجزة الإلهية التي أهلكت جيش ابرهة ، وهو يريد أن يرجع فشل الحملة إلي المتاعب التي لاقاها من القبائل وتفشي المرض في جيشه كأن الطير التي

....

القت حجارتها السجيلية امر لايتمشي مع منطق الأحداث، ومن قال بان المعجزات تتمشي مع منطق الأحداث؟ إنها امر خارق للعادة ولابد ان يكون كذلك ـ إن السورة واضحة في مدلولها وهي تقول إن الله ارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فلماذا لايكون الأمر كذلك ؟

ولقد عاش بعض العرب الذين عاصروا هذه الحادثة وراوها لأنها حدثت في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ فلو انها لم تحدث لسارعوا في تكذيب النبي ﷺ وانكروا عليه ما نزل من القرآن وواجهوه بان ذلك لم يحدث.

و لقد روي عن عائشة رضى الله عنها ـ فيما يذكره الرازي في مفاتيح الغيب انها قالت :رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان الناس

فهذه شاهدة عيان علي بعض احداث الواقعة التي تدل علي قدرة الخالق الذي لايعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، وإنما امره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون .

ونضيف إلي ذلك ان الشعر وهو ديوان العرب حرص علي تسجيل هذا الحادث، فيروي عن نفيل بن حبيب وقد كان ابرهة يستعين به ليدله علي الطريق إلي مكة فرَّ إلي الجبل حين راى الطير وقال في ذلك

ابن المفرُّ والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالبُ

وقال أيضا مشيرا إلي الطير الأبابيل :

الا حييت عنا يارُدَيْنا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رايت ولاتَرَيْنه لدي جنب المحصب ماراينا
إذاً لعذرتني وحمدت امري ولم تأسَيْ على ما فات بَيْنا
حمدت الله إذ ابصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسال عن نفيل كان عليّ للحبشان دَيْنا

وقد اورد ابن هشام ايضا اشعاراً اخري تشير إلي هذا الحادث فارجع إليها في سيرته ١ / ٧٠ ط الأنوار المحمدية وراجع إليها ايضا في تفسير ابن كثير .

(١٠٦) سورة قريش مكية (١)

وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④ ﴾ .

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ متعلق بقوله ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ والفاء لما في الكلام من معني الشرط ، إذ المعني أن نعم الله عليهم لا تحصي فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل.

﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ اي الرحلة في الشتاء إلي اليمن وفي الصيف إلي الشام فيمتارون ويتجرون، أو بمحذوف مثل أعجبوا أو بما قبله كالتضمين في الشعر ، اي فجعلهم كعصف ماكول لإيلاف قريش ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة. وقرئ ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء، وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق إلا بالنار (٢) فشبهوا بها

---

(١) في تفسير الكشاف :نزلت بعد سورة التين
وفي تفسير القرطبي :مكية في قول الجمهور ،ومدنية في قول الضحاك والكلبي وقيل :إن هذه السورة متصلة بما قبلها في المعني يقول :أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش اي لتاتلف أولتتفن أو لتأمن قريش فتؤلف رحلتيها ومما يشير إلي ذلك ما روي عن سفيان بن عيينة قال : كان لنا إمام لايفصل بينهما ويقرؤهما معا وقال عمرو بن ميمون الأودي : صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرا في الأولي « والتين والزيتون » وفي الثانية « الم تر كيف » و « لإيلاف قريش » تفسير القرطبي

(٢) في هذا المعني أنشد الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريشٌ قريشا
تأكل الرث والسمين ولاتترك ... فيها لذى جناحين ريشا
هكذا في البلاد حيٌ قُرَيش ... يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهم والخموشا

وتنسب هذه الأبيات إلي تُبَّع
ويقال :إن معاوية سال ابن عباس رضى الله عنهما : لم سميت قريش قريشا ؟ فقال: لدابة

لأنها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولاتعلي ، وصغر الاسم للتعظيم وإطلاق الإيلاف ثم إبدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ .

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل: المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (٣) . ﴿ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم ، أو الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم .

فضل السورة

عن رسول الله ﷺ « من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها » (٣) .

في البحر من أقوي دوابه يقال لها القرش تاكل ولاتؤكل وتعلو ولاتُعْلي وانشد الابيات المتقدمة.

(٣) وكان ذلك حين كذبوا بالنبي ﷺ وآذوه واشتد إيذاؤهم له دعا عليهم فقال: « اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » فاشتد القحط ، فقالوا : يامحمد ادع الله لنا، فإنا مؤمنون فدعا فاخصبت وقد مر ذلك في سورة الدخان

(٤) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر: اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلي ابي بن كعب رضي الله عنه .

(١٠٧) سورة الماعون مكية (١)

وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾.

﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام معناه التعجب ، وقرئ أريت بلا همز إلحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وأرايتك بزيادة الكاف. ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء او الإسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله .

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يدفعه دفعًا عنيفًا ، وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ، أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه ، أو الوليد بن المغيرة ، أو منافق بخيل (٢) وقرئ يدع أي يترك .

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ اهله وغيرهم . ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة علي يكذب بالفاء.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ .

---

(١) سماها ابن كثير السورة التي يذكر فيه الماعون
وقال القرطبي هي مكية في قول عطاء وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول له آخر وهو قول قتادة.
وفي تفسير الكشاف : مكية ثلاث آيات الأول ، مدنية البقية ،نزلت بعد التكاثر.

(٢) اختلف فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت في العاص بن وائل السهمي وقاله الكلبي ومقاتل
وروي الضحاك قال: نزلت في رجل من المنافقين
وقال السدي : نزلت في الوليد بن المغيرة
وقيل : في أبي جهل ، وقيل في عمرو بن عائذ وقيل : في أبي سفيان
وعلي كل فهى تشير إلي كل مكذب جحود قاس مقصر في أمر صلاته مراءٍ ، بخيل

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ اي غافلون غير مبالين بها (٣) .

﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليهم (٤) .

﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ الزكاة أو ما يتعاور في العادة والفاء جزائية، والمعني إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ، ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل، أو للسببية علي معني فويل لهم وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة علي سوء معاملتهم مع الخالق والخلق.

فضل السورة

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة أرأيت غفر له إن كان للزكاة مؤديا »(٥) .

---

(٣) السهو عن الصلاة غير السهو في الصلاة، الأول لايتجاوز عنه ، والثاني يجبره سجود السهو، ولذلك قال عطاء بن دينار :الحمد لله الذي قال « عن صلاتهم ساهون »ولم يقل: في صلاتهم ساهون .

(٤) الرياء داء وبيل محبط للعمل وقد روي أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو ان رسول الله ﷺ قال :« من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره »المسند ٢ / ٢١٢

وروي الطبراني في المعجم الصغير ٢ / ١٤٧ عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال « إن في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة اعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد. لحامل كتاب الله ، وللمصدق في غير ذات الله ، وللحاج إلي بيت الله ، وللخارج في سبيل الله » نعوذ بالله من الرياء في ذلك وغيره

قال ابن كثير في تفسيره : ومما يتعلق بقوله تعالي « الذين هم يراءون » ان من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فاعجبه ذلك ان هذا لايعد رياءوالدليل علي ذلك ماروي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كتب لك أجران ، : أجر السر وأجر العلانية ».

تفسير ابن كثير ٨ / ٥١٥ .

(٥) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف وقال ابن حجر: اخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في مسند أبي بن كعب رضى الله عنه

(١٠٨) سورة الكوثر مكية

وآياتها ثلاث (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ وقرئ أنطيناك .﴿الْكَوْثَرَ﴾ الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه ﷺ أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلي من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه (٢) .

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف : نزلت بعد العاديات
وقال ابن كثير : هي مدنية وقيل مكية
وقال القرطبي : هي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة.
وقال الرازي في مفاتيح الغيب : هي علي اختصارها فيها لطائف:
منها ان هذه السورة كالمقابل للسورة المتقدمة ، وذلك ان في السورة المتقدمة وصف المنافقون بالبخل وترك الصلاة ، والمراءاة ومنع الزكاة
وفي هذه السورة جاء في مقابلة البخل «إنا اعطيناك الكوثر» اي فاعط انت الكثير ولا تبخل وفي مقابلة «الذين هم عن صلاتهم ساهون» جاء قوله في هذه السورة «فصل» اي دم علي الصلاة.
وفي مقابلة المراءاة هناك جاء هنا «لربك» اي ائت بالصلاة لرضا ربك لا لمراءاة الناس.
وفي مقابلة منع الماعون هناك ، جاء هنا «وانحر» والمراد به التصدق بلحم الاضاحي وجاء في ختام السورة «إن شانئك هو الأبتر» اي ان المنافق الذي اتي بتلك الأفعال المذمومة سينقطع اثره بموته أما انت فلك الأثر الخالد والذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة. مفاتيح الغيب باختصار وتصرف.
(٢) هذا الحديث مركب من احاديث صدره ذكره مسلم من رواية المختار بن فلفل عن أنس في أثناء حديث ذكره في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوي براءة ٢ / ١٢.
وبقيته : اخرجه الحاكم من حديث ابي برزة رفعه وهو حديث طويل وهو حديث وارد في الصحاح وذكره الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وقيل : حوض فيها ، وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته والقرآن العظيم (٣) .

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ فدم علي الصلاة خالصا لوجه الله تعالي خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لإنعامه فإن الصلاة جامعة لاقسام الشكر (٤) ﴿وَانْحَرْ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق علي المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية .

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ إن من ابغضك لبغضه الله.﴿هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ الذي لا عقب له إذ لايبقي له نسل ولاحسن ذكر ، وأما انت فتبقي ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلي يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف (٥) .

فضل السورة

عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان العباد في يوم النحر العظيم »(٦) .

---

(٣) الكوثر في اللغة يطلق علي كل شئ كثير في العدد والقدر والخطر ، نفيس في القيمة

(٤) وروي أن الصلاة المقصودة هنا هي صلاة العيد بدليل قوله وانحر بعدها فقد كان النبي ﷺ ينحر نسكه ثم يصلي العيد فأمره الله تعالي أن يصلي أولا ثم ينحر .

(٥) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة : نزلت في العاص بن وائل كان يقول إذا ذكر النبي ﷺ دعوه فإنه رجل ابتر لاعقب له فإذا هلك انقطع ذكره فانزل الله هذه السورة سيرة ابن هشام ١ / ٣٥٣ .

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش فقد قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : انت سيدهم الاتري إلي هذا المصنبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال: انتم خير منه فنزلت ، رواه البزار والمصنبر : المنقطع و المنبتر كذلك

(٦) ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن حجر :أخرجه الواحدي وابن مردويه والثعلبي بأسانيدهم إلي ابي بن كعب .

(١٠٩) سورة الكافرون مكية (١) وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لايؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فنزلت (٢) .

﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ اي فيما يستقبل فان لا تدخل إلا علي مضارع بمعني الاستقبال كما ان ما لا تدخل إلا علي مضارع بمعني الحال .

---

(١) في تفسير الكشاف : مكية نزلت بعد الماعون ، ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان، اي المبرئتان من النفاق

وقال القرطبي : مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك .

وقال ابن كثير : هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص في العمل .

وكان النبي ﷺ يقرأ بها ، وبسورة الإخلاص ، في ركعتي الفجر وذكر الرازي في مفاتيح الغيب : تسمي هذه السورة المنابذة وسورة الإخلاص والمقشقشة وروي ان من قرأها قرأ ربع القرآن .

والوجه فيه ان القرآن مشتمل علي الامر بالمأثورات والنهي عن المحرمات وكل واحد منهما ينقسم إلي ما يتعلق بالقلوب وإلي ما يتعلق بالجوارح ، وهذه السورة مشتملة علي النهي عن المحرمات المتعلقة بأفعال القلوب فتكون ربعا للقرآن .

(٢) ذكره السيوطي في لباب النقول في اسباب النزول بمثله وعزاه إلي ابن ابي حاتم وذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ان سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ماتعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت في امرنا كله فإن كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شاركناك فيه ،واخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه ، فأنزل الله عز وجل السورة .

وقال ابو صالح عن ابن عباس : انهم قالوا لرسول الله ﷺ : لو استلمت بعض هذه الآلهة لصدقناك ، فنزل جبريل علي النبي ﷺ بهذه السورة فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه .

﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد .

﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ اي في الحال او فيما سلف .

﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ اي وما عبدتم في وقت ماما انا عابده ، ويجوز ان يكونا تاكيدين علي طريقة ابلغ واما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الأصنام، وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله، وإنما قال ما دون من لأن المراد الصفة كانه قال: لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل إنها مصدرية وقيل الأوليان بمعني الذي والأخريان مصدريتان.

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ الذي انتم عليه لاتتركونه ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ ديني الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال، اللهم إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر علي دينه ، وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة .

فضل السورة

عن النبي ﷺ :« من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك »(٣) .

(٣) صدره رواه الترمذي وآخره رواه الطبراني
والحديث بجملته ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر :أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلي ابي بن كعب.
وجاء في فضلها ماذكره القرطبي روي جبير بن مطعم ان النبي ﷺ قال: « اتحب ياجُبَيْر إذا خرجت سفرا أن تكون من امثل اصحابك هيئة واكثرهم زادا ؟ قلت: نعم ،قال : « فاقرا هذه السور الخمس من بسم الله الرحمن اول « قل ياايها الكافرون » . إلي قل اعوذ برب الناس » وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم » قال : فوا لله لقد كنت غير كثير المال، إذا سافرت أكون ابذهم ، أرثهم ـ هيئة ، واقلهم زادا ، فمذ قرائتهن صرت من أحسنهم هيئة وأكثرهم زادا حتي ارجع من سفري ذلك .
وقال ابن عباس : ليس في القرآن اشد غيظا لإبليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك .

(١١٠) سورة النصر مدنية (١)

وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③ ﴾ .

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ إظهاره إياك علي اعدائك.﴿ وَالْفَتْحُ ﴾ وفتح مكة، وقيل: المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم، وإنما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلي أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره.

﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب، ويدخلون حال علي أن رأيت بمعني أبصرت أو مفعول ثان علي أنه بمعني علمت .

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له ، أو فصل له حامدا علي نعمه « روي أنه ﷺ لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلي ثمان ركعات (٢) أو فنزهه تعالي عما كانت الظلمة يقولون فيه، حامدا له علي أن

---

(١) في تفسير الكشاف: نزلت في حجة الوداع ، وهي آخر ما نزل من القرآن نزلت بعد التوبة.

وفي تفسير القرطبي تسمي سورة التوديع ، وهي آخر سورة نزلت جميعا قال ابن عباس في صحيح مسلم .

وفي تفسير ابن كثير : نزلت أوسط ايام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس خطبته المشهورة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت «إذا جاء نصر الله والفتح » دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال:« إنه قد نعيت إلي نفسي » فبكت ثم ضحكت وقالت :اخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال : « اصبري فإنك أول اهلي لحوقا بي» فضحكت .

(٢) قال الحافظ بن حجر في تخريج احاديث الكشاف : لم أجده هكذا فإن ظاهره يوهم أنه صلاها داخل الكعبة ، ولكن في الصحيحين من حديث أم هانئ أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل في بيتها وصلي ثماني ركعات وتسمي هذه الصلاة صلاة الفتح .

صدق وعده أوفائن علي الله تعالي بصفات الجلال حامدا له علي صفات الإكرام ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات إلي غيره ، وعنه عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة »(٣) .

وقيل : استغفره لأمتك وتقديم التسبيح علي الحمد ثم الحمد علي الاستغفار علي طريق النزول من الخالق الي الخلق ،كما قيل: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله .

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ لمن استغفره منذ خلق المكلفين .

والأكثر علي أن السورة نزلت قبل فتح مكة، وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكي العباس رضى الله عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك ؟ فقال: نعيت إليك نفسك ، فقال إنها لكما تقول (٤) ولعل ذلك لدلالتها علي تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله تعالي﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ (٥) أو لأن الأمر باستغفار تنبيه علي دنو الأجل ، ولهذا سميت سورة التوديع (٦) .

فضل السورة

وعنه ﷺ « من قرأ سورة إذا جاء أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد ﷺ يوم فتح مكة شرفها الله تعالي »(٧) .

---

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني .

(٤) ذكره الثعلبي عن مقاتل ـ من تعليق تفسير الكشاف .

(٥) المائدة : ٣ .

(٦) روي الأئمة واللفظ للبخاري : عن عائشة رضى الله عنها قالت : ماصلي رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت هذه السورة إلا أن يقول : « سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » وعنها قالت :كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده ، « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن وقالت أم سلمة : كان النبي ﷺ آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلاقال: « سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب إليه » قال« لأني أمرت بها » .ثم قرأ «إذا جاء نصر الله والفتح » إلي آخرها .

(٧) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف وقال ابن حجر : رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في مسند إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(١١١) سورة المسد مكية [١]

وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾ .

﴿ تَبَّتْ ﴾ هلكت اوخسرت والتباب خسران يؤدي إلي هلاك ، ﴿ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ نفسه كقوله تعالي ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة ﴾[٢] وقيل إنما خصتا لأنه ﷺ لما نزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[٣] جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب : تبا لك الهذا دعوتنا ؟ واخذ حجرا ليرميه به فنزلت [٤] .

وقيل: المراد بهما دنياه واخراه ، وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزي فاستكره ذكره ، ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله، او ليجانس قوله ﴿ ذات لهب ﴾ وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ﴿ وتَب ﴾ إخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله .

جَزَانِي جَزَاهُ اللهُ شَرَّ جَزَائِهِ   جَزَاءَ الكِلاَبِ العَاوِيَاتِ وقَدْ فَعَلْ [٥] .

---

(١) في الكشاف : نزلت بعد الفاتحة
وفي القرطبي وابن كثير : سورة تبت
(٢) البقرة : ١٩٥ .
(٣) الشعراء ٢١٤ .
(٤) روي البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي ﷺ خرج إلي البطحاء فصعد الجبل فنادي : ياصباحاه ، فاجتمعت إليه قريش فقال: « أرايتم إن حدثتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اكنتم تصدقوني؟ »
قالوا : نعم ، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال ابو لهب الهذا جمعتنا؟ تبا لك ، فانزل الله تعالي « تبت يدا ابي لهب وتب » إلي آخرها ـ صحيح البخاري . تفسير سورة تبت يدا ابي لهب ٦/ ٢٢١ .
(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف دون نسب لقائل وكذلك لم ينسبه صاحب شاهد الإنصاف في شواهد الكشاف ، ويروي البيت كما يلي
جزي ربه عني عدي بن حاتم   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه أنه قرئ وقد تب أو الأول إخبار عما كسبت يداه والثاني عن عمل نفسه.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ﴾ نفي لإغناء المال عنه حين نزل به التباب ، أو استفهام إنكار له ومحلها النصب.﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والإتباع ، أو علمه الذي ظن أنه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ، ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثا حتي أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتي دفنوه ، (٦) فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ اشتعال يريد نار جهنم ، وليس فيه ما يدل علي أنه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلي بالضم مخففا وسيصلي مشددا .

﴿ وَامْرَأَتُهُ ﴾ عطف علي المستتر في سيصلي أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول ﷺ وتحمل زوجها علي إيذائه أو النميمة فإنها كانت توقد نار الخصومة، أو حزمة الشوك أو الحسك فإنها كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ وقرأ عاصم بالنصب علي الشتم .

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها أو بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون علي ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم ، والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال أو الخبر وحبل مرتفع به .

فضل السورة : عن النبي ﷺ «من قرأ سورة تبت رجوت أن لايجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» (٧) .

وهذا البيت الأخير لأبي الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي وقد نسبه ابن جني للنابغة الذبياني وهو انتقال ذهن من ابي الفتح بن جني وسببه ان للنابغة الذبياني قصيدة علي هذا الروي

وقد يكون البيت الذي ذكره المؤلف للنابغة الذبيانى اما الثانى فيبعد ان يكون للنابغة لأن النابغة جاهلي وعدي بن حاتم إسلامي صحابي.

(٦) وقيل : لم يدفن وإنما اسندوه إلي جدار ثم رضموا عليه الحجارة .

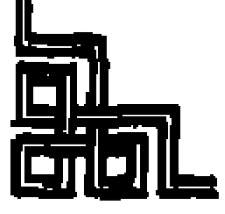
(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال ابن حجر : رواه الواحدي وابن مردويه والثعلبي في سند إلي أبي بن كعب رضى الله عنه .

(١١٢) سورة الإخلاص مكية (١)

وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾.



﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير للشأن كقولك : هو زيد منطلق ، وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ، ولاحاجة إلي العائد لأنها هي هو ، أو لما سئل عنه أي الذي سألتموني عنه هو الله، إذ روي أن قريشا قالوا : يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت(٢) . واحد بدل أو خبر ثان يدل علي مجامع صفات الجلال كما دل الله علي

---

(١) في الكشاف :مكية وقيل مدنية نزلت بعد الناس
وقال القرطبي : مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وعند ابن كثير : مكية
وفي مفاتيح الغيب :مكية.

(٢) روي السيوطي في لباب النقول الخبر كما يلي :
اخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت ، واخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله ، فاستدل بها علي ان السورة مكية.
واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت إلي النبي ﷺ منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا : يامحمد صف لنا ربك الذي بعثك فنزلت ، واخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله ، فاستدل بهذا علي أن السورة مدنية.
وللتوفيق بين الخبرين قال السيوطي
اخرج ابن جرير عن ابي العالية قال قتادة قالت الأحزاب : انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة وهذا المراد بالمشركين في حديث ابي ، فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس ، وينتفي التعارض بين الحديثين .
وهناك سبب آخر للنزول هو : أخرج ابو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: اتت يهود خيبر إلي النبي ﷺ فقالوا : ياابا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، وآدم من حمأ مسنون ، وإبليس من لهب النار، والسماءمن دخان ، والأرض من زبد الماء، فاخبرنا عن ربك فلم يجبهم ، فاتاه جبريل بهذه السورة.

جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية .

وقرئ هو الله بلا قل ، مع الاتفاق علي أنه لابد منه في قل يا أيها الكافرون ولايجوز في تبت ، ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول أو موادعته لهم ، وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان تكون منه ، وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بأن يدعو إليه أخري(٣) .

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ السيد المصمود إليه في الحوائج ، من صمد إليه إذا قصد وهو الموصوف به علي الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقا، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته (٤) وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولي أو الدليل عليها .

﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلي ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ، ولعل الاقتصاد علي لفظ الماضي لوروده ردا علي من قال: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله، أو ليطابق قوله ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وذلك لأنه لايفتقر إلي شئ ولايسبقه عدم .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ اي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالي قدم تقديما للأهم ، ويجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد، ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لأن المراد منها نفي أقسام المكافأة فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل ، وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا.

---

(٣) فرق العلماء بين واحد وأحد، فقالوا: الواحد الذي لا ثاني له والأحد الذي لاأجزاء له .

(٤) ومن معانيه أيضا ماذكره القرطبي من أنه الكامل الذي لاعيب فيه كما قال الزبرقان :

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ولارهينة إلا سيد صمد

فضل هذه السورة

ولاشتمال هذه السور مع قصرها علي جميع المعارف الإلهية والرد علي من الحد فيها، جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن (٥) فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك .

وعنه ﷺ إنه سمع رجلا يقرؤها فقال: « وجبت قيل: يارسول الله وما وجبت ؟ قال: وجبت له الجنة» (٦) .

---

(٥) رواه البخاري ٩ / ٥٣ في كتاب فضائل القرآن، باب فضل « قل هو الله أحد » وفي ابواب عدة.
ورواه مالك في الموطا ١ / ٢٠٨ في القرآن – باب – ماجاء في قراءة « قل هو الله أحد »
ورواه ابو داود في الصلاة في سورة الصمد والنسائى ٢ / ١٧١ في الأفتتاح «باب الفضل في قراءة قل هو الله احد» .

(٦) أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث عبيد بن حنين وله شاهد في الطبراني الكبير من حديث ابي أمامة
وهو في الترمذي برقم ٢٨٩٩ في ثواب القرآن، وفي الحاكم ١ / ٥٦٦ .

(١١٣) سورة الفلق مكية (١)

وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ما يفلق عنه اي يفرق كالفرق فعَل بمعني مفعول وهو يعم جميع الممكنات فإنه تعالي فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها ، سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد ، ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه(٢)، ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالي لأن الإعاذة من المضار قريبة.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشرفية، فإن عالم الأمر خير كله ، وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كإحراق النار وإهلاك السموم .

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ ليل عظيم ظلامه من قوله ﴿ إلي غسق الليل ﴾ (٣) واصله الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا ، وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لأن المضار

---

(١) في تفسير الكشاف :مكية وقيل: مدنية نزلت بعد الفيل
وقال القرطبي : مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة.
وقال ابن كثير : هي وسورة الناس مدنيتان

(٢) وورد في معني الفلق اقوال اخري
فقد قيل : إنه سجن في جهنم وقيل وادٍ في جهنم وقيل اسم من اسماء جهنم وقيل : شجرة في النار ، وقيل : الجبال والصخور تنفلق بالمياه ، وقيل: هوكل ما انفلق عن جميع من الحيوان والصبح والحب والنوي وكل شئ من نبات وغيره وقيل غير ذلك .

(٣) الإسراء ٧٨.

فيه تكثر ويعسر الدفع، ولذلك قيل الليل أخفي للويل، وقيل : المراد به القمر فإنه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف (٤) .

﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه .

قصة حول سحر النبي ﷺ

لما روي أن يهوديا سحر النبي ﷺ في إحدي عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي ﷺ ونزلت المعوذتان وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فأرسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة(٥) .

ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر.

وقيل: المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل ، مستعار من تلين العقد بنفث الريق ليسهل حلها ، وإفرادها بالتعريف لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد .

---

(٤) مما يؤيد هذا ماجاء في الترمذي عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ نظرإلي القمر فقال : ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق الذي وقب » تحفة الأحوذي تفسير المعوذتين ٩ / ٣٠٢ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٦٧

ورواه البخاري في كتاب الطب باب هل يستخرج السحر ، ٧/ ١٧٧ وفيه : قال النبي ﷺ « ياعائشة أعلمت أن الله قد افتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند راسي للآخر ، مابال الرجل؟ قال مطبوب: " قال ومن طبه؟ قال : لبيد بن أعصم ، رجل من بني زُرَيْق حليف اليهود . كان منافقا قال : وفيم : قال : في مشط ومشاقه ـ مشاطة وهي الشعر الذي يسقط من الراس واللحية عند التسريح . قال : وأين ؟ قال : في جُفٍّ طلعة ذكر تحت رعوفة . صخرة . في بئر ذروان » .

قالت عائشة: فأتي النبي ﷺ البئر حتي استخرجه فقال: هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين ، قال: فاستخرج

قالت : فقلت : أفلا تنشرت ؟ أي طلبت العلاج فقال :« أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير علي أحد من الناس شرا » .

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ إذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لايعود ضرر منه قبل ذلك إلي المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره ، وتخصيصه لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره، ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوي وبالنفاثات النباتات فإن قواها النباتية من حيث إنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانت تنفث في العقد الثلاث ، وبالحاسد الحيوان فإنه إنما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده، ولعل إفرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة.

فضل السورة

عن النبي ﷺ « **لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضي عند الله منهما يعني المعوذتين** »(٦) .

---

(٦) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة المعوذتين ٢ / ٢٠٠ بلفظ عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ « ألم تر آيات »أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ، قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس »
وروي مثله أحمد والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح
وقال الحافظ ابن حجر عن الحديث الذي ذكره المؤلف : لم اجده بهذا اللفظ واوله عند مسلم من حديث عقبة بن عامر وآخره عند ابن حبان من حديث عقبة بمعناه .

(١١٤) سورة الناس مكية (١)

وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ .

﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلي اللام ، ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، عمم الإضافة ثم وخصصها بالناس ها هنا فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلي الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم.

﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ .

﴿ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ عطفا بيان له فإن الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لايكون إلها وفي هذا النظم دلالة علي انه حقيق بالإعادة قادرا عليها غير ممنوع عنها ، وإشعار علي مراتب الناظر في المعارف فإنه يعلم أولا بما عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا، ثم يتغلغل في النظر حتي يتحقق انه غني عن الكل ، وذات كل شئ له ومصارف أمره منه ، فهو الملك الحق ثم يستدل به علي انه المستحق للعبادة لاغير ، ويتدرج وجوه الاستعاذة كما يتدرج في الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها، وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان

﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ﴾ اي الوسوسة كالزلزال بمعني الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال ، والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة ﴿ الْخَنَّاسِ ﴾ الذي عادته ان يخنس اي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه .

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ إذا غفلوا عن ذكرربهم وذلك كالقوة الوهمية فإنها تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر إلي النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر علي الصفة أو النصب أو الرفع علي الذم .

---

(١) في تفسير الكشاف نزلت بعد الفلق

﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ بيان للوسواس ، أو الذي أومتعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل: بيان للناس علي أن المراد به مايعم الثقلين وفيه تعسف إلا أن يراد به الناسي كقوله تعالي ﴿ يوم يدع الداع ﴾ (٢) فإن نسيان حق الله تعالي يعم الثقلين .

فضل السورة .

عن النبى ﷺ : « من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى»(٣) .

(٢) القمر : ٦

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره حديثا في معناه عن عقبة بن عامر قال : لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فاخذ بيدي فقال: ياعقبة بن عامر الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم ؟ قال : قلت : بلي جعلني الله فداءك قال : فاقرأني قل هو الله أحد ، وقل اعوذ برب الفلق ، وقل اعوذ برب الناس ، » ثم قال :« ياعقبة لاتنسهن ولاتبت ليلة حتي تقراهن » قال : فما نسيتهن منذ قال: « لاتنسهن » ومابت ليلة قط حتي أقراهن ، قال عقبة : ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فاخذت بيده فقلت : يارسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال: « ياعقبة صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واعرض عمن ظلمك » . تحفة الأحوذي . ابواب الزهد ، باب ماجاء في حفظ اللسان وقال حديث حسن ٧ / ٨٧ ورواه احمد في مسنده ٤ / ١٥٨ .

خاتمة

قال المصنف رحمه الله تعالي وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي علي فرائد فوائد ذوي الألباب المشتمل علي خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الأمة في تفسير القرآن وتحقيق معانيه ، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الإيجاز الخالي عن الإخلال ، والتلخيص العاري عن الإضلال المرسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وأسأل الله تعالي أن يتم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من يتعب فيه من الأجر والثواب، ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغني أعلي منازل دار السلام ، في جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين.

خاتمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لتحقيق هذا الكتاب الجليل المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » والمشهور بتفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفي سنة ٧٩١ هـ . وتقديمه لجمهور قراء المسلمين الكرام ، خدمة لكتاب الله الكريم ، ورغبة في إيصال النفع للمسلمين وإضافة إلى ما بذله المؤلف – رحمه الله – من جهد موفور وعمل مشكور . فقد رأينا من خلال تفسيره كيف استخلص زبدة ما قدمه أسلافه العلماء ، وأضاف إليه من فَتح الله عليه وإلهامه له ما تقر به أعين القارئين ، وتسعد به نفوس الدارسين ، وتطمئن إليه قلوب العلماء والمتعلمين ، من ذكر فائدة ، وتصويب شاردة ، وتقريب حكمة ، وتيسير منفعة .

وإن كان المؤلف – رحمه الله – قد اعتمد كثيرا على ما حرره الإمام الزمخشري – رحمه الله – في كتابه المسمى « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » إلا أنه ضرب صفحا عما ورد فيه من شبهات الاعتزال ، ونحا منحي أهل السنة و الجماعة . ولكنه اتبعه في الاستشهاد بالأحاديث الواردة في فضائل السور التي قال عنها العلماء إن أغلبها أحاديث موضوعة ، وضعفها بعض العلماء ترغيبا للناس في الإقبال على قراءة القرآن ، فقد روي أنه قيل لأبي عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبةً .

وقال القاضي ابو بكر بن العربي – رحمه الله – : وقد أقحم الناس في فضل القرآن وسوره أحاديث كثيرة منها ضعيف لا يعول عليه ، ومنها ما لم ينزل الله بها من سلطان .

وقال الإمام القرطبي في كتابه « التذكار في افضل الاذكار » : لو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء ورواها الأئمة الفقهاء لكان لهم في ذلك غنية (١) .

وقد نبهنا بذلك على ما أورده المصنف – رحمه الله من أحاديث في فضائل السور وإن كنا قد رجعنا في تخريجها إلى الحافظ ابن حجر الذي خرج أحاديث الكشاف ، وهي نفس الأحاديث التي ذكرها البيضاوي ، إلا أنه لا بد من التنبيه إلى أن هذه الأحاديث كثير منها موضوع كما ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه الموضوعات .

وقد تنبه لما تنبهنا له صاحب كتاب « كشف الظنون » فقال في حديثه عن هذا الكتاب – تفسير البيضاوي – وفضله ، بعد ما اشاد بصاحبه وابان عن سبقه : وأما أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه ، وتعرض لنفحات ربه ، تسامح فيه وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل ، ونحا نحو الترغيب والتاويل ، عالما بانها مما فاه صاحبه بزور ، ودلى بغرور ، والله عليم بذات الصدور .

ولكنه مما يحمد للبيضاوي رحمه الله ما رُزقه من سعة العلم وقوة الفهم وحسن البيان والقدرة على الاستنباط ، وأداء المعنى الغزير في اللفظ القليل . إلى جانب إحاطته بعلم القراءات وبيان وجوهها ونسبتها إلى اصحابها وترجيح ما يطمئن إلى ترجيحه منها ، وفي ذلك فائدة جليلة ومنافع جزيلة .

إننا نكرر الحمد لله تعالى والشكر على توفيقه لنا بتقديم هذا الكتاب في ثوب قشيب وإخراج جديد ، وإضافات متميزة تتمثل في العناوين الهادية إلى المعنى وشرح الكلمات اللغوية ، والتعريف بالشواهد الشعرية والكثير من الأعلام وذيلناه بالإعجاز العلمي الذي تشير إليه بعض آيات القرآن الكريم ، وهي من اهم ما يشغل بال القراء المستنيرين ، وفكر الباحثين والدارسين بعد ان رجعنا في ذلك إلى اقلام العلماء والمفكرين والأئمة المجتهدين .

---

(١) التذكار في افضل الاذكار ص ٢٢٥ .

راجين الله أن ينفعنا به وينفع المسلمين ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يرضي عن مؤلفه ومحققيه وشارحيه وقارئيه وكل من أسهم بعمل أو قلم فيه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

دعاء ختم القرآن الجامع لأسماء السور القرآنية

اللهم ربنا يا ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم ، واهدنا ووفقنا إلي الحق وإلي طريق مستقيم . ببركة ختم القرآن العظيم ، واعف عنا يا كريم واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين . اللهم صل علي سيدنا محمد الذي آتيته السبع المثاني وجعلتها ﴿ فاتحة الكتاب ﴾ وبينت له الأحكام في (البقرة) وفضلته علي (آل عمران) وأحللت له ولنا (النساء) الكواعب الأتراب ومددت (مائدة ، الأنعام) وجعلت أمته (أعراف) الأمم وشهداء عليهم يوم الحساب ، وأحللت له (الأنفال) وقبلت (توبة ، يونس) حين تاب ، وآثرته علي (هود ، ويوسف) بالشفاعة يوم (رعد ، إبراهيم) وغيره من أولي الألباب، وحين كذبه قومه كأصحاب (الحجر) أمرته بالصبر في (النحل) من غير ارتياب ، وصدقته في (الإسراء) وآويته إلي (كهف) قربك ، وبشر ابن (مريم) أنه (طه) المفضل علي جميع (الأنبياء) والأنجاب ، فيا له من نبي بني أحكام (الحج ، للمؤمنين ، بنور ، الفرقان) الذي أعجز (الشعراء) فكانوا (كالنمل) في الشعاب ، ولما تبع المشركون (قصصه) عشش (العنكبوت) علي غاره وستره منهم الكريم الوهاب، وحارب العرب (والروم) وأوتى حكمة (لقمان) وسجد (سجدة) الشكر عند هزيمة (الأحزاب ، وسبأ) عيال المشركين وكان (فاطرا) لقلوبهم فجل من اصطفي (يس) وأمده (الصافات ، وصاد ، زمر) الأعداء بتأييده (ذي الطول ، وفصلت) منه يوم بدر الرقاب ، وكان أمر أصحابه (شوري) بينهم فابطلوا (زخرف) الجاهلية (ودخان) الشرك وتركوا أهلها (جاثية) في (أحقاف القتال) والضراب وجاءه (الفتح) المبين فكسر (حجرات) الكافرين بكل (قاف) اثره من الآل والأصحاب ، ونصر (بالذاريات) وفضل علي صاحب (الطور) في (النجم) شق (القمر . الرحمن) فكان غاية الإعجاز والإعجاب . وأيدته يا مولانا في كل (واقعة) ببأس (الحديد) فقطع (المجادلة) قلوبهم وتركهم في (حشر) الخزي والعذاب ، وأوقع (الامتحان) في (صفهم) كل (جمعة) وأخزي (المنافقين) في (التغابن)

وتقطعت بهم الأسباب ومن شريعته (الطلاق ، والتحريم) مالك (الملك) من أمره بين الكاف (والنون) أخبر من علي (الحاقة ، وسئل) عن هول أهل المآب ، ولم يدل علي قومه (كنوح) بل قال « **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » كما في سند صحيح ليس فيه كاذب ، وآمنت به (الجن) والإنس ولقب (بالمزمل والمدثر) والحاشر والعاقب لكل أواه أواب ، واخبر عن أحوال (القيامة ، للإنسان ، المرسلات ، النبأ) وجعل أرواح المكذبين في (النازعات) حين (عبس) عليهم (فكورت) شمس كفرهم و (انفطرت) قلوبهم وباؤوا بالعذاب ، (وويل للمطففين) عن انشقاق ذات (البروج ، والطارق ، الأعلي) الحجاب ، وظهر في (غاشية) الكفر فطلع له فجر الصدق في (البلد) فهدي إلي (شمس) الإيمان من كان في (ليل) الكفر قد غاب ، ومن خصوصياته الوتر (والضحي ، وشرحت) له الصدر واقسمت (بالتين) أنه اكمل المخلوقين من (علق) وخصصته بليلة (القدر) لتعظيم الأجر والثواب (ولم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) منه بل (زلزلهم ، بالعاديات ، والقارعة) ولم ينفعهم (التكاثر) في (العصر) وعلو الأنساب ، وقطع كل (همزة) كاصحاب (الفيل) وكفار (قريش) ووعد مانع (الماعون) بسوء الانقلاب ، واعطي صلي الله عليه وسلم نهر (الكوثر) وأيد علي (الكافرين ، النصر ، وتبت) أيديهم غاية التباب ، ودعا إلي كلمة (اللإخلاص) لرب (الفلق) و(الناس) فهدي من اتبعه إلي الصواب الذي أنزلت عليه يا مولانا في محكم كتابك الناسخ لكل كتاب « افمن يعلم انما انزل إليك من ربك الحق كمن هو اعمي إنما يذكر اولوا الألباب » . اللهم بلغ واوصل مثل ثواب ما قراناه ، ونور ما تلوناه بعد القبول منا هدية واصلة إلي روح نبينا وشفيعنا محمد صلي الله تعالى عليه وسلم وعلي اتباعه ، وإلي أرواح جميع أنبيائك ورسلك وأوليائك ، وعلمائك وصلحائك وأتباعهم وأهل طاعتك أجمعين . اللهم انصر من نصر الدين ، واخذل من خذل المسلمين . اللهم انصر خليفة المسلمين وانصر علماءه ووزراءه ووكلاءه وعساكره بالخير إلي يوم الدين ، واكتب الصحة والسلام والعافية علينا وعلي الحجاج والغزاة والمسافرين ، والمقيمين والحاضرين والغائبين في برك وبحرك من أمة سيدنا محمد أجمعين ، وسلام علي المرسلين وآلهم ، والحمدلله رب العالمين آمين .

الآيات من ٢٠ :٢٧	٣
وجوب الاعتبار بمصائر الامم السابقة	٣
قصة موسى ومؤمن آل فرعون	٤
الآيات من ٢٨ : ٣١	٥
الآيات من ٣٢ : ٣٦	٧
الآيات من ٣٧ : ٤٣	٨
الآيات من ٤٤ : ٤٨	١٠
الدليل على عذاب القبر	١١
محاورة بين أصحاب النار	١٢
الآيات من ٤٩ : ٥٨	١٢
نصر الله لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة	١٣
تسلية للنبى ﷺ ودعوة له بالصبر على تكذيب قومه	١٤
الآيات من٥٩ : ٦٤	١٥
ادعونى استجب لكم	١٥
من منن الله المستوجبة للإيمان	١٦
الآيات من ٦٥ : ٧٣	١٧
تطورات خلق الإنسان تشهد بقدرة الله المستحق للربوبية	١٧
مصير المكذبين	١٨
الآيات من ٧٤ : ٨٠	١٩
التاسى بقصص الأنبياء السابقين	٢٠
التامل في نعم الله وآيات يهدى الى الإيمان	٢٠
الآيات من ٨١ : ٨٥	٢١
الدعوة إلى عدم الاغترار بالعلم وإنكار مانحه لهم	٢١
سورة فصلت	٢٣
الآيات من ١ : ٥	٢٣
حديث عن القرآن الكريم	٢٣
الآيات من ٦ : ١٠	٢٤
حول بدء الخلق	٢٥
الآيات من ١١ : ١٤	٢٦
إنذار الكفار	٢٨
الآيات من ١٥ : ٢٢	٢٩
شهادة الجلود على أصحابها يوم القيامة	٣١
الآيات من ٢٣ : ٢٦	٣٣
الشياطين قرناء الكافرين	٣٣
تشويش الكفار على القرآن حين يقرأ	٣٤
الآيات من ٢٧ : ٣٣	٣٥
عظيم ثواب الاستقامة	٣٦
مقابلة السيئة بالحسنة	٣٧
الآيات من ٣٤ : ٤٠	٣٨
من آيات الله	٤٠
الآيات من ٤١ : ٤٥	٤١
الآيات من ٤٦ : ٥٠	٤٢
الله عنده علم الساعة	٤٢
من طبيعة النفس البشرية	٤٢
الآيات من ٥١ : ٥٤	٤٣
الكشوفات العلمية الحديثة ودلالتهاعلى قدرة الله وإعجاز القرآن	٤٣
فضل سورة فصلت	٤٦
سورة الشورى	٤٧
الآيات من ١ : ٥	٤٧
الآيات من ٦ : ١٠	٤٩
مهمة الرسل	٤٩
الله ولى المؤمنين	٥٠
الآيات من ١١ : ١٤	٥٠
الدين واحد لا اختلاف فيه	٥٣
الآيات من ١٥ : ١٧	٥٣
المماراة في قيام الساعة ضلال	٥٤
الآيات من ١٨ : ٢٣	٥٥
من لطف الله بعباده رزقهم	٥٥
الشياطين يزينون للكافرين الكفر	٥٦

الدعوة إلى مودة ذوي القربى	٥٧
الآيات من ٢٤ : ٢٧	٥٩
حكمة الله في بسط الرزق وتضيقه	٦٠
الآيات من ٢٨ : ٣٥	٦٠
من دلائل قدرة الله	٦١
الآيات من ٣٦ : ٤٤	٦٢
متاع الدنيا قليل وثواب الآخرة باق وكبير لمستحقيه	٦٣
ندم الظالمين يوم القيامة	٦٤
الآيات من ٤٥ : ٤٩	٦٤
الأولاد هبة من الله	٦٥
الآيات من ٥٠ : ٥٣	٦٦
أنواع الوحي	٦٦
فضل سورة الشورى	٦٧
سورة الزخرف	٦٨
الآيات من ١ : ٧	٦٨
إرسال الرسل وتكذيب اقوامهم لهم	٦٩
الآيات من ٨ : ١٤	٦٩
الآيات من ١٥ : ٢١	٧١
رد زعم الكفار ان الملائكة بنات الله	٧٢
الآيات من ٢٢ : ٢٨	٧٣
تقليد الكفار تقليد أعمى	٧٣
تبرؤ إبراهيم من عبادة قومه الكفار	٧٤
الآيات من ٢٩ : ٣٥	٧٥
كفار مكة يستكثرون نزول القرآن على محمد	٧٥
نعيم الدنيا ليس مجال افضلية	٧٦
الآيات من ٣٦ : ٤٣	٧٧
الشياطين قرناء الكافرين	٧٧
شرف القرآن	٧٨
الآيات من ٤٤ : ٥١	٧٨
إشارة إلى قصة موسي وفرعون	٧٩
الآيات من ٥٢ : ٥٨	٨٠
نزول عيسى من علامات الساعة	٨١
الآيات من ٥٩ : ٦٥	٨٢
الآيات من ٦٦ : ٧٦	٨٤
موقف الناس يوم الساعة	٨٤
الآيات من ٧٧ : ٨٩	٨٦
فضل سورة الزخرف	٨٨
سورة الدخان	٨٩
الآيات من ١ : ٧	٨٩
الآيات من ٨ : ١٦	٩١
تخزية للمشركين	٩١
الآيات من ١٧ : ٢٨	٩٣
لهم مثل فيما حدث لقوم موسى من هلاك	٩٣
الآيات من ٢٩ : ٣٧.	٩٤
تكذيب الكفار بالبعث	٩٥
الآيات من ٣٨ : ٥٠	٩٦
مصير الكفار	٩٧
الآيات من ٥١ : ٥٩	٩٨
فضل سورة الدخان	٩٩
سورة الجاثية	١٠٠
الآيات من ١ : ٥	١٠٠
الآيات من ٦ : ١٢	١٠١
تهديد الكفار المكذبين	١٠٢
كل ما في الكون مسخر للإنسان	١٠٢
الآيات من ١٣ : ٢٠	١٠٣
جحود بني إسرائيل للنعمة التي أوتوها	١٠٤
الآيات من ٢١ : ٢٦	١٠٥
شتان بين الصالح والطالح	١٠٥
ضلال الدهريين	١٠٧
الآيات من ٢٧ : ٣٣	١٠٨
خسران الكفار وحسرتهم ليوم قيام الساعة	١٠٨

الآيات من ٣٤ : ٣٧	١٠٩
فضل سورة الجاثية	١١٠
سورة الاحقاف	١١١
الآيات من ١ : ٤	١١١
الله هو الخالق ولا خالق سواه	١١١
الآيات من ٥ : ٩	١١٢
ما يقوله الكفار حول القرآن	١١٣
النبى ليس أول رسول	١١٣
الآيات من ١٠ : ١٤	١١٤
شهادة عبد الله بن سلام على صدق الرسول	١١٤
جزاء الاستقامة بعد الإيمان	١١٦
الآيات من ١٥ : ١٨	١١٦
الوصية بالوالدين	١١٧
الآيات من ١٩ : ٢٤	١٢٠
كل مجزى علي عمله	١٢٠
وجوب الاعتبار بقصة قوم عاد	١٢١
الآيات من ٢٥ : ٢٨	١٢٢
الآيات من ٢٩ : ٣٢	١٢٤
سماع الجن للقرآن وإيمانهم به	١٢٤
الآيات من ٣٣ : ٣٥	١٢٥
أولى العزم من الرسل	١٢٦
فضل سورة الأحقاف	١٢٦
سورة محمد	١٢٨
الآيات من ١ : ٣	١٢٨
الكفار يصدون عن سبيل الله فهم في ضلال	١٢٨
المؤمنون أهل حق	١٢٩
الآيات من ٤ : ٩	١٢٩
الامر بقتال الكفار	١٣٠
الآيات من ١٠ : ١٤	١٣١
وجوب الاعتبار بأحوال الامم الماضية	١٣١
حال الكفار كحال الأنعام	١٣٢
الآيات من ١٥ : ٢٠	١٣٢
مثل الجنة	١٣٣
الآيات من ٢١ : ٢٦	١٣٥
التحذير من قطع الرحم	١٣٥
تدبر القرآن يهدى إلى الحق	١٣٧
من الاعيب النفاق	١٣٧
الآيات من ٢٧ : ٣٤	١٣٧
من علامات النفاق	١٣٨
ما الذى يبطل الأعمال	١٣٩
الآيات من ٣٥ : ٣٨	١٣٩
التحذير من التقاعس عن الإنفاق فى سبيل الله	١٤٠
فضل سورة محمد	١٤٠
سورة الفتح	١٤١
الآيات من ١ : ٤	١٤١
المقصود بالفتح	١٤١
نعمة الله على نبيه ﷺ	١٤٢
الآيات من ٥ : ١٠	١٤٢
مثوبة المؤمنين وعقاب الكافرين والمنافقين	١٤٣
منزلة الرسول عند ربه وواجب المؤمنين نحوه	١٤٣
الآيات من ١٠ : ١٤	١٤٤
موقف المنافقين يوم الحديبية	١٤٤
الآيات من ١٤ : ١٧	١٤٥
تحذير وتنبيه لهؤلاء المخلفين	١٤٦
لا جناح على أصحاب الأعذار	١٤٧
الآيات من ١٧ : ٢٤	١٤٧
بيعة الرضوان	١٤٧
الوعد بالمغانم	١٤٨
حكمة الكف عن القتال	١٤٩
الآيات من ٢٤ : ٢٨	١٥٠
رؤية النبى ﷺ	١٥٢
الآيات من ٢٨ : ٢٩	١٥٣

أوصاف النبى وصحبه في الكتب السابقة ١٥٣
فضل سورة الفتح ١٥٤
سورة الحجرات ١٥٥
الآيات من ١ : ٣ ١٥٥
مراعاة الأدب في مجلس رسول الله ﷺ ١٥٥
الآيات من ٣ : ٦ ١٥٦
قصة أعراب بني تميم ١٥٧
قصة الوليد بن عقبة ١٥٨
الآيات من ٧ : ٩ ١٥٨
من أحكام الإسلام حول المتخاصمين من المسلمين ١٥٩
الآيات من ١ : ١٢ ١٦٠
من الآداب الاجتماعية في الإسلام ١٦١
الآيتين ١٣ : ١٤ ١٦٣
كلكم لآدم وآدم من تراب ١٦٣
علامات الإيمان ١٦٤
الآيات من ١٥ : ١٨ ١٦٤
فضل سورة الحجرات ١٦٥
سورة ق ١٦٦
الآيات من ١ : ٥ ١٦٦
الآيات من ٦ : ١٥ ١٦٧
آيات تدل على البعث ١٦٨
تكذيب الأمم السابقة ومصيرهم ١٦٨
دليل عقلى على إمكانية البعث ١٦٩
الآيات من ١٦ : ٢٢ ١٦٩
حال الإنسان عند الموت ١٧٠
الآيات من ٢٣ : ٢٨ ١٧١
الآيات من ٢٩ : ٣٧ ١٧٣
نذير للكفار ١٧٤
الآيات من ٣٨ : ٤٣ ١٧٥
من أهوال يوم القيامة ١٧٦
الآيات من ٤٤ : ٤٥ ١٧٦
فضل سورة ق ١٧٧
سورة الذاريات ١٧٨
الآيات من ١ : ١١ ١٧٨
المقسم عليه اختلافهم في شأن النبى ١٨٠
الآيات من ١٢ : ٢٠ ١٨٠
وصف المتقين ١٨١
الآيات من ٢١ : ٢٨ ١٨٢
قصة إبراهيم عليه السلام وضيفه ١٨٤
الآيات من ٢٩ : ٣٩ ١٨٥
إشارة إلى قصة موسي وهلاك قومه ١٨٦
الآيات من ٤٠ : ٥١ ١٨٧
من دلائل قدرة الله تعالى ١٨٨
الآيات من ٥٢ : ٦٠ ١٩٠
حكمة خلق الجن والإنس ١٩١
فضل سورة الداريات ١٩٢
سورة الطور ١٩٣
الآيات من ١ : ١٢ ١٩٣
معنى الاقسام ١٩٣
جواب القسم ١٩٥
الآيات من ١٣ : ٢٠ ١٩٥
وحال المتقين ١٩٦
الآيات من ٢١ : ٣٠ ١٩٦
دفاع القرآن عن النبى ﷺ ١٩٨
الآيات من ٣١ : ٤٢ ١٩٨
دعوة للتفكر والتدبر ١٩٩
الآيات من ٤٣ : ٤٩ ٢٠٠
من صور عنادهم ٢٠٠
كلاءة الله لنبيه ﷺ ٢٠١
فضل سورة الطور ٢٠١
سورة النجم ٢٠٢
الآيات من ١ : ١٠ ٢٠٢
الآيات من ١١ : ٢٠ ٢٠٤
آلهة المشركين الباطلة ٢٠٦

الآيات من ٢١ : ٢٦	٢٠٦
رد على زعمهم أن الملائكة بنات الله	٢٠٦
الآيات من ٢٧ : ٣١	٢٠٧
جهل الكفار وضلالهم	٢٠٨
سعة علم الله ومغفرته	٢٠٨
صورة من ضلال الوليد بن المغيرة	٢٠٩
الله الخالق القادر وإليه منتهى كل شيء	٢١١
الآيات من ٤٥ : ٥٨	٢١٢
محمد نذير بين يدى الساعة	٢١٧
الآيات من ٥٩ : ٦٢	٢١٨
سورة القمر	٢١٩
الآيات من ١ : ٦	٢١٩
حال الناس يوم القيامة	٢٢٠
الآيات من ٧ : ١٤	٢٢٠
الاعتبار بمصيرالمكذبين بنوح	٢٢١
الآيات من ١٥ : ٢٥	٢٢٢
وبمصير ثمود قوم صالح	٢٢٣
الآيات من ٢٦ : ٣٧	٢٢٣
وبمصير قوم لوط	٢٢٤
الآيات من ٣٨ : ٥٢	٢٢٥
مصير آل فرعون وقوم موسى	٢٢٦
إنذار الكفار بهزيمة قريبة	٢٢٦
امرالساعة لفظة واحدة هي كن	٢٢٧
الآيات من ٥٣ : ٥٥	٢٢٧
منزلة المتقين يوم القيامة	٢٢٧
فضل سور القمر	٢٢٨
سورة الرحمن	٢٢٩
الآيات من ١ : ١٠	٢٢٩
خلق الإنسان وتعليم الله إياه القرآن والبيان	٢٢٩
كل شيء منقاد لله وخاضع له	٢٣٠
العدل أساس استقرار الحياة واستقامتها	٢٣١
الآيات من ١٠ : ٢١	٢٣١
من نعم الله فى الأرض	٢٣٢
خلق الإنسان والجان	٢٣٢
من مظاهر قدرة الله تعالى	٢٣٢
الآيات من ٢٢ : ٣١	٢٣٤
الآيات من ٣٢ : ٤٠	٢٣٦
نذير للجن والإنس	٢٣٦
من مظاهر الروع يوم القيامة	٢٣٨
الآيات من ٤١ : ٥٤	٢٣٨
ما أعده الله للمتقين	٢٣٩
الآيات من ٥٥ ٧٢	٢٤٠
الآيات من ٧٣ : ٧٨	٢٤٢
فضل سورة الرحمن	٢٤٢
سورة الواقعة	٢٤٤
الآيات من ١ : ١٠	٢٤٤
حديث عن القيامة وأهوالها	٢٤٦
الآيات من ١١ : ٢٠	٢٤٦
نعيم أهل الجنة	٢٤٧
الآيات من ٢١ : ٣٦	٢٤٧
الآيات من ٣٧ : ٥٤	٢٤٩
حال الكافرين	٢٤٩
الآيات من ٥٥ : ٦٨	٢٥٠
دلائل على قدرة الله وتفرده بالخلق واستحقاقه للعبادة	٢٥١
الآيات من ٦٩ : ٧٩	٢٥٢
القسم على عظمة القرآن	٢٥٣
الآيات من ٨٠ : ٩٤	٢٥٥
تكذيب الكفار بما ينزل من الآيات	٢٥٦
حال المحتضرعند الموت	٢٥٦
الآيتين ٩٥ ، ٩٦	٢٥٧
فضل سورة الواقعة	٢٥٨
سورة الحديد	٢٥٩
الآيات من ١ : ٤	٢٥٩

من أوصاف الله تعالى وقدرته	٢٥٩
الآيات من ٥ : ٩	٢٦٠
الحث على الإيمان والإنفاق في سبيل الله	٢٦١
الآيات من ١ : ١٣	٢٦١
بشرى للمؤمنين يوم القيامة	٢٦٣
الآيات من ١٤ : ١٨	٢٦٤
وجوب الخشوع لذكر الله	٢٦٥
فضل المتصدقين والمتصدقات	٢٦٦
الآيات من ١٩ : ٢٣	٢٦٦
تصويرالحياة الدنيا وغرورها	٢٦٧
ما يستحب فيه التسابق	٢٦٧
أعظم وصفة لعلاج الجزع على المفقود والاغترار بالموجود	٢٦٨
الآيات من ٢٤ : ٢٦	٢٦٨
بعث الرسل بالبينات والكتب والعدل	٢٦٩
الآيات من ٢٧ : ٢٩	٢٧٠
خطاب لأهل الكتاب	٢٧١
فضل سورة الحديد	٢٧٢
سورة المجادلة	٢٧٣
الآيتان ١ ، ٢	٢٧٣
من أحكام الأسرة الظهار	٢٧٣
الآيات من ٣ : ٥	٢٧٤
الآيات من ٦ : ٩	٢٧٦
إحاطة علم الله	٢٧٧
صورة من خبث المنافقين	٢٧٧
الآيات من ١ : ١٣	٢٧٨
من آداب المجالسة	٢٧٨
فضل العلم وأهله	٢٧٩
مناجاة الرسول وآدابها	٢٧٩
الآيات من ١٤ : ٢٠	٢٨٠
النهي عن موالاة الكفار ومن على شاكلتهم	٢٨٠
الشيطان يسول لأوليائه الكفر والنفاق	٢٨١
الآيات من ٢١ : ٢٢	٢٨١
تأكيد النهي عن موالاة المنافقين	٢٨٢
فضل سورة المجادلة	٢٨٣
سورة الحشر	٢٨٤
الآيتين ١ ، ٢	٢٨٤
سبب النزول	٢٨٤
الآيات من ٣ : ٦	٢٨٥
الآيات من ٧ : ١٠	٢٨٧
مصارف الفيء	٢٨٧
الثناء على المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان	٢٨٨
الآيات من ١١ : ١٧	٢٨٩
موقف المنافقين من اليهود	٢٩٠
من دلائل جبن اليهود	٢٩١
الآيات من ١٨ : ٢٣	٢٩١
نصيحة للمؤمنين	٢٩٢
فرق بين أصحاب النار وأصحاب الجنة	٢٩٢
من أسماء الله الحسنى	٢٩٣
الآية ٢٤	٢٩٣
فضل سورة الحشر	٢٩٣
سورة الممتحنة	٢٩٤
الآية ١	٢٩٤
النهي عن موالاة الأعداء الكفار	٢٩٤
سبب نزول السورة	٢٩٤
الآيات من ٢ : ٦	٢٩٥
الأسوة في موقف إبراهيم من قومه	٢٩٦
الآيات من ٧ : ١٠	٢٩٧
امتحان المهاجرات المؤمنات للتأكد من إيمانهن	٢٩٨
الآيات من ١١ : ١٣	٢٩٩
نص المبايعة	٣٠٠

تأكيد لعدم مودة الكفار	٣٠٠
فضل سورة الممتحنة	٣٠٠
سورة الصف	٣٠١
الآيات من ١ : ٤	٣٠١
النهى عن القول دون الفعل	٣٠١
الآيات من ٥ : ١٠	٣٠٢
موسى يعاتب قومه الذين يؤذونه	٣٠٢
بشرى عيسى بمحمد ﷺ	٣٠٣
محاولات فاضلة فى مناواة الإسلام	٣٠٣
أعظم التجارات الرابحة	٣٠٤
الآيات من ١١ : ١٤	٣٠٤
الدعوة إلى نصرة الحق	٣٠٥
فضل صورة الصف	٣٠٥
سورة الجمعة	٣٠٦
الآيات من ١ : ٤	٣٠٦
رسالة محمد ﷺ لأمته	٣٠٦
الآيات من ٥ : ٨	٣٠٧
مثل لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة	٣٠٧
الآيات من ٩ : ١١	٣٠٨
من آداب صلاة الجمعة	٣٠٨
مناسبة الآية	٣٠٩
فضل سورة الجمعة	٣٠٩
سورة المنافقون	٣١٠
الآيات من ١ : ٤	٣١٠
كذب المنافقين في شهادتهم	٣١٠
منظرهم حسن ومخبرهم سيء	٣١١
الآيات من ٥ : ٨	٣١١
استكبارهم عن استغفار الرسول لهم	٣١١
تهديدهم بإخراج الرسول وأصحابه من المدينة	٣١٢
الآيات من ٩ : ١١	٣١٢
توجيه للمؤمنين بذكر الله والإنفاق في سبيل الله	٣١٤
فضل السورة	٣١٤
سورة التغابن	٣١٥
الآيات من ١ : ٤	٣١٥
لله الملك وله الحمد	٣١٥
الآيات من ٥ : ١٣	٣١٦
الأعتبار بمصير الكافرين من قبل	٣١٧
زعم الكافرين عدم البعث	٣١٧
الإيمان يهدي القلوب	٣١٨
الايات من ١٤ : ١٨	٣١٩
فتنة الزوجة والمال والولد	٣١٩
فضل سورة التغابن	٣٢٠
سورة الطلاق	٣٢١
الآيتان ١ ، ٢	٣٢١
من أحكام التشريع في الطلاق	٣٢١
بركة التقوى	٣٢٣
الآيات من ٣ : ٥	٣٢٣
أثر التوكل على الله	٣٢٤
عدة المطلقات	٣٢٤
الآيات من ٦ : ٩	٣٢٥
سكن المطلقة ونفقتها	٣٢٥
الآيات من ١٠ : ١٢	٣٢٦
فضل سورة الطلاق	٣٢٧
سورة التحريم	٣٢٨
الآيات من ١ : ٣	٣٢٨
سبب نزول السورة	٣٢٨
التحذير من إفشاء السر	٣٢٩
الآيات من ٤ : ٧	٣٢٩
أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم النار	٣٣٠
الآيات من ٨ : ١٢	٣٣١
التوبة النصوح	٣٣١
من أمثلة الكافرين	٣٣٣

من أمثلة المؤمنين	٣٣٣
فضل سورة التحريم	٣٣٤
سورة الملك	٣٣٥
الآيات من ١ : ٣	٣٣٥
الحكمة من خلق الموت والحياة	٣٣٥
من مظاهر قدرة الله	٣٣٦
الآيات من ٤ : ١٠	٣٣٦
الكواكب وأهميتها	٣٣٧
جهنم للكافرين وندمهم على كفرهم	٣٣٧
الآيات من ٨ : ١٨	٣٣٧
الجنة للمتقين	٣٣٨
علم الله المحيط بكل شيئ	٣٣٨
السعى في سبيل الرزق	٣٣٩
لا أمان من غضب الله على المكذبين	٣٣٩
الآيات من ١٩ : ٢٦	٣٣٩
ولا رازق إلا الله	٣٤٠
مثل للمستقيم والمنحرف عن طريق المستقيم	٣٤١
منة الله علي عباده	٣٤١
استبعاد المكذبين للبعث	٣٤١
الآيات من ٢٧ : ٣٠	٣٤٢
تمنى الكفار موت الرسول والرد عليهم	٣٤٢
فضل سورة الملك	٣٤٣
سورة القلم	٣٤٤
الآيات من ١ : ٩	٣٤٤
قسم وجوابه	٣٤٤
النهى عن طاعة المكذبين والكذابين	٣٤٦
الآيات من ١٠ : ٢٠	٣٤٦
قصة أصحاب الجنة	٣٤٧
الآيات من ٢١ : ٣٠	٣٤٨
الآيات من ٣١ : ٤١	٣٤٩
في هذه القصة عبرة لمن يعتبر	٣٥٠
مزاعم باطلة للكفار	٣٥٠
الآيات من ٤٢ : ٤٨	٣٥١
تهديد للكفار	٣٥٢
حث للنبى على الصبر	٣٥٢
الآيات من ٤٩ : ٥٢	٣٥٢
حسد الكفار للنبى على نزول القرآن عليه	٣٥٣
فضل سورة القلم	٣٥٤
سورة الحاقة	٣٥٥
الآيات من ١ :٨	٣٥٥
من أسماء يوم القيامة الحاقة والقارعة	٣٥٥
هلاك المكذبين بالقيامة	٣٥٥
الآيات من ٩ : ١٦	٣٥٦
نجاة المؤمنين من قوم نوح بالسفينة	٣٥٧
من أهوال القيامة	٣٥٨
الآيات من ١٧ : ٣٠	٣٥٨
اهل اليمين	٣٥٩
اهل الشمال	٣٦٠
الآيات من ٣١ : ٤١	٣٦١
قسم على نزول القرآن من عند الله وليس شعرا أو كهانة	٣٦١
الآيات من ٤٢ : ٥٢	٣٦٢
عقوبة المتقول على الله	٣٦٢
فضل سورة الحاقة	٣٦٣
سورة المعارج مكية	٣٦٤
الآيات من ١ : ٩	٣٦٤
أحد المشركين يسال نزول العذاب	٣٦٤
الهول والفزع يوم القيامة	٣٦٦
الآيات من ١٠ : ١٨	٣٦٦
شدة النار في جهنم	٣٦٧
الآيات من ١٩ : ٣٥	٣٦٧
الإيمان يحسن الطبائع ويبدل	

الصفات وينجى من العذاب	٣٦٨	فضل سورة الجن	٣٨٦
الآيات من ٣٦ : ٤٤	٣٦٩	سورة المزمل	٣٨٧
انكار على الكفار	٣٦٩	الآيات من ١ : ٨	٣٨٧
فضل سورة المعارج	٣٧١	أمر للنبى وأمته بقيام الليل	٣٨٧
سورة نوح	٣٧٢	الأمر بالمداومة على الذكر	٣٩٠
الآيات من ١ : ٥	٣٧٢	الآيات من ٩ : ١٥	٣٩٠
قصة نوح وانذاره قومه وعدم		الأمر بالصبر على أذى الكافرين	٣٩١
استجابتهم له	٣٧٢	خطاب لأهل مكة وانذار لهم	٣٩١
الآيات من ٦ : ١٢	٣٧٣	الآيات من ١٦ : ٢٠	٣٩١
الآيات من ١٣ : ٢٥	٣٧٤	تخفيف من ربكم ورحمة	٣٩٢
تحذيرهم البعث	٣٧٥	فضل سورة المزمل	٣٩٣
تذكيرهم النعم	٣٧٥	سورة المدثر	٣٩٤
يأس نوح من قومه وشكواه منهم		الآيات من ١ : ٢	٣٩٤
إلي الله	٣٧٥	الآيات من ١٠ : ٢٦	٣٩٦
العقاب الذي حل بهم	٣٧٧	تقريع الوليد بن المغيرة	٣٩٦
الآيات من ٢٦ : ٢٨	٣٧٧	الآيات من ٢٧ : ٣٣	٣٩٦
دعاء نوح على قومه	٣٧٧	الآيات من ٣٤ : ٥٦	٤٠٠
فضل سورة نوح	٣٧٨	سورة القيامة	٤٠١
سورة الجن	٣٧٩	الآيات من ١ : ٩	٤٠١
الآيات من ١ : ٥	٣٧٩	قسم بيوم القيامة على قيامة الساعة	
الامر للنبى بأن يخبر قومه باستماع		وبعث الناس	٤٠٤
القرآن	٣٧٩	الآيات من ١٠ : ٢٢	٤٠٦
مؤمنو الجن يخبرون بإيمانهم	٣٧٩	تعهد الله بحفظ القرآن وجمعه	٤٠٧
تسفيه الجن للكذابين منهم	٣٨٠	طبيعة الإنسان العجلة	٤٠٨
الآيات من ٦ : ١٦	٣٨٠	الآيات من ٢٣ : ٣٥	٤٠٨
تعوذ الإنس بالجن	٣٨١	رؤية الله في الآخرة للسعداء	٤٠٨
حراسة السماء بالشهب من استراق		حال الكافر المحتضر	٤٠٩
الجن للسمع	٣٨١	الآيات من ٣٦ : ٤٠	٤١٠
الجن منهم صالح وفاسد	٣٨٢	فضل سورة القيام	٤١٠
الآيات من ١٧ : ٢٢	٣٨٣	سورة الإنسان	٤١١
المساجد بيوت الله في الأرض	٣٨٣	الآيات من ١ : ٥	٤١١
إيذاء الكفار للنبى ﷺ	٣٨٣	بدء خلق الإنسان	٤١٢
الآيات من ٢٣ : ٢٨	٣٨٤	ما أعد للكفار	٤١٨
الله عالم الغيب والشهادة	٣٨٥	الآيات من ٦ : ١٢	٤١٩

من صفات الجنة	٤٢٠
الآيات من ١٣ : ٢٠	٤٢١
الآيات من ٢١ : ٢٨	٤٢٥
الآيات من ٢٩ : ٣١	٤٢٥
فضل سورة الإنسان	٤٢٥
سورة المرسلات	٤٢٦
الآيات من ١ : ٢٠	٤٢٦
جواب القسم	٤٢٨
يوم الفصل وروعته	٤٢٨
العذاب في انتظار المكذبين	٤٣٠
الآيات من ٢١ : ٥٠	٤٣١
الرهبة تخرس الألسن	٤٣١
نجاة المتقين وسعادتهم	٤٣٢
فضل سورة المرسلات	٤٣٣
سورة النبأ	٤٣٤
الآيات من ١ : ١٥	٤٣٤
تسائل الكفار عن القرآن و البعث	٤٣٤
نعم الله ومننه علي عباده	٤٣٤
الآيات من ١٦ : ٢٦	٤٣٧
يوم القيامة ومظاهره	٤٣٧
جهنم مصير الكافرين	٤٣٧
الآيات من ٢٧ : ٤٠	٤٣٨
فوز المتقين بالجنة	٤٤٠
من مشاهد يوم القيامة	٤٤٠
فضل سورة النبأ	٤٤١
سورة النازعات	٤٤٢
الآيات من ١ : ١٢	٤٤٢
قسم على حتمية قيام الساعة	٤٤٢
المقسم عليه	٤٤٣
إنكار الكفار للبعث	٤٤٤
الآيات من ١٣ : ٢١	٤٤٤
إشارة إلى قصة موسى وهلاك المكذبين به	٤٤٤
الآيات من ٢٢ : ٣٦	٤٤٥
خطاب لأهل مكة	٤٤٧
من أسماء القيامة الطامة	٤٤٧
الآيات من ٣٧ : ٤٦	٤٤٧
مصير الطاغين	٤٤٧
مصير المؤمنين	٤٤٧
سؤال لهم عن موعد الساعة وإجابة سؤالهم	٤٤٧
فضل سورة النازعات	٤٤٧
سورة عبس	٤٤٩
الآيات من ١ : ١٣	٤٤٩
هذا تذكير للنبى ﷺ وتذكير بالقرآن	٤٥٠
الآيات من ١٤ : ٢٤	٤٥٠
وجوب تدبر الإنسان فيما حوله في نعمه ليدرك عظمة المنعم	٤٥٢
الآيات من ٢٥ : ٤٢	٤٥٢
فضل سورة عبس	٤٥٣
سورة التكوير	٤٥٤
الآيات من ١ : ١١	٤٥٤
الآيات من ١٢ : ١٤	٤٥٥
قسم على تحقق نزول القرآن من عند الله	٤٥٦
الآيات من ٢٥ : ٢٩	٤٥٧
فضل سورة التكوير	٤٥٨
سورة الانفطار	٤٥٩
الآيات من ١ : ٩	٤٥٩
الآيات من ١٠ : ١٩	٤٦٠
فضل سورة الانفطار	٤٦١
سورة المطففين	٤٦٢
الآيات من ١ : ٩	٤٦٢
الآيات من ١٠ : ١٨	٤٦٤
الآيات من ١٩ : ٣٦	٤٦٥
فضل سورة المطففين	٤٦٦
سورة الانشقاق	٤٦٧

الآيات من ١ : ٨	٤٦٧
الآيات من ٩ : ٢٢	٤٦٨
تعجب من عدم إيمان الكفار بيوم القيامة	٤٦٩
فضل سورة الانشقاق	٤٦٩
سورة البروج	٤٧١
الآيات من ١ : ٨	٤٧١
الآيات من ٩ : ١٧	٤٧٣
تهديد الكفار المكذبين	٤٧٤
الآيات من ١٨ : ٢٢	٤٧٥
سورة الطارق	٤٧٦
الآيات من ١ : ١٠	٤٧٦
قدرة الله على الإحياء والبعث	٤٧٨
الآيات من ١١ : ١٧	٤٧٨
فضل سورة الطارق	٤٨٠
سورة الأعلى	٤٨١
الآيات من ١ : ١٠	٤٨١
تنزيه الله وتمجيده على قدرته الفائقة	٤٨١
أمر النبي ﷺ بالتذكر	٤٨٣
الآيات من ١١ : ١٩	٤٨٣
فضل سورة الأعلى	٤٨٤
سورة الغاشية	٤٨٥
الآيات من ١ : ١٢	٤٨٥
نعيم أهل الجنة	٤٨٦
الآيات من ١٣ : ٢٦	٤٨٦
فضل سورة الغاشية	٤٨٨
سورة الفجر	٤٨٩
الآيات من ١ : ١١	٤٨٩
الآيات من ١٢ : ١٩	٤٩١
الآيات من ٢٠ : ٣٠	٤٩٢
فضل سورة الفجر	٤٩٤
سورة البلد	٤٩٥
الآيات من ١ : ١١	٤٩٥
الآيات من ١٢ : ٢٠	٤٩٦
فضل سورة البلد	٤٩٧
سورة الشمس	٤٩٨
الآيات من ١ : ٩	٤٩٨
الآيات من ١٠ : ١٥	٤٩٩
فضل سورة الشمس	٥٠٠
سورة الليل	٥٠١
الآيات من ١ : ١١	٥٠١
الإنسان المخذول	٥٠٢
الآيات من ١٢ : ٢١	٥٠٢
فضل سورة الليل	٥٠٤
سورة الضحى	٥٠٥
الآيات من ١ : ١١	٥٠٥
فضل سورة الضحى	٥٠٧
شورة الشرح	٥٠٨
فضل سورة الشرح	٥٠٩
سورة التين	٥١٠
فضل سورة التين	٥١٢
سورة العلق	٥١٣
الآيات من ١ : ١٠	٥١٣
آيات نزلت فى ابى جهل	٥١٤
الآيات من ١١ : ١٩	٥١٤
فضل السورة	٥١٦
سورة التوبة	٥١٧
فضلها	٥١٨
سورة البينة	٥١٩
فضل سورة البينة	٥٢١
سورة الزلزلة	٥٢٢
من مظاهر القيامة	٥٢٢
فضل السورة	٥٢٤
سورة العاديات	٥٢٥
أهمية إعداد الخيول للجهاد في سبيل الله	٥٢٥
جواب القسم	٥٢٦

فضل السورة	٥٢٦
سورة القارعة	٥٢٧
من أسماء القيامة القارعة	٥٢٧
حال المؤمن	٥٢٧
وحال الكافر	٥٢٨
فضل السورة	٥٢٨
سورة التكاثر	٥٢٩
فضل السورة	٥٣٠
سورة العصر	٥٣١
فضل سورة العصر	٥٣١
سورة الهمزة	٥٣٢
فضل السورة	٥٣٣
سورة الفيل	٥٣٤
قصة ابرهة وغزو مكة وهلاكه	٥٣٤
فضل السورة	٥٣٥
سورة قريش	٥٣٧
فضل السورة	٥٣٨
سورة الماعون	٥٣٩
فضل السورة	٥٤٠
سورة الكوثر	٥٤١
فضل السورة	٥٤٢
سورة الكافرون	٥٤٣
فضل السورة	٥٤٤
سورة النصر	٥٤٥
فضل السورة	٥٤٦
سورة المسد	٥٤٧
فضل السورة	٥٤٨
سورة الأخلاص	٥٤٩
فضل السورة	٥٥١
سورة الفلق	٥٥٢
قصة حول سحر النبى	٥٥٣
فضل السورة	٥٥٤
سورة الناس	٥٥٥
فضل السورة	٥٥٦
خاتمة	٥٥٧
خاتمة التحقيق	٥٥٧
دعاء ختم القرآن	٥٥٩

يطلب من مكتبات الأهرام وسائر مكتبات

الجمهورية

رقم الإيداع بدار الكتب

١١٤٢٠ / ٩٧